حتى لا يضيع التاريخ

ذكريات من الماضي القريب

أحمد زارم



حتى لا يضيع التاريخ

ذكريات من الماضي القريب

١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م



الاهداء

الى المخلص الصامد الابى طول حياته
الى من اثار النفوس للجهاد فى داخل الوطن
الى باعث حركة النضال السياسى فى الخارج
الى باعث الامل فى نفوس المهاجرين فى جميع الاقطار
بعد ما كاد ان يخيم عليها اليأس من هول الصدمة
الى المغفور له بشير السعداوى
اهدى كتابى

مقدمة

هذه ذكريات مواطن ظل في الساحة اربعين عاما .. مرتفع الجبين .. اشم الأنف .. قوى الارادة .. رغم عنف الحوادث .. وتوالى الاعاصير وتنوع الصراع.

عاصر « احمد زارم » احداثا جساما .. وشاهد تطورات خطيرة .. مرت بالوطن الليبى العزيز ..

وتأثر منذ نعومة اظافره .. ومدارجه الاولى بجيل المناضلين الشرفاء .. الذين حملوا السلاح فى ساحة الجهاد المقدس دفاعا عن الحرية وذودا عن كيان الشعب العربى المسلم ..

وتأثر احمد زارم فى ثقافته السياسية بحاملى الكلمة الشريفة الهادفة فى ميدان النضال السياسى ..

منذ عشرينات هذا القرن آمن بالحق فلم تلن له قناة ..

لم يستسلم للمغريات .

ولم يسقط فى وهج المطامع ..

لم يضعف .. لم يلن .. حتى كادت صلابته فى الحق تحسب عليه ..

حسنة من حسنات النضال .. عند تقييم المقومات .. وموازنة الموازنات .. ولكنها ايضا .. نافذة .. بل باب واسع من ابواب المصاعب .. والمتاعب ..

عرف كاتب هذه الذكريات فى حياته الطويلة العريضة .. والحياة ذات الابعاد العميقة .. عرف .. الجوع .. والعطش .. والمرض .. والالم .. والابعاد .. والسجن والنفى والتشريد .. والغربة .. والهجرة .. وشعور الخلان .. وتنكر الصحاب .. ومؤامرات الاستعمار .. بينما كان يتهافت على اسلاب الوطن شراذمة من الافاكين والدجالين الافاقين .. والجواسيس .. واذيال الفاشيست .. وعملاء الانكليز .. فيما بعد .. والانتهازيون من دلاديل العهد المنهار .. لكنه .. ظل .. صلب الارادة .. متوهج الايمان .. رحب الصدر صبورا .. الا فى حق الوطن وحقوق شعب ليبيا البطل .. عند ذاك لا عواطف .. لا ملاينة .. بل كلمة .. وموقف .. ورأى .. وارادة .. قد يدفع ثمن ذلك ضريبة باهظة غير يسيرة ..

موقف يؤدى مستلزماته .. ولم يكن وحده فى جيله بل هو نموذج وبقية من جيل العطاء وجيل الاداء .. والجسر الذى يربط بين اجيال مشرقة فى تاريخ النضال السياسى والجهاد الفعلى ..

هو .. بقية من المناضلين الذين عاصروا الوقائع المريرة .. وساهموا فى صنع المجابهة .. والرفض .. والغضب المقدس وتوعية الجماهير .

وطنى غيور .. لم يتكسب بقضية الوطن يوم كانت قضية الشعب سلعة يتاجر بها .. ويتكسب منها تجار السياسة وادعياء الوطنية .. وعملاء الدخيل الاجنبى بل لم يعرف فى اشواطه حتى الراحة والاستمرواح .. بل فى ايام غربته

لم يطلب فى نضاله اجرا .. ولم يسعى لمغنم ومكسب ..
وفى هجرته يسهم فى تكوين الجبهات السياسية مع الاحرار الشرفاء .. يكتب الرسائل .. ويطبع المناشير ويجابه جبروت الاستعمار .. ويفند ادعاء الفاشيست وهم فى عنفوان طغيانهم ..

يحارب الامبراطوريات الاستعمارية بالكتابة وابواق الاستعمار يبدد صنائعهم ويفضح الاعيبهم .. وهو الفقير الاعزل الذى لا تسنده دولة .. ولا يدعمه حاكم .. ولا تسانده احزاب ولا مؤسسات عالمية .. بل من ذات نفسه بل من ايمان شعبه .. وحق امته .. هو وزملاؤه الاحرار من جيل المواجهة فى المهجر .. وفى الداخل.

وساهم فى المؤتمرات الوطنيـة أيام الصراع السياسي .. وقابل شخصيات على مستوى المسئولية .. وأناسا دون مستوى المسئولية .. وحنكته الظروف .. واكسبته التجارب خبرة طويلة فى ميدان القضية الوطنية ..

هذا العصامى الذى نشأ فى قرية بدوية فى حضن جبل أشم .. وفى بيئة عربية مسلمة تعرف موازين الرجال بالصدق والايمان والتضحية والبذل ..

وتابى الخضوع وعوامل الابتذال .. وتلمس صـدق الرجل المناضل فـى كل خطواته ومراحله .. فى ايام حمله للسلاح ضد الطليان وفى ايام هجرته لتونس .. وفى عديد مراسلاته التى تعتبر من وثائق هذه المراحل الهامة من تاريـخ شعبنا البطل ..

هناك من يسير الى منتصف الطريق او الى ربعه .. ثم يسقط .. لانبهار الاضواء .. او لضعف فى نفوس البشر او لياس يستولى على الانسان المقاوم احيانا لكن .. هذا .. من ذلك الرعيل الذى لم تبهره أضواء .. ولم تجذبه مطامع .. فلم يضعف .. ولم يتطرق اليه اليأس .. حتى فى أحلك الظروف واقسى الاحوال.

وظل صاحب هذه الذكريات يناضل على الدرب المتعب الطويل .. بالرصاص .. بالكلمة .. بالموقف .. بالكلمة مكتوبة .. ومنطوقة .
بالكلمة .. صامدة .. وصاعدة .. وصـادقة .

بالكلمة .. حرفا .. ومعنى .. ومحتوى .

بالمواقف .. مجابهة .. وفكرة .. وهدفا .

بالمواقف .. داخلا وخارجا ..

بالموقف .. ضد الرجعية البالية المسترخية التى كانت تنصح بالاستسـلام والرضوخ والاستكانة ..

ولكنه مواطن حر الراى .. صادق الوجدان لا يرضخ .. لا يستكين .. حركة دائبة يؤلف .. ويسهم فى جمع شتات المهاجرين كى يؤلف جمعية الدفاع عن حقوق الشعب فى ليبيا العربية .

يعمل مع أخوانه الاحرار المناضلين ليلم شمل المهاجرين من العمال والفلاحين والبسطاء .. والتجار الشرفاء .. وعمال المناجم فى قرى تونس والجزائر ويراسل فى بلاد الشرق العربى قادة النضال السياسى آنذاك أمثال : شكيب ارسلان - وسليمان البارونى - وبشير السعداوى - وفوزى النعاس - وعبد العزيز الثعالبى - وعبد الحميد بن باديس وغيرهم ..

مجاهدون من الاحرار من بلاد مصر والشام وتونس والجزائر .. ومهاجرون من بلاده من حاملى السلاح والكلمة ..

وفى الحرب العالمية الثانية عندما كان الصراع ضد الفاشية والنازية كان يعمل بلا هوادة .. كى يجد طريقا ومنفذا لخدمة ليبيا العربية ولكن تبين له .. ان الانكليز وعملائهم كالسرطان ..

تنوعت اسماء المستعمرين وعواصمهم وشعاراتهم .. ولكن فى جوهر الاستعمار وحقيقة تخطيطه لا فرق بين ما ترسمه عاصمة الصقيع او عاصمة الضباب .. او عاصمة القمصان السود .. سواء .. بسواء .

ويسهم (أحمد زارم) أيام المؤتمر الوطنى .. مع الزعيم المناضل المجاهد استاذنا بشير السعداوى ويكون سكرتيرا متفرغا للمؤتمر الشعبى لولب الحركة .. « ديناميكى » النشاط .. يعمل ليل نهار .. بلا اجر .. بلا مقابل .. تطوعا وتبرعا

وحياته النضالية كلها تطوعا .. وتبرعا .. عن طيب خاطر .. وعن عميق ايمان .. لقد عرفته جماهير شعبنا المناضل .. فى الاجتماعات السرية والعلنية .. عرفته فى المظاهرات .. عرفته فى الندوات عرفته فى جريدة « شعلة الحرية » التى كانت منبرا للشعب .. ولسان حال قوى الشعب العاملة .. التى كانت تصد صنائع الانكليز .. ودلاديل الطليان .. وتدعو الى وحدة الشعب .. وحريته .. وعروبته .. قلم صحفى هادف .. يغذى الجماهير بما يدعم وعيها .. ويلهب وجدانها .. وينير لها الطريق .. وظل كالطود شامخا .. صامدا .

يضيف الى حصيلة تجاربه جديدا من التجارب والى جولاته السياسية جولات أخرى .

كانت مراحل فيها المطبات .. والعثرات .. والمساومات .. والمؤامرات .. ولكنه ظل فى جوهره .. فى اصالة معدنه هو .. هو .. أحمد زارم .. ابن القرية .. وبقية من مدرسة الصدق .. لا يعرف السياسة ترهات اللف والدوران ..

بل .. هى لديه فى نظره .. فى حسه .. الخط الواضح .. والهدف المنشود ..

لا يرى السياسة ترفا ..

بل يراها .. واجبا .. وشرفا ..

وفى ليلة ليـــلاء ..

يتسلق الانكليز وعملائهم فى مدينة طرابلس سطح منزل الزعيم المجاهـــد المرحوم استاذنا ـ بشير السعداوى ، ويلقـــى القبض عليه .. وعلى زملائه .. ويساق بعضهم الى السجن ـ ومنهم كاتب هذه المقدمة ـ ويساق ـ احمد زارم الى السجن ثم الى تونس .. والسعداوى الى مصر .. ويظل احمد زارم فى تطويحته الثانية بعد تطويحته الاولى .. هو .. هو .. عزما وارادة وعنادا فى الحـق وقد سجنه وتالب عليه الانكليز .. لانه كان علـــى اهداف المؤتمر الوطنى .. ضد المعاهدات الاجنبية .. وضد النظام .. الفيدرالى ، وضد تقسيم الشعب الـــى حكومات ودويلات ولم يخضع احمد زارم ولا زملاؤه ولو كان يريد ان يصبح وزيرا لكانه .. واصبحه ولو احب ان يمسى سفيرا .. لامساه ..

ذلك عهد كان يبحث عن التوزير .. والتسفير .. وهى طعمات .. واطعمة .. والفام .. ولكنه ناضل خاوى الوفاض .. يرفض الـــوزارة والســـفارة والمصاريف السرية ..

وما اكثر مشاهدات احمد زارم وتجاربه .

* فترة الجهاد بالسلاح
* فترة النضال بالمهجر
* الادارة البريطانية
* تكوين التجمعات الشعبية
* مراسلاته .. ذكريات منوعة .. حصيلة اربعين عاما ..

لماذا تضيع فى زحام صاخب !
لماذا تهمل هذه الذكريات فى أودية الاهمال .

* أكتب يا زارم مذكراتك .. او ذكرياتك
* هى طويلة .. مسربلة ..

ـ لا بـــأس
ـ هى تحتاج الى تفرغ ومعاناة

فليس احمد زارم اديبا يبرقش .. ولا فنانا يزخرف .. ولا شاعرا يتحيـــل جرس الكلمة .. بل هو مناضل ويكتب الحـــرف معاناة ومشاهدة .. هو مؤرخ فى ذكرياته يسجل بصدق حوادث ووقائع عاصرها .. وساهم فى صنعها .. هـو يقدم وثائق ساهم فى تجاربها .وسداها .. ولحمتها .الواقع .. الحقيقة .. كماهى .. بلا زخارف ولا بدائع الاساليب فى العرض والبرقشة .

اكتب يا زارم ذكرياتك

ـ وكم نخشى على تاريخ او جوانب من تاريخ نضال شعبنا ان تضيع .. وتنسى .
ـ ما العن النسيان لنضال المجاهدين !

ـ ما امر العقوق والجحود ..

ـ تاريخ الجهاد ثروة مبددة

امجاد مبعثرة ..

هناك حقائق .. ووقائـــع جديدة بالتقييم ثم بالتقسيم .. ثم بالدراســـة والتمحيص ولكن لن يكون ذلك الا اذا سجلتم ايها المعاصرون لتلك الوقائع والحقائق.

اكتب يا زارم ذكرياتك .. سجل انت فى مشارف السبعين .. اعطـاك الله الصحة ..

اكتب قبل ان تجرفك مرحلة الثمانين التى تحتاج الى ترجمان ..

اكتب يا زارم ..

وكانت فكرة عرضناها عليه ..

وجلس الرجل يكتب ذكرياته .. مشاهداته وهو قوى الذاكرة .. والحافظة ..واللاقطة .. وكتب حلقات وفصلات فى اسلوب عفوى .. واضـــح .. فيـــه بساطة .. ولكن ليس فيه سطحية ..بل بعمق الايمـــان .. وصدق الحقيقة .. وعفويـــة الاسلوب ..

وقد يكون عنيفا احيانا .. ولكنه العنف الذى لا يغطى الحقيقة .. ولا يجنى على الواقعية .

وكتب الرجل ذكرياته ونشرناها حلقات فى جريدة « الشعب » كادت ان تصل الى الخمسين حلقة ..

ولكن ما يكتب فى صحيفة ليس كما يكتب فى كتاب ...

ينسى الناس الصحيفة

وقد يحتفظون ويعنون بالكتاب

فليكن أول كتاب يؤلفه احمد زارم هذه الذكريات .. وهو شاهد العيـــان والمسهم فى كثير من الاشياء الجديرة بالاعتزاز ..

وكم ضاعت من ذكريات هى جزء هام من تاريخ شعبنا البطل ..

ذكريات : عثمان القيزانى..الذى كان صورة مشرفةمننضال صحفى سياسى

* ذكريات : فرحات الزاوى .. السياسى والمجاهد الذى حارب الطليان حتى صرعوه فى حادث غامض .

* ذكريات : عبد الله تمسك التى سجلها وضاعت فى بلاد الاتراك .

* ذكريات انور الذى شاهد كثيرا من المعارك .

* ذكريات الضابط المثقف « السنوسى بلقاسم » من مدينة مصراتة والـــذى ساهم مع سعدون واعتمدنا على شىء من ذكرياته فى كتابنا « سعدون »

* ذكريات سليمان البارونى التى حفظها لنا الامناء من اهل بيته وما زالـــت فى حاجة الى عناية علمية ودراسة منهجية ..

* ذكريات جمال الدين الميلادى

* ذكريات بشير السعداوى التى املاها علينا حرفيا ايام ان كنا فى بيته فى حى « قرقارش » بطرابلس الغرب .. ايام صراعه مع النكير

* ذكريات خالد القرقنى

* ذكريات محمد غالب الكيب المناضل المهاجر الذى كان مثقفا وانسانا يحب وطنه وشعبه .

* ذكريات محمد على الحداد الذى مات فى اطراف اسيا مغمورا منسيا

* ذكريات على المتجول .. سكرتير « سعدون » الذى مات وهو عامل بسيط فى مصنع نسيج بريف مصر .. فى البحيرة ..

كل هذه ثروة تاريخية من جهاد شعبنا البطل غمر بعضها النسيان .. وتلاشى بعضها فى اوراق تذروها رياح الاهمال والضياع ..

* يا قوم .. حرام عليكم تلافوا بمثل هذه الاشياء .. التى سجلها مجاهدون أحرار .. بصدق وايمان .. ان مبعوثا سياسيا فى عصرنا يرقد فى فندق مكيف .. يشرب المثلج .. ويطفح المخمر .. ويركب طائرة .. ويترفه .. ويتنزه .. ويسجل من توافه الامور .. ذكرياته .. ويتلهف عليها الناشرون .. ويتساقط عليها القارئون .. وقد تكون مراجع .. ومصادر .. من أجل الفراغ .. لكن ليس لدينا فراغ !

فما بالك بذكريات عميقة ..؟

بعيدة الغور ..

خطيرة الدور ..

لمواطن عرف المشى على الاشواك .

وافترش الرمل بساطا .. وتوسد الصخر ..

وهذه الذكريات منوعة .

قد نشرها عفويا كما عصرتها ذاكرته

وهى قوية كما شاهدتها عيناه ويداه .. وكما املاها ضميره .. وهو حى .

وهذه الذكريات هى من وثائق الجهاد ذات اهمية ولا أبرىء هذه الصفحات من كل الاخطاء .. فلا يوجد بشر لا يخطأ ..

ولا ابرىء الكتاب من بعض المآخذ والمعايب .. فكتاب واحد فوق كل المآخذ والمثالب .. هو كتاب السماء .. كتاب الله ..

اما ما كتبته الاناس فلا بد ان تكون فيه ملاحظات ونواقص ومسارب للمآخذ او المعاتبات .

ومهما يكن من أمر .. فهذه الذكريات هى خلاصة عمر .. وعصارة اجيال .. وتجربة مراحل .

احداث ومراحل لا يراها هذا المواطن باسلوب المترفين الكسالى .. بلا خواص مطامع .. ومصارع أزمات .. من جيل الجهاد .

وفى عبارة موجزة قد تلخص لك صفحات الرجل المؤلف :

ـ الرجل الذى لا ينحنى هو أحمد زارم .

لم ينحنى لنفوذ الاستعمار وسلطة المستعمرين ولا لعوامل الاغراء .

تشرد وجـــاع ..

وتجوع الحرة ولا تأكل من ثدييها

ويجوع المناضل الحر ولا ياكل على حساب قضية بلده ..

وهذه الذكريات التى صاغها احمد زارم فى كتابه تعتبر من مصادر تـــاريخ النضال السياسى بشكل من الاشكال قد تدفع الى اشياء هامة .

* العناية بدراسة المراحل التى أشار اليها والنظر اليها بمنهاج فكرى وميزان علمى دقيق فهو بهذا قد اسهم باعطاء مفتاح وتقديم الضوء .

* ويدفع هذا الى البحث عن المقومات الغالية وابراز حقيقة كفاح الشعـــب ومقاومته لاساليب الفساد وصده للعملاء ورفضه للاستعمار ..

* وبروز هذه المذكرات قد يدفع كثيرا من معاصريه الى سرد وتقديم ما عندهم من حقائق .. وقد تكون على شكل تكملة أو تصحيح أو تعديل أو حتى بطريق التنافس الشريف فى ابراز الحقائق والدراسة العلمية .

وهناك سؤال يلح علينا .

لماذا ننقص من بضاعتنا !؟ ونقلل من قيمة رجالنا !؟

وناس آخرون .. بل فى كل بلاد العالم ..

اقل شأنا من هذه التجارب والمشاهدات والمصارعات يقيمون حولها هـــالات واطارات ، ويقدمون حولها الصحاف والبهارات .. احد « الهلافيت » الصعاليك اتيح له ان يقابل الدتشى موسلينى .. مقابلة عابرة أو مقابلة فارغة .. وكان الدوتشـــى فى عنفوان طغيانه يقتل شعبنا ويشرد رجالنا ويصادر املاك الشعب .. ولم يستطع ان يقول له اف .. ولكنه كتب عن ذكريات هذه المقابلة وهذه المشاهدات لبـــلادنا ذكريات وجعل من ذكرياته سلاسل وحلقات ونشرها .. با له من مشاهد ..

فما بالك برجل جابه الدوتشي وحـــارب بالبو واعوان بالبـــو وصرف من قوت اولاده واثاث منزله .. ومن عرق جبينه ليكتب المناشير ويؤسس الجمعيـــات

السياسية ضد الاستعمار الغربى والنفوذ الاستعمارى الغربى والنفوذ الاستعمارى بل حمل السلاح فى معارك الجهاد .

اما كان الاولى ان يستحى امثال ذلك الصحفى « الهلفوت » عن ان ينشر حلقاته!

واما كان الاولى والاجدر ان يقتحم ميدان النشر امثال هذا المجاهد المواطن « احمد زارم » ويقدم لابناء هذا الجيل والاجيال اللاحقة عصارة تجاربه ومشاهداته !!

يجب ان يترك هؤلاء الاحرار برقع التواضع .. وستار الصمت يجب ان يقدم الشرفاء تجاربهم وما عندهم لانه فى الحقيقة لم يعد من ممتلكاتهم بل هى ذخيرة للشعب ومن تاريخ هذه الامة العربية المسلمة المجاهدة ..

من واجبهم ان يكتبوا .. بعد ان ادوا واجب الجهاد ..

ومن واجبنا ان ننصفهم وان نقرا .. وان نستوعب ما نقرا ..

ومرة خرى .. تحية لهذا المناضل الذى ظل كالشجرة ثابتة الجذور ولم يكن كاوراق خرعة تتساقط وتذروها الرياح .

وها هى ذكريات احمد زارم فى سطور وبين دفتى كتاب

يجد فيها القارىء صورة من نضال مراحل لشعب عربى مؤمن ..

وجدير كفاحه بكل تقدير ..

وجديرة فصوله بالتامل والدراسة وقد اضاف المؤلف الكاتب فصولا جديدة لم تنشر فى حلقاته كما قد اضاف بعض اللمسات والملاحظات ولعله فى طبعة أخرى يضيف أشياء من تاريخ تلك المرحلة .. فهناك وثائق عديدة ومراسلات عند بعض الاصدقاء الذين كان يراسلهم والله الموفق .

على مصطفى المصراتى
عضو مجلس الامة الاتحادى
طرابلس ـ ليبيا

توطئـــة

كان بودى ان يكون ما سانشره فى يوم من الايام . ان قدر لى ذلك . مدعمــا بنصوص من المقررات الصادرة عن منظمتنا فى الهجرة . والرسائل التى تحمل الينا اراء واشارات من مختلف الجهات والشخصيات . تلك المنظمة التى عملت فى سبيل الوطن بنشاط وتضحية واخلاص طوال عشرين عاما مضت فى الخارج تحت أسمــاء مختلفة كل ما دعت الحاجةالى التغيير بسبب تطورات الظروف الدولية ومقاومـــة اعداء حركتنا .

وماأكثر مقاومة الاعداء الايطاليين لكل حركة وطنية ليبية فى الخارج . اماتصرفات الاستعمار داخل الوطن فيعرفها أخواننا الذين بقوا فى الوطن . اكثر مما نعرفها نحن فى الخــــارج .

فلقد بدأت حركة مقاومة الاستعمار الايطالى من طرف المهاجرين الليبيين فىالمغرب العربى ومقرها فى ((المملكة التونسية)) سنة ١٩٢٨ م وقد أسسها أربعة أشخاص هم : الشيخ محمد عباس المسراتي ـ والشيخ محمد عمار الشرادى الرحيبــــى ـ والشيخ محمود على الزنتاني ـ وهؤلاء من طلبة جامع الزيتونة عمره الله ـ وصاحب هذه الذكريات .

ولقد بدأت الحركة أولا باسم : ((اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية)) ثم ((جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة)) ثم جمعية التواد والتعاضد بين المهـاجرين المسلمين)) ثم ((جمعية الوحدة الليبية)) .

فبهذه الاسماء عملت المنظمة طوال عشرين سنة ضد الوجود الايطالى فى بلادنا ليبيا

ان هذه الذكريات لو قدر لها أن دعمت بتلك الرسائل من الجمعياتالسياسية والشخصيات العلمية والسياسية وزعماء حركات التحرير فى العالم أمثال : شكيب ارسلان ـ وسليمان الباروني ـ وعونى عبد الهادى ـ وبشير السعداوى ـ وعبد الحميد بن باديس ـ وعبد العزيز الثعالبى ـ وفوزى النعاس ـ وعمر شنيب ـ ومحى الدين القليبى ـ وفخرى البارودى ـ واحسان الجابرى ـ وغيرهم كثيرين رحمهم الله جميعا وجزاهم بما هم أهل له من الرحمة والرضوان .

قلت ان هذه الذكريات لوشاء القدر اندعمت بتلك الرسائك الواردة من مختلف الجهات الليبية وغير الليبية مع مقرارات اللجنة ومحاضرها ومنشوراتهـــا فذلك ما يعطيها قوة أكثر واهمية أعظم وتأثيرا ابلغ واعمق عند رواد الحقيقة .

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... اقول بكل اسف وحسرة فلقد فقدت منى كل تلك الوثائق الامر الذى جعلنى افكر كثيرا فى العدول عن النشر الا اننى بعد تفكير والحاح من بعض الاخوان الذين كانوا مهاجرين فى جهة المغرب العربى . فلقــد اتصل بى الكثير منهم . وقالوا ان جميع الحركات الليبية فى الخارج ظهرت للوجود وعرفها الناس . حتى تلك التى ظهرت فى ((ساعة الصفر)) كنتيجة حتمية لضغط

الظروف وتحركات الاجانب . اما حركتنا فبالرغم من نشاطها المتواصل وضخامة التضحيات المادية والادبية بالنسبة لاوضاعنا وخطورة محيطنا فقد بقيت فى عالم المجهول . وانت من مؤسسيها ومسيريها واكثر الاخوان التصاقا بها فانت اذن اعلمهم بها وبتطوراتها . فالمسئولية تقع عليك وحدك فى اضاعة هذا الجانب الهام من تاريخ الحركات الوطنية الليبية فى المهجر .

وامام هذا الطلب الملح لم يسعنى رغم قلة بضاعتى العلمية وعجزى عن القيام بمثل هذه الاعمال وضياع اهم مصادرى . رغم ذلك كله لم يسعنى الا ان اتوكل على الله راجيا منه تعالى الاعانة والتوفيق فى جمع شتات ما امكننى جمعه اجابة لذلك الطلب من طرف الاخوان . وعملا بالكلمة التى تقول : ((شىء خير من لا شىء)) غير انه من الواجب على ان اشير الى اسباب ترددى فاقول : لقد كنت محتفظا بتلك الوثائق كما يجب ان يكون الاحتفاظ .

ولكن مما لا شك فيه ((ان القدر يغلب الحذر)) فلقد داهمتنى ظروف جد مزعجة وحوادث هائلة متعبة كانت سببا فى ضياع كل ما احتفظت به من الوثائق . وليس من قبيل المبالغة حينما اقول انها اثمن ما اكتسبته فى هجرتى كلها وانها اعز ما اعتز به فى حياتى من اعمالى مع اخوانى فى سبيل الوطن والقومية واداء الواجب المفروض على كل مواطن نحو وطنه وقومه ما استطاع للعمل سبيلا

والسبب فى الضياع هو اننى لما كنت اعمل فى ميدان الحركة الوطنية مع الاخوان فى مقر هجرتنا بتونس قبل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ علم بى كثير من الايطاليين وتعرفوا على شخصيا فى المنطقة التى كنت اسكن بها رغم اننى اختفيت وراء اسماء مستعارة فيما انشره ومع ذلك فقد عرف الايطاليون كل شىء عنى . وان الذى عرفهم بذلك بعض اخواننا سامحهم الله .

ولقد كانت تصلنى تهديداتهم . ولم يكن هذا التهديد صادرا عن جهاتهم الرسمية وحسب كالسفارة مثلا . بل كان ذلك التهديديأتى حتى من السكان المتزعمين لجاليتهم المتعصبين لفاشيستيتهم أولئك المنتسبين لمنظمات لهم تدعى « دبولافورا »

وهذه المنظمات منتشرة فى كامل البلاد التونسية اين ما وجد الايطاليون وهم كلهم عيون لحكومتهم وجنود لها متحمسون .

ولهذه الاسباب المتقدم ذكرها والتى تحمل فى طياتها خطرا اكيدا لا شك فيه فعندما نزلت جيوش المحور بتونس سنة ١٩٤٣ م حلت معها الظروف التى يمكن للايطاليين فيها ان يتصرفوا تصرف الغالب . وهنا لم ار بدا من مغادرة المكان فاسرعت للاختفاء من بلد « الكرم » فخرجت متنكرا على عربة (كاراطون) يجرها حصان واحد فى اتجاه الغرب نحو الحدود الجزائرية لاجئا فارا من زحف المحور .

ولقد وصلت فى حالة من التعب الشديد الى منطقة اسمها (الكريب) حيث كان يسكن احد مؤسسى جمعيتنا وامين مالها وهو الاخ الوطنى الصادق الاستاذ « محمد محمد عباس المسراتى » وبعد ايام من الراحة هناك ذهبنا الى مدينة (الكاف)

وحالما اختفيت من الكرم اخذ الايطاليون يبحثون عنى فبلغ ذلك جماعتي فجاء فريق منهم الى والدى رحمه الله واعلموه بما ترامى اليهم من الاخبار من ان الايطاليين يبحثون عنى . وطلبوا منه بالحاح آن ينزل عند رايهم بدون تاخير ولا تردد حيث انهم قرروا احراق جميع الاوراق والوثائق التى كنت محتفظا بها . اذ بلغهم ان الايطاليين سيقتحمون البيت حتما حينما يتاكدوا باننى قد افلت من ايديهم . وفى هذه الحالة سوف يلحق الضرر بكثير من الاخوان من اصحاب النشاط فى ميدان الحركة الوطنية ضد الايطاليين .

ولقد نزل الوالد رحمه الله عند طلب الجماعة ، وهو عمل من طرفهم كان فى الحقيقة والواقع بوازع من الخوف والشفقة على عائلتى وعلى كثير من المهاجرين الذين سوف يجدون اسماءهم فى الرسائل والمحاضر والسجلات وغير ذلك . الا انهم بدلا من ان يخفوها بطريقة ما تبقى عليها وتبعد الخطر . احرقوها تماما .

وفى شهر مايو سنة ١٩٤٣ م حينما عدنا الى تونس وقد ارتحل عنها المحور منهزما وكانت وثائق جديدة كونتها تتعلق باتصالنا بقيادة الحلفاء من بينها اجوبة من قائد (القوات الامريكية التى نزلت اذ ذاك بالجزائر) ووثائق جديدة أخرى تتعلق بمشاركتنا فى الواجهة مع الجيش الثامن الانجليزى فى سبيل تحرير بلادنا ثم مذكرات ووثائق تتعلق بمباحثاتى مع الوفد الامريكى فى لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية فى دار السفارة الامريكية فى تونس قبل حضورها الى ليبيا وغير ذلك من الوثائق وقد استصحبتها معى فى عودتى الى الوطن فى اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٤٨ م

وفى خلال السنوات الاربع من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ م حدثت لنا فى ليبيا مصادمات مع المستعمرين الجدد الذين كانوا وما زالوا حتى الى غاية ٣١ اغسطس من سنة ١٩٦٩ م يسيطرون على البلاد ، ويحرصون كل الحرص على اثبات وجودهم وتمكين نفوذهم وتمييع استقلال البلاد ، وقد اعانهم على عملهم ذلك وغيره فريق من ابناء البلاد ((ويا للاسف المذيب القلوب)) وهى طائفة معروفة لدى جميع الشعب ولذلك فاننى اضرب صفحا عن ذكر الاسماء اليوم والى حين اخر .

ولما كان الانجليز قد ازعجتهم تلك اليقظة الشعبية العارمة والتظاهرات الملتهبة المتوالية والاستعدادات المخيفة التى عمت الشعب باجمعه ، الا اولئك العملاء من ابناء الوطن الذين اغراهم المستعمر المتسلط المخاتل . اغراهم بوظائف فى بلادهم ومن مال شعبهم الذى باعوه . فناصروه ومكنوه من الوطن فترة امتدت ثمانية عشرة عاما . مثلت خلالها مهازل على مسرح هذه البلاد . ومكنوه واعانوه بل والزموه حتى

على اخراجها من بلدنا بطريقة ظالمة تعسفية رهيبة لا تمت العدل ولا للقانون بشيء وبصورة سيأتى تفصيلها فى صلب المذكرات . فعل المستعمرون ذلك لكى يتخلصوا من موقفنا . ذلك الموقف القوى الجبار المستمد قوته من روح شعبنا الثائر المتحفز .

وبهذه المناسبة فقد صادرت السلطات المزدوجة من الانجليز وعملائه جميع الوثائق المذكورة التى كونتها من جديد واستصحبتها معي من تونس والتى كونتها هنا فى طرابلس واخرجونا من البلاد وانا لا املك حتى ورقة تدل على هويتى ، ولهذه الاسباب مجتمعة جاءت ذكرياتى هذه غير مدعمة بالوثائق والمستندات . وقد يؤدى فقدان هذه الاشياء فى تقديم وتاخير بعض تواريخ ما ساذكره . وعلى كل فالمهم هنا فى الامر هو اننى قد حافظت محافظة بالغة على صحة الحوادث ، وانا لا اذكر الا ما انا على اتم الاعتقاد فى صحة وقوعها وضبط المداولات والاجوبة وصحتها . خصوصا وان الاخوان الذين عاشوا تلك الاحداث وشاركوا فيها لا يزال بعضهم على قيد الحياة وداخل الوطن .

والى هنا رايت ان اقف بهذه التوطئة التى لا بد منها لتوضيح الاسباب والمسببات التى جعلت ذكرياتى هذه تنشر اليوم ناقصة الوثائق . وكان من المرغوب فيه أن تكون مدعمة بها ((زنكوغرافيا)) حتى يعرف القارىء من أول الامر الاسباب التى أدت الى هذا النقص ولذلك فاننى اكتفى بما تقدم وابدأ فى صلب الذكريات .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

احمد زارم الرحيبى

بدء الهجرة أو يوم مغادرة الوطن

ففى يوم أشعث غابر عابس جاهم يوم تصادمت فيه الرياح العاتية العنيفة الهوجاء على وجه الارض حتى ارتفع الغبار فى الأفق حاجبا شعاع الشمس • وأقتم الجو منذرا أيانا بمستقبل غامض وحياة مجهولة جاهمة • وأيام عسيرة • فكان منظرا فظيعا رهيبا يبعث فى نفوسنا المتململة الكسيرة من شدة تراكم الهواجس الغريبة وتكاثف المخاوف القاتلة الرهيبة مايزيدها ألما على آلامها وحزنا على حزنها •

ففى ذلك اليوم الذى لاتزال ملامحه بادية فى مخيلتى كل ماتذكرته • ذلك اليوم الذى توارى فيه الحظ منهزما • وبرزت فيـه طلائع النحس متقمصـة تلك الوجوه الشريرة والقلوب القاسية المتوحشة من جيوش الاستعمار الايطالى البغيض •

ففى ذلك اليوم المشئوم حتمت علينا الاقدار الالهية التى لا مرد لحكمها ترك مواطن الابطال وديار الكرم ومرابع الاقارب والاصـدقاء ومرابض المجاهدين وتربة الأجداد وأملاك الآباء ولقد تركنا كل ذلك مجبورين غير مختارين •

تركنا كل ذلك الا الكرامة كى لاتداس والانفة كى لاترغم • تركنا ذلك وفى النفوس حسرة وفى الافئدة آلام • والقلوب تخفق متضرعة الى الله العلى القدير شاكية من شدة الظلم والطغيان الذى يسلطه الانسان على أخيه الانسان • ذلك الظلم الذى كان سببا فى مآس فجيعة وأحداث هائلة مريعة ذهبت ضحيتها آلاف من الانفس البريئة تتطاير أرواحها الى الأفق الأعلى شاكية الى خالقها ظلم ظالميها •

والآن فلنترك حوادث الطريق وما فيها من اتعاب وأوصاب وارهاق ومناظر تفتت الاكباد وتذيب الجماد : سلاسل من أجسام بشرية متناثرة هنا وهناك وأجسام كاملة التكوين لم تتناثر بشىء بعد • وأخرى لايزال فيها رمق من حياة قعد بها الجهد مستندة على كثبان من الرمل ولاشك انها كانت تلك هى مرحلتها الاخيرة من الحيـاة • وغير ذلك من المناظر الرهيبة •

أجل فلنترك تفاصيل حوادث الطـريق ونتجاوزها الى الحديث عن حركتنا بعـد وصولنا الى الاراضى التونسية • وغنى عن البيان اننا لم نعرف تلك الاراضى من قبل • وقد أخذنا فى التنقل من جهة لاخرى بحثا عن مكان تتوفر فيه طرق المعيشة وأسباب الاستقرار حتى انتهى بنا المطاف الى منطقة « حلق الواد » من ضواحى تونس • وهناك كان محل الاقامة •

كيف فكرت فى خدمة الوطن

وبعد الاستقرار فى منطقة « حاق الوادى » فكرت مليا فيما يجب على نحو وطنى . وما يجب على نحو نفسى . وأنا ذلك الشخص الغريب المحتاج . هل أعمل لنفسى فقط أم أعمل لوطنى وعائلتى علما بأن وطنى فى أشد الحاجة الى أى عمل من أبنائه مهما كان ضئيلا . ولقد تجاذبتنى هذه النوازع واستمر هذا التفكير واحتدم الصراع بين الضمير الطيب الشفاف وبين النفس الامارة .

ولقد دام هذا الصراع وامتد زهاء عام كامل . وأخيرا تغلب الخير على الشر وفاز الضمير على النفس فتصورت فى أعماق نفسى بأننى مسئول أمام الله والتاريخ بعد ما أصبحت فى محيط لا سيطرة لعدو بلادى فيه . بينما وطنى يسيطر عليه ويتحكم فيه عدو لايرقب فى مواطن منا الا ولا ذمة .

عدو ماكر يعمل على اذلال شعبنا والتنكيل به وامتلاك أراضيه ومحق قوميته وازالة عقيدته وطلينة معالمه ، فلا بد والحالة هذه من عمل سياسى فى الخارج لاحياء روح الكفاح والاستعداد للثأر بين صفوف المهاجرين لاعادة الجهاد واستئناف النضال فى مستقبل الايام حتى لايجد اليأس طريقا الى نفوسنا .

ولقد أملى على ذلك الصراع العنيف بين النفس والضمير بأن الانسان مهما تمتع بالراحة ومهما اكتسب من الثروة فهو اذا لم يكن له شعب ينتمى اليه . ووطن يفتخر به . وعمل تفائدتهما يسجله له التاريخ بمداد من النزاهة والاخلاص فهو بلاشك انسان تافه يعيش ذليلا حقيرا كالواو فى عمرو بين الجماهير . وبالجملة يحيا حياة تنقصها كل المعنويات وفوق هذا كله فان نسيان ذلك الشعب الذى أنا منه . وتناسى ذلك الوطن الذى تعلمت فيه والربوع التى ترعرعت بها وتغذيت من خيراتها واستنشقت نسميها . وهاتيك التربة التى توارت فيها سلسلة طويلة من أجدادى لايعلم عددها الا الله . فان نسيان ذلك كله والركون الى الراحة ولذة الحياة البهيمية فهى أقصى درجات العقوق .

وهكذا بهذه الفلسفة الوطنية تفاعلت الافكار فى نفسى وتبلورت حتى لقد أصبحت عقيدة راسخة لاأستطيع التحول عنها ولا الهروب منها . ولقد زادتها تفاعلا ورسوخا فى النفس تلك الاخبار التى نطالعها فى الصحف عن الحركات الوطنية التحررية والاهتزازات الشعبية واليقظات القومية التى أخذت تتململ فى الشرق وفى الغرب . وفوق هذا وذاك فانا فى بلد تتوالى فيه الاجتماعات الحزبية والمحاضرات الوطنية وتقى وتتطور دائما الى الامام فى مقاومة المستعمر الدخيل من يوم لآخر . فلهذه الاسباب والعوامل كلها مجتمعة اندفعت فى ميدان العمل بقدر امكانياتى المادية والثقافية والتعليمية مضحيا بكل مااكتسبته من مال ووقت . واننى حينما أقول هذا لاأريد عليه جزاء ولا شكورا . ان أجرى الا على الله . كما وانها ليست منة على أحد من العالمين اذ ان المنة لله وحده ، ولكننى أقول هذا للتاريخ . تاريخ هذه البلاد . وللموعظة والقدوة فى آن واحد لمن سيأتى من بعدنا من الاجيال . والله ولى التوفيق .

لمـاذا اختفيت وراء أسماء مستعارة ؟

كدليل على بيان الاسباب التى جعلتنى أختفى وراء أسماء مستعارة فيما أنشره : أولا : لايهام الاعـداء بأن المقاومين مجموعة وليس فردا واحدا ، ثانيا : نفـوذ ايطاليا المتغلغل فى البلاد التونسية فى ذلك العهد ثالثا : مجاملة فرنسا لايطاليا بصورة واضحة جلية • رابعا حوادث ارتكبتها ايطاليا فى تونس توضح مالها من النفوذ الخطير واليد المطلقة بسبب الامتيازات القنصلية وضخامة عدد جاليتها حتى لقد كادت أن تغطى على الفرنسيين أصحاب الحكم فى تونس اذ ذاك • وأنا هنا أذكر حادثتين على سبيل المثال وليس الحصر •

الحـادثة الاولى :

كل الاخوان الليبيين المهاجرين بتلك الربوع • والذين منهـم يعملون فى ميدان القضية الوطنية بصورة خاصـة يتذكرون جيدا ذلك الفريق من اخواننا الذين كانوا مجندين عند ايطاليا وأصدرت أوامرها بارسالهم الى الحبشة وفى طريقهـم من جنوب البلاد « فزان » الى العاصـمة « طرابلس » لركوب البحـر • وفى (برق النصـف) الواقع بين (غدامس • ونالوت) ثاروا على ضابطهم الملازم (بيوندى) الايطالى المتعجرف• وقتلوه بسبب اهانة فظيعـة لحقتهم من ذلك الضـابط الاسـتعمارى المتعصب المتعجرف •

ولقد فر فريق منهم من وجه السلطة الايطاليـة ودخلوا الاراضى التونسـية بعدما سمحت لهم فرنسا فى البلدين وسلمت لهم أوراقا تسمح لهم بالاقامة والعمـل وبعد مدة طالبت ايطاليا بتسليمهم اليها وألحت فى الطلب • وعندما نمى الينا ذلك اجتمعت الجمعية وبحثت فى الموضوع ونتيجة لهذا الاجتماع كلف صاحب هذه المذكرات: « سكرتير الجمعية » للاتصال بالجهات ذات الاختصاص • ذهبت الى «الكتابة العامة » والكتابة العامة فى تونس على عهد الحماية الفرنسية هى بمثابة وزارة الداخلية تماما • وطلبت منها ان تتداخل فى الامر كى لايقع تسـليم اللاجئين بحجة أن هذا التسليم اذا وقع سوف يضر بحركتنا ضررا فادحا • ويشوه سمعة فرنسا • ونحن فى انتظار حوادث آتية لاشك فيها • وماذا كان الجواب ؟ الجواب ان ايطاليا ألحت فى الطلب وشـددت ونحن فى ظروف سياسية دقيقة فلانريد معاكسة ايطاليا ومن هنا لانستطيع ان نفعل شيئا فى الامر • وهكذا فقـد كانت لايطاليا اذ ذاك منزلة ملحوظة عند فرنسا اما لرغبـة أو لرهبة أو لهذه وتلك • وهكذا فقـد جمعت فرنسا أولئك الاخـوان من مختلف الجهات بعدما تفرقوا فى المدن والآفاق وجاءت باخرة ايطاليـة الى ميناء تونس ونزل منها أعوان الامن الايطاليون • وتسلموا من رجال الامن الفرنسيين أولئك الاخوان مكبلين بالسلاسل وأقلعت بهم الباخرة الى طرابلس حيث نفذ حكم الاعدام فى اثنين منهم أحدهما رجيبى

هو الشهيد خليفة سعيد التايب الغالى والثانى شعنبى هو الشهيد محمد صالح ... وقد أعدما فى نفس المكان الذى قتل فيه الضابط الايطالى المذكور بعدما جمعت مئات من المواطنين وحملتهم لنفس المكان ليشاهدوا اعدام أخويهما ارهابا للشعب ونكاية . وعلى أثر خيبة سعينا لدى السلطات الفرنسية فى انقاذ اخواننا . أسرعت الى كتابة كلمة فى الموضوع تحت عنوان : « كيف يعامل العرب فى بلاد العرب » وأرسلتها الى مجلة (الرابطة العربية) التى كانت تصدر بمصر لصاحبها الاستاذ «أمين سعد» ولقد نشرت هذه الكلمة فى العدد ٦١ بتاريخ ١٣٥٦/٥/٢٧ هـ الموافق ١٩٣٧/٨/٤ م وعلى أثر نشر هذه الكلمة وقعت تدخلات واحتجاجات ومساع من طرف شخصيات ليبية وغير ليبية وهيئات عربية . أتذكر من بينها عصبة العمل القومى فى سوريا . ولكن ايطاليا التى يغلب عليها التعصب الدينى . والمتأخرة اخلاقيا بالنسبة لبلدان أوروبا لم تهتم بذلك ونفذت الحكم .

وبعد هذا فالذى تجب ملاحظته هو ان الايطاليين أقاموا بناية بالاسمنت المسلح على هيئة « انقيطون : خيمة » تخليدا لذكرى ضابطهم المستعمر المعتدى فى نفس المكان الذى قتل فيه وفى أرض ليبيا . ولا يزال هذا البناء قائما حتى اليوم حسبما بلغنى . أما شهيدا الوطن فقد ذهبا نسيا منسيا رغم مرور عشرين عاما على الاستقلال .

وحادثة أخرى

كانت توجد بتونس جمعية ايطالية تدعى « انتى فاشسته » تعمل فى مناهضة النظام الفاشى القائم فى ايطاليا . وقد كان عملها بطريقة سرية وعندما تحرجت الحالة الدولية وأخذت بوادر الابتعاد بين ايطاليا وفرنسا تظهر فى أفق السياسة الدولية . رفعت هذه الجمعية عن نفسها ستار السرية واتخذت لنفسها مركزا بتونس العاصمة .

وفى يوم من ايام سنة ١٩٣٨ جاءنى رئيسها الى بيتى بالكرم يصحبه رجل ايطالى طويل القامة خصب الجسم فى حوالى الستين من العمر تقريبا تبدو عليه علائم التعب . وقدمه لى رئيس الجمعية بوصفه شيخ مدينة « .. » فى ايطاليا وقد وصل الى تونس أخيرا فارا من ظلم الفاشيست وبعد ذلك فاتحنى رئيس الجمعية بخصوص العمل واياهم متعاونين ضد الفاشيست لاننا مظلومون على السواء على حد تعبيره .

وبعد مداولات فى الموضوع سلمت له شروطا تتعلق بمستقبل بلادنا فيما اذا آل الحكم فى ايطاليا اليهم بأى سبب من الاسباب . كما سلمت له مقالا يحوم حول الموضوع نفسه مكتوبا بالعربية طلبت اليهم أن ينشروه فى جريدتهم التى كانوا يصدرونها بتونس باللغة الايطالية . ويبدو ان الشروط لم تكن مقبولة لديهم . اذ لم يجيبوا عليها . أما المقال فقد نشر مشوها حيث جاء فيه كلام لم يصدر عنى . فقد

قالوا اننا قد اتفقنا على العمل معا الامر الذى اهتزت له الدوائر الفرنسية فى تونس فاستدعتنى جهة عليا وسئلت عن صحة مانشر فنفيت الخبر • وأعدت الى رئيس الجهة مادار بينى وبين رئيس الجمعية الايطالية والى هنا فقد انقطع اتصالنا بهذه الجمعية • قلنا آنفا ان هذه الجمعية كانت تعمل فى الخفاء وحينما أحست بتغير الظروف برزت تعمل جهرا • ولقد كان لعملها تأثيره على ايطاليا الامر الذى حدا بحكومة ايطاليا أن تعمد الى ارسال باخرة حربية فى صورة باخرة تدريب مدرسية قدمت فى زيارة الى تونس ونزل ركابها يتجولون فى المدينة « ومما لاشك فيه ان فى جانبهم من يهديهم الى أى مكان يريدون » فدخلوا الى مركز الجمعية وقد صادف أن وجدوا سكرتيرها بالمكتب فأطلقوا عليه النار من مسدس فخر صريعا لحينه ظنا منهم انه رئيس اولجمعية وقد رجعت الباخرة برجالها سالمين ولم ينلهم أى عقاب فيما نعلم ذكرت هاتين الحادثتين كدليل على ما لايطاليا من النفوذ الواسع واليد المطلقة فى تونس الى قبيل اعلان الحرب من طرفها على الحلفاء ـ فللاسباب المتقدم ذكرها والحادثتان اللتان ذكرتهما على سبيل المثال ـ وموقف السلطات الفرنسية تجاه ايطاليا • • واحتياطا من ذلك كله • واجتنابا لما قد يؤدى الى قيام ايطاليا بالضغط على فرنسا لاخراجنا من هذه البلاد المجاورة لبلادنا كما وقع لاخواننا فى الشرق ونحن يفيدنا القرب من بلادنا فلهذه الاسباب المذكورة وغيرها اختفيت وراء اسماء مستعارة فيما أنشره •

كيف بدأت الحركة الوطنيـة
بصـــورة فردية

ففى سنة ١٩٣٦ م وبعد الاستقرار فى المنطقة بدأت الحركة الوطنية بالنشر على الصحف التونسية • ولقد كنت أترصد لكل قادم أعرفه من مواطنينا الذين كانوا يفدون الى تونس فى مصالحهم الخاصة • وأفتح معهم محادثات لالتقاط الاخبار الصالحة للنشر وكل ماظفرت بخبر مهما كان صغيرا الا واتخذته أساسا للتشنيع بتصرفات الاستعمار الايطالى فى بلادنا مستترا وراء تلك الاسماء المستعارة •

وأنا حينما أفعل ذلك التستر أفعله لضرورة حتمتهـا ظروف البلاد التونسـية وموقف فرنسا المتأرجح ووضع ايطاليا القوى فى تونس كما اوضـحت آنفا • ريثما يتغير الجو وتتبدل الظروف التى كانت تملى على فرنسا مجاملة ايطاليا فمن أجل ذلك فقد كنت أسير فى عملى بقدر وحذر شديدين الى ان تجلو تلك الغيوم التى تخيم عـلى السياسة الفرنسية وتتضح لنا الرؤيا فتبدوا لنا معالم الطريق التى نود سلوكها عندما يتضح لاتجاه المقبل للسياسة الايطالية والتى سيقع تقييم الموقف الفرنسى تجـاهنا على اساسه • اما بعمل واضح وصريح والدفاع ضد عدونا لتحرير بلادنا وأما مجابهة ظروف جد خطيرة بالنسبة لنا ومجهولة النتائج ايضا •

والجدير بالذكر هو اننى برغم اعتبارى لتلك الظروف ومسايرتها والحذر منها

وبالرغم مما يتراءى فى الجو السياسى الفرنسى من الميول والمجاملة لايطاليا فقد كنت مطمئنا للمستقبل • لاعتقادى ان تلك الظروف سوف لاتدوم طويلا • وسوف ينسفها موسولينى بلكمة عندما يقف فى شرفة قصر البنـدقية ومنها يبعث كلمتـه النهائيـة المنتظرة • ذلك لاننى فهمت من خلال اتصالاتى بأن فرنسا تفعل ذلك طمعا فى جـذب ايطاليا الى صف الحلفاء وفى نفس الوقت الى حد يقرب من اليقين ان ايطاليا منحـازة الى ألمانيا حتما • عرفت ذلك على ضوء الماضى الذى ترك أثرا سيئا فى نفس زعيم ايطاليا (موسولينى) ولقد زادنى ايمانا وتأكيدا مانسمعه ونشـاهده واضـحا جليا من تذمر الجالية الايطالية بتونس بصورة عامة وما يتفوه به المتزعمون لها بصورة خاصـة • وفى تاريخ لاأتذكره جاءت فرقة تمثيلية ايطالية وقد مثلت رواية ايطالية فى مسرح يقع فى شارع « الحبيب بورقيبة الآن • وقد كنت من الحاضرين لمشاهدة هـذه التمثيلية • فوقف شخص ايطالى لاأعرفه وألقى كلمة جاء فيها مانصه حسب ماكتبته صحافة تونس « فوق خراب قرطاجنـة التى لاتزال أثار الرومان بارزة فيهـا ربما بزغت شـمس جـديدة » •

كما يؤخذ من خطابات دكتاتور ايطاليا الفاشية ومبلغ اعجابه بنفســه واقتناعه

بضخامة قوته واعتماده على شعبه واعتزازه بحليفه القوى الجبار • وأساسا فان موسولينى حانق ساخط على حلفاء بلاده فى حرب سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨م لاعتقاده ان ايطاليا قد غبنت وأهينت وظلمت حيث لم يكن لها من القيمة التقديرية والاعتبار فى تصرفات حلفائها وفى اقتسام الغنائم المادية والمعنوية والمستعمرات الناتجة عن انهزام « ألمانيا وتركيا والنمسا • » ما لحلفائها

بناء على ذلك كله فقد كنت معتقدا ان ايطاليا لن تكون فى صف الحلفاء فى الحرب المقبلة • ورغم ذلك فقد استمررت فى عملى متنكرا متعدد الاسماء لمدة عامين تقريبا دون أن يعرف ذلك أحد • ولزيادة الاحتياط فقد ابتعدت عن دور الصحف فى تلك الظروف غير الواضحة وقد كانت اتصالاتى بأصحاب الصحف محدودة على أشخاص معينين فى محلات عمومية وفى أوقات الفراغ •

ومن قبيل النوادر اذكر اننى فى يوم من ايام شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩م كنت جالسا فى احدى مقاهى تونس ومن باب الصدف دخل أحد الاخوان المهاجرين فجلس معى وأخذنا فى الحديث حى وصل بنا الكلام الى الوطن وهنا سألنى هذا الاخ بقوله : ان شخصا أو أشخاصا يكتبون فى الجرائد عن طرابلس منذ مدة طويلة وقد سألت كثيرا فلم أصل الى معرفة أى منهم فهل تعرف أحدا ••؟ فقلت أنا مثلك أود معرفة من يكتب عن طرابلس ، ولكننى لم أجد من يعرف ذلك • فأخذ الرجل يظهر استغرابه ثم قال : من واجبنا أن نعرف ذلك • أما انا والحق أقول فقد ساورتنى الشكوك وخفت أن يكون مكلفا من جهة ما لاكتشاف هذا المجهول •



الاتصـال بالمرحوم السـعداوى
وتأسيس الجمعيـة



المرحوم بشير السـعداوى

وفى أحد شهور سـنة ١٩٢٨م أرسل الزعيم المجاهد المخلص المغفور له بشير بك السعداوى الذى أخرجته بريطانيا من مصر سنة ١٩٢٤ م مع زملائه من مواطنيـه أولى الثقافة وأصحاب القلم والمبادىء الوطنية أخرجتهـم من مصر ارضاء لايطاليـا وبطلب منها ٠ وذلك بسبب امتناعه عن التعهد بعدم الاهتمام بوطنه وعدم مناهضة الاستعمار الايطالى فتحول الى سوريا واستقر بدمشق ٠ ومن دمشق وفى التاريخ أعلاه أرسـل

رسالة نشرتها جريدة (الصواب) الاسبوعية التونسية لصاحبها المرحوم الشيخ محمد الجعايبى رحمه الله • وهى رسالة نداء موجهة الى المهاجرين بالقطر التونسى يذكرهم ويستنهض هممهم ويطلب اليهم التكتل وتنظيم الصفوف وتكوين الجمعيات لتوحيد الجهود والعمل على احياء روح الكفاح لانقاذ بلادهم • وبالجملة فهى اثارة لشعور المهاجرين كى لاينسوا بلادهم التى تركوها ترزح تحت كلاكل أفضع وأقذر استعمار أوروبى متعصب دينيا متأخر حضاريا فقير ماديا بالنسبة لدول أوروبا •

نشرت الجريدة المذكورة رسالة السعداوى مذيلة بعنوانه • وأقول الحق اننى حينما وقع نظرى على الرسالة غمرنى السرور وهزنى الفرح ، ذلك لاننا عندما بلغنا خبر التضييق على اخواننا الاحرار المخلصين واخراجهم من مصر ارضاء لايطاليا قد أصابنا الكثير من القلق • وخالجتنا أفكار مخيفة على مستقبلنا بسبب تضامن الاستعمار وتعاونه على ظلمنا بملاحقتنا حتى خارج بلادنا لارغامنا على قبول الذل والاستسلام له • ومن أجل صمود اخواننا واعلانهم الاستعداد الصادق للعمل ضد ذلك العدو الظالم قد كان سرورى عظيما جدا • فالرسالة المذكورة قد وسعت لنا ميدان العمل وقوت فى نفوسنا الامل •

ولا غرو فأنا مبتدىء فى العمل وفى جو غامض ومستقبل مجهول وظروف شديدة التمس الطريق وأفتش عن المشجع والرفيق ، فبينما أنا كذلك اذ بشعاع من نور مضىء ينبعث من (جلق) الشماء كما تنبعث الشمس من وراء السحب الكثيفة فتضىء الكون وتبعث فيه قدرا من الحرارة الصالحة لحياة الانسان ، المعينة على مقاومة الحشرات الطفيلية الضارة • فكذلك كان ذلك الشعاع المعنوى المنطلق من (دمشق) مرقد صلاح الدين قاهر الرومان من قبل • وملجأ المجاهد الليبى عدو الاستعمار من بعده انطلق ذلك الصوت من ضفاف بردى أعلنه المجاهد الليبى المخلص فرددت صداه تونس الخضراء معقل الفاتح (أسد ابن الفرات) بلسان المهاجرين الليبيين ان حيى على العمل أجل لقد بعث ذلك الصوت فى نفوس الليبيين نورا أضاء لهم تلك الظروف المظلمة فارتفع الايمان بالعمل الى مستوى حرك المشاعر وألهب النفوس بعدما اصيبت بفترة من الذهول أدت الى فتور مخيف نتيجة لهول الصدمة • فتحركوا للعمل يحدوهم الامل فى المستقبل استعدادا لظروف آتية لاشك فيها • وقد يكون فيها خيرا لوطننا • وبكل غبطة أسرعت بالكتابة للمرحوم السعداوى • ولم تطل مدة الانتظار حتى تلقيت جوابه يحوى تفاصيل وتوصيات وارشادات جمة •

ومنذ ذلك الحين أخذت الرسائل تتبادل بيننا ولا يزال عملى فى سبيل الوطن الى ذلك الوقت عملا فرديا • ومقتصرا على النشر • وفى احدى رسائل السعداوى رحمه الله ــ فى نفس السنة اى ١٩٢٨ م يقول لى فيها : انه يوجد أخ لنا بجامع الزيتونة

اسمه محمد عباس ارجو أن تتصل به ومن ذلك اليوم أخذت فى البحث عن ابن‌عباس بين طلبة هذا الجامع • وما كنت أدرى ان الاخ عباس قد اطلع على رسالةالسعداوى المنشورة على جريدة (الصواب) هو الآخر وكتب له وتلقى الرد وفيه نفس الاشارة التى توجهه الى الاتصال بأحمد زارم • وهكذا فقد كان المرحوم السعداوى همزة الوصل بينى وبين ابن عباس فعرفنا بعضنا بالاسم بواسطته جزاه الله بما هو أهل له من الرحمة والرضوان وسكنى أعالى الجنان •

وفى أحد الايام جاءنى الشيخ محمد عمار الشرادى وقال لى ان شخصا من جامع الزيتونة اسمه (محمد عباس) يسأل عنك ويود مقابلتك فقلت له أنا بدورى أفتش عنه • وقد تم اللقاء بينى وبين الاخ عباس ضالتى المنشودةبواسطة الشيخ محمد عمار الشرادى ومن حسن الحظ وبشائر المستقبل ان وجدت فى ابن عباس رجلا نادر المثال قليل النظير فهو على مستوى ملحوظ فى‌التدين فى قوله وفى عمله ومعرفة للدين‌نظيفة من الشوائب الدخيلة وعلى أعمق مايكون من الاخلاص الوطنى وعلى مستوى عال من الشهامة العربية والوفاء كريم النفس واليد صادق‌الاقوال عظيم الاهتمام كثير النشاط قوى البذل فى الحركة الوطنية • وبالجملة • فقد حلق‌هذا الرجل فوق‌الجميع بأعماله وصفاته ونكران الذات بين مجموعتنا اطلاقا •

أقول هذا عن تجربة طويلة امتدت عشرين عاما هذه كلمة أقولها بالمناسبة فى الاخ محمد عباس وهى حق على ودين فى ذمتى فمن الواجب أن أؤديه للحقيقة وللتاريخ « والله على مأأقول وكيل » وفى اعتقادى اننى حينما أقول هذا فى رجل عرفته طويلا فسبرت عوده وعجمت عوده فأعجبت به • فان قولى هذا لاينقص من أعمال الآخرين فكل منهم عمل بقدر ماسمحت له به أوضاعه الخاصة • وكذلك بعض الاخوان الذين لم أتذكرهم • وليس معنى ذلك انه لايوجد غير المذكورين كلا فالاخوان كثيرون •

وبعد الاتصال والتعارف مع ابن عباس والتعاهد على العمل مهما كلفنا الامر أخذنا فى الاتصال مع بعض الاخوان • وأول من اتصلنا به هو « الاخ : الحاج محمد المجدوب التاجورى » فعرفت فيه رجلا وطنيا مخلصا متحمسا ومتدينا الى حد التزمت ومن جهة أخرى كان معجبا بنفسه قؤولا فى غيره ، ولكنه فارقنا بعد مدة وجيزة ولم أره منذ ذلك الوقت ١٩٢٨م ولم أسمع عنه شيئا ولا فى أى بلد من بلاد الله ، وفى‌سنة ١٩٧١ م التقيت به صدفة فى طرابلس ، ومنه علمت بأنه قد أصبح من سكان «سبها» وفى سنة ١٩٢٨م جاءتنا رسالة من المرحوم السعداوى يعلمنا فيها بأنهم قد شكلوا هيئة باسم (اللجنة التنفيذية الجاليات الطرابلسية البرقاوية)

وعلى أثر ذلك اجتمعنا أربعة أشخاص هم : (محمد عباس ـ محمد عمار ـ محمود على ـ أحمد زارم) وشكلنا منأربعتنا هيئة بدون رئيس وأسندت سكرتاريتها لصاحب

هذه المذكرات • وجريا وراء الاتحاد والتكتل والارتباط معا لاعطاء عملنا قوة واتساعا مع اخواننا فى الشرق فقد قررنا ان لاتكون هيئتنا مستقلة ، ولذلك أطلقنا عليها نفس الاسم ولم نزد عليه الا عبارة واحدة هى (فرع تونس) ثم كتبنا الى جماعة الشام بذلك وتم الاتفاق بيننا • وفى سـنة ١٩٣٤ م انضم الينا الاخوان : محمد شكرى كويدير بنغازى ـ عبد القادر الورفلى ورفلة ـ المبروك عمر بالريشة غريان • أحمد تريفيس زليتن ـ رمضان حسن طالب سوق الجمعة ـ محمد غالب الكيب صبراته ـ عمر مالك غدامس ـ سالم النعمى تاجوراء ـ محمد فياض غدامس ـ مفتاح الدقينى ساحل لحامد • مفتاح عليليب زليتن ـ رمضان شادى • ورشفانه ـ احمد الفرجانى ترهونة ابراهيم السويحلى زليتن • ومحمد على الشعشانى تكله • ولقد كان الشهيد المرحوم (محمد شكرى) رجلا لين العريكة هادىء الطبع مسالما لكل الاخـوان يساير الجميع ولا يقطـع أمرا الا بالتشاور والموافقة ليس له رأى مستقل ولهذه الصفات اتخذناه رئيسا للجمعيـة فى سنة ١٩٣٤م • ولقد سارت الجمعية فى أعمالها دون أن نتخذ لها مقرا تبعا للظروف وقد كانت اجتماعاتنا متنقلة فى بيوتنا هنا وهناك هروبا من عيون المتتبعين •

وهناك مجموعة أخرى من الاخوان التحقت بالجمعية فى منتصف سنة ١٩٣٩م حينما تكهرب الجو وتحقق الخطر واتضح الموقف وبدأت الحرب فى أوروبا ومن بين الذين انضموا : محمد ابن الحاج حسن مشاشية ـ سالم بن عبد النبى زنتان ـ احمد الحاج خليفة بن مبارك نالوت ـ محمد حلمى الخمس ـ محمود العش طرابلس ـ محمد على العرضاوى الرحيبات ـ يونس عبد النبى بلخير ورفله ـ نور الدين شميلة زليتن ـ محمد احمد عريقيب زليتن ـ على محمد ابو ستة سوق الجمعة ـ حسن الفيتورى ريح النواحى ـ مفتاح عريقيب زليتن ـ الشيخ مفتاح الفيتورى زليتن والطاهر القمودى ـ مسراته ـ الحاج اسماعيل بن اسماعيل مسراته ـ عبد الهادى الزركون ورفلة ـ الحاج مفتاح الزنتانى الزنتان ـ الطاهر البدى أولاد أبى سيف • الشيخ محمد الغطاس زليتن ـ سالم ابراهيم الدوه الرحيبـات • محمد ابن خليفة بن عامر العزيزية ـ الهادى الحرك الختنه : نواحى ـ عبدالله السركسى مسراته • مسعود محمد كعرود الرحيبات ـ وكثير غيرهم • هذا واننى لأرجو من الجميع عـدم المؤاخذة من الذين يتخلف ذكرهم هنا ذلك ان المدة طويلة والاخوان كثرة راجيا منهم أن يحملوا ذلك على حسن النية • والله من وراء القصد •

نحـــن وفرنســـا

ففى سنة ١٩٢٩ م كنت اشتغل سائق سيارة فى احدى المحلات التجارية الكبرى لبيع الالات الزراعية بتونس ، وهى دار انجليزية ومديرها المباشر يهودى تونسى • وفى يوم من أيام شهر نوفمبر من هذه السنة وردت الينا مناشير طبعت فى سوريا من قبل اللجنة التنفيذية لتوزيعها وقد كانت هذه المناشير مثيرة جدا. ولقد قام كل منا بتوزيع الكمية التى سلمت اليه سواء ذلك مباشرة او بواسطة البريد للاماكن البعيدة ولقد قمت بتوزيع ماخصص لى على الصحف وأئمة المساجد والهيئات والاحزاب وغير ذلك فى مختلف اقطار شمال افريقيا ، ولقد طلبت من أئمة الجوامع أن تقرأ هذه المناشير على المصلين أثر صلاة الجمعة •

ولقد استجاب الجميع لهذا الطلب فأحدثت هذه المناشير جوا متوترا فى البلاد التونسية أدى الى وقوع مظاهرات فى مختلف أنحاء البلاد • وكان أشدها فى تونس العاصمة حيث قتل فى المظاهرة اثنين من الايطاليين حسبما بلغنى فى ذلك الوقت من بعض المصادر فاهتزت لذلك الدوائر الفرنسية فى تونس وأخذت فى اجراء تحريات عن مصدر هذه المناشير ومروجيها • وبعد هذه الحوادث بيومين وردتنى رسالة من أحد الاخوان يدعى « عبد القادر الورفلى » يقيم فى بلدة تاجروين من عمل الكاف : تونس ، وهو رجل مهنته تعليم القرأن الكريم وجاء بالرسالة شخص خاص للاستعجال •

يقول السيد عبد القادر فى رسالته — ان قراءة المناشير أحدث حركة توتر نفسى شديدة فى «تاجروين» ولقد توصلت المباحث الى أن مروج المناشير هو السيد عبد القادر، وقد أخذوه للتحقيق وطلبوا منه أن يخبرهم عن المصدر ، وقال فى رسالته انه يمضى ساعتين كل يوم فى مركز البوليس للتحقيق وقد تضايق كثيرا لذلك فقد طلب منى الجواب بسرعة مع الحامل ، وفى الرسالة أدركت ان الرجل اصبح فى قلق شديد ، ومن واجبى أن لا أتركه ، فأشرت عليه بأن يقول لهم الحقيقة •

وفى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٩م بينما كنت فى جولة عمل بسيارة الشركة وعند عودتى وجدت فى مكتب الشركة بطاقة استدعاء من الكوميسار المركزى « او كوميسار فندق الفول» كما يسمونه فى تونس ومن غد ذلك اليــوم ذهبت الى (الكــوميسار) المذكور وبقيت فى الانتظار حوالى ساعة ثم أدخلت الى الكوميسار نفسه ، وبعد حصة من السكوت المطبق أخذ فى التحقيق معى الى منتصف النهار ، ثم عدت بعد الظهر حتى نهاية ساعة العمل ، ولقد استمرت الحالة على ذلك لمدة ثلاثة أيام متوالية حتى لقد كدت أن أفقد عملى الذى أتعيش منه ، ولكنى فهمت من اليوم الاول ان الامر شكلى ، لان استقبالى كان طيبا والتحقيق معى كان فى لطافة واحترام •

وفى شهر ديسمبر الموالى تخليت عن هــذا العمل كسائق سيارة فى هذه الدار نظرا الى أن هذا العمل يبدأ وينتهى مع ظهور الشمس واختفائهــا ولا توجد فى ذلك الوقت حماية قانونية نافذة المفعول فى تونس ، وفى نفس هذا العام التحقت بورشة

لبيع وتصليح السيارات • وقد علمت بهذه الورشة لمدة عام ونصف العام • ثم انتقلت منها الى شركة الترامواى « خلاص » ولقد كان الاجر اليومى فى هذه الشركة بالنسبة « للخلاصين » (١٢) فرنكا وهو أجر كبير فى ذلك الوقت بقيت فيها لمدة عام ثم تخليت عنها وباشرت عملا حرا فى تونس العاصمة . ثم فتحت متجرا فى منزلى «بالكرم» وفى شهر يناير سنة ١٩٣١م حينما كان الاستاذ محمد عباس يواصل دراسته بجامع الزيتونة وكان يسكن فى بيت تقع «بنهج النساء» منطقة باب المنارة : تونس ففى هذا التاريخ وردت الينا رسالة عن طريق البريد من طرف (اللجنة التنفيذية) فى سوريا على عنوان بيته وفى طيها رسالة موجهة للاستاذ (محى الدين القليبى) الزعيم التونسى •

والمرحوم محى الدين هو خليفة الزعيم التونسى الراحل المرحوم « عبد العزيز الثعالبى وهو أى محى الدين من أقطاب الحركة الوطنية فى تونس ومن اخلص العاملين فيها وله فكرة أوسع من ان تشده الى تونس •• بل هو مسلم عربى تستووى فى نظره اقطار العروبة والاسلام وله شخصية بارزة محبوبة وأخلاق اسلامية عالية ونزاهة قل نظيرها وهو من الكتاب المعروفين فى العالم العربى ومن المشاركين فى خدمة القضية العربية العامة •

أما بالنسبة للحركة الوطنية التونسية فيرجع له الكثير من الفضل فى ايقاظ الشعب التونسى واعداده للعمل وتهيئة أفكاره للمقاومة والتضحية بعد الزعيم الثعالبى والذين زاملوه من رجال تونس وشكلوا الحزب الحر الدستورى التونسى • وبه دخلت الحركة الوطنية ميدان الكفاح •• الامر الذى سهل الحركة للذين قادوا الحركة فيما بعد للوصول الى النتيجة التى هى الاستقلال دون عناء كبير او زمن طويل بالنسبة للماضى ولضخامة القضية وأهميتها وعناد الاستعمار • اذ وجدوا شعبا يفهم مايقال له وينفذ مايؤمر به ويدرك لماذا يعمل وكيف ينفذ •• أقول هذا على معرفة لاننى عشت هذه القضية ثلاثين عاما وشاركت فى بعض حوادثها •

قلنا وردت لنا رسالة تتعلق بحركتنا وفى طيها رسالة للاستاذ محى الدين القليبى ، وبدون وجود رقابة رسمية على مراقبة المراسلات ولا حتى ظروف مبررة فقد فتحت السلطات الفرنسية رسالتنا ووجدت بها الرسالة الموجهة الى الاستاذ القليبى ، وهو من هو بالنسبة لفرنسا خاصة والاستعمار عامة •

وعلى غير علم منا جاء رجال الامن الفرنسيين يصحبهم « كوميسار » الى منزل الاستاذ عباس الآنف الذكر ومن باب الصدف لم يجدوا أحدا منا الا شابا تونسيا صغيرا يدرس فى جامع الزيتونة تحت رعاية الاخ محمد عباس وهو ابن احد أصدقائه فهددوه وضربوه ضربا موجعا طالبين منه أن يخبرهم باسماء الذين يترددون على البيت وتحديد اوقات ترددهم وخصوصا من التونسيين ، ثم اوصوه ان يبلغنا بالحضور جميعا بنفس المحل فى يوم ووقت حددوهما له . ولقد كان ذلك وتواجدنا فى اليوم والوقت المحددين الا انه لم يات أحد من طرف الامن العام •

وهكذا فقد سارت اللجنة فى عملها موفقة رغم امكانياتها الضئيلة وسيرها المرتبط بالمجهود الفردى فقد كانت تقوم على امكانيات أفراد لم يتجاوزوا عدد أصابع اليد الواحدة الى غاية آخر سنة ١٩٣٩م وذلك لان الاكثرية من اخواننا فى ذلك الوقت كانوا فى حالة هى أقرب الى اليأس منها الى الامل فى النتيجة المرجوة من حركتنا ، وذلك بسبب سيطرة ايطاليا على البلاد وضعفنا نحن فى الخارج كما يصور لهم تفكيرهم الذى استولى عليه الشح والتقاعس وربما حتى اليأس ذلك اننا دعونا الى اجتماع يقع فى بيت الاخ الشيخ رمضان حسن طالب « بالمدرسة القاسمية » بتونس للتشاور فى الاتفاق على قيمة اشتراك يتعهد بدفعه كل من يريد مساعدة الحركة من الاخوان ولقد تم الاجتماع ليلا وفى المحل المذكور . وقد حضره عدد من الاخوان أتذكر منهم — : الشيخ رمضان حسن طالب — والشيخ المبروك عمر ابوريشة الغرياني والاستاذ محمود الرخصى وكاتب هذه الذكريات وبعد المداولة فى الموضوع تكلم كل منا بما يراه وجاء دور الاستاذ الرخصى وهو من المتعلمين والمثقفين ومن المتدينين جاء دوره فى الكلام ، فقال هكذا باللهجة وبالحرف : (أنا مانعطيش أفلوسى ياكلوهم الرجال ويضحكوا على) ولقد كانت هذه الجملة عبارة عن قنبلة انفجرت وسط ذلك الاجتماع فتشتت المجتمعون وفشل المشروع المجتمع من أجله وعلى هذا المنوال قس مالم يقل

وعلى كل فلقد كان لاعمال هذه اللجنة تأثير سيىء على سمعة ايطاليا وصدمة مخيبة لآمالها وكبحا قويا لدعايتها فى الشمال الافريقى عامة بسبب مفعول تلك المناشير التى توزعها والمقالات والاخبار التى تنشرها فى هذه المنطقة التى كانت مطامع ايطاليا الاستعمارية فيها واضحة جلية خصوصا فى البلاد التونسية بالذات وبتأثير من نشاط لجنتنا فقد أصبحت نشرات ايطاليا ودعاياتها ومساعيها فاشلة وغير ذات تأثير ، وبصورة خاصة فى البلاد التونسية ذلك لان الشعب التونسى شعب قوى الاحساس بالاخوة العربية عميق الشعور بالعاطفة الاسلامية .

وبهذه المناسبة أرى ان الواجب يحتم على أن لا أمر مرور انسحاب على ذكر بلد عشت به أربعا وثلاثين عاما دون ان اسجل هنا انطباعاتى وشعورى نحوه ولذلك فاننى أقول للحقيقة والتاريخ وأسجل شكرى واعترافى للشعب للتونسى العربى المسلم : بأننا قد وجدنا فيه موطنا كريما ووجدنا فى علمائه وصحافته وشخصياته ورجال الحركة الوطنية فيه «قبل انقسامها على نفسها» وجدنا من الجميع كل مساعدة معنوية وعطف أخوى وتقدير أدبى فى حركتنا الوطنية ، وأنا اليوم أسجل شهادتى وأنا خارج تلك البلاد بأن الشعب التونسى كشعب ينطوى على روح عربية ويتحلى بعاطفة اسلامية وشعور أخوى الامر الذى يجعله فى طليعة شعوبنا العربية الناهضة ، والتى يحق للامة العربية ان تعتز بها . والتى بحكم معرفتى لتونس كبلاد والتونسيين كشعب عشرات السنين أكن لهما كل خير ومحبة وذكرى طيبة لاتمحوها الهفوات ولاتغطيها المنعطفات ولا مرور الايام ولا كر الاعوام واننى أدعو الله مخلصا للشعب التونسى بالمستقبل الاجمل والعزة والحياة الرغدة الافضل .

مساعى ايطاليا لضرب حركتنا

قلنا ان حركتنا فى الشرق وفى الغرب قد أثرت تأثيرا قويا على سمعة ايطاليا وأفسدت دعايتها ولقد ظهر هذا التأثيرواضحا فى تصرفاتها الحمقاء ومساعيهاالفاشلة لشل حركتنا بطرق غير شريفة ، فلقد عمدت ايطاليا الىاستدراج ذوىالحاجة وضعيفى الايمان من اخواننا المهاجرين فى الشرق ولقد اضاع فريق منهم الى سماسرة ايطاليا فى سوريا وكتبوا مذكرة أمهروها بتواقيعهم واختامهم التقليدية يقولون فيها مامعناه : انهم من صميم الجالية الليبية ولكنهم لايؤيدون هذه اللجنة التى تدعى النيابة عنهم ولا يعترفون بها أساسا .. الخ»

ولقد نشرت هذه المذكرة فىالصحافة السورية «بالزنكوغراف» من طرف السفارة الايطالية بدمشق الامر الذى اضطر اللجنة الى عقد اجتماع بحثت فيه هذه البادرة السيئة وعواقبها فقررتابدال اسم: «اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية» باسم : (جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة) وذلك فى سنة ١٩٣٣م فيما اتذكر . وفى نفس الوقت كتبوا الينا بتفاصيل الموضوع . وخوفا من مثل تلك الاعمال فى محيطنا ومحافظة منا على دوام الارتباط والتكتل وانسجام العمل معاخواننا لفائدة سيرالقضية فقد بدئنا نحن بدورنا مثل مافعلوا وهكذا وبهذا فقد سقط بيد ايطاليا وخاب الذين عاضدوها .

وبهذه المناسبة استطرد القول فأقول : ولعلى من أولئك الضالعين مع عدو البلاد منهم من لايزال على قيد الحياة وان معظمهم قد يكون اليوم من الذين يقفون فىالصف الاول ويحتلون أماكن الصدارة فى المناسبات وينعمو نبثمرة الاستقلال ويدعون انهم من صانعيه بدون خوف من الله ولا حياء من عباد الله .

وشأن أولئك شأن هؤلاء الذين قادوا الجيوش المغيرة والمرتزقة لاحتلال وطنهم وتسليمه لقمة سائغة للاستعمار الايطالى بعدما حارت ايطاليا فى التغلب عليه بكل ماالديها من قوة وعدد ، ولولا أولئكالضالعون لم تستطيعاحتلال ليبيا بواسطةأبنائها. حتى لو أمدت الحرب الى ان تدخل عليها الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ مع‌علمنا بأنه كان بين نهاية الحرب فى ليبيا واندلاع الحرب العالمية الثانية ثمانى سنوات . هذا بصرفالنظر عنالاضطرابات التىتخللت هذه السنوات منآونة لاخرى والاعتداءات على أعوان حكومة ايطاليا فى مختلف أنحاء البلاد الليبية .

وكذلك الذين تجسسوا لفائدة عدو بلادهم بجد واجتهاد والذين كانوا يصيحون وسط الجماهير بكل صفاقة وقلة حيا قائلين : (الزعيم فى قلوبنا) وهم يعنون بذلك (موسولينى) طالبين بذلك رضاه وهو لاينظر اليهم الا كما ينظر للحيوانات العاملة فى

مزارع أبناء جلدته • أو أقل • وأولئك الذين بلغ بهم التذلل والاستخذاء حتى اخذوا يطوفون على المواطنين ليجبروهم على استقبال (الدكتاتور الفاشيستي) مهددينهم بقولهم « ان لم تفعلوا لأحرقن عليكم دكاكينكم » وأولئك الذين شكلوا وفدا بأوامر المستعمرين لتسفيه وفد المجاهدين والايقاع به طلبا لرضاء الاعداء فلو كان أولئك وهؤلاء جميعهم الذين فقدوا الشعور بالواجب الوطني وتهاونوا بالضمير وداسوا على الكرامة • لو كانوا من الاميين ومن سواد الشعب لالتمسنا لهم عذرا من مستواهم في المجتمع وجهلهم بالنتائج المقبلة لاعمالهم المخزية ومواقفهم المنحرفة • أما وهم من رجال العلم ومن طبقات الشعب الراقية ومن وجهائه فالامر جد عظيم •

ولكن هكذا فقد سولت لهم انفسهم الامارة بالسوء أن يتبعوا خطوات الشيطان ويستبدلوا حياة العزة والكرامة بحياة الذل والاستخذاء لكي يصبحوا عبيدا أذلاء عسى أن يحظوا بنظرة من «موسوليني» خاطفة أو ابتسامة من بالبو واضرابه عابرة حتى انهم بموافقتهم تلك قد أفلسوا الشعب العربي في ليبيا من النتيجة الطبيعية لحرب تحريرية تواصلت احدى وعشرين سنة من الكفاح المسلح و٥٨ سنة من الحربين الساخنة والسياسية أريقت في خلالها دماء طاهرة زاكية وتبددت ثروات ضخمة على اختلاف أنواعها وشردت عائلات كريمة عزيزة ومواطنون مخلصون واهين شعبا كاملا بصورة لن تنسى •

ومع كل ماحصل من النتائج المشئومة بسبب مواقفهم تلك فانهم لم يتعظوا بذلك الماضي الاسود الذي اقترفوه والخطأ الفظيع الذي ارتكبوه • بل ظلوا سادرين في ظلالهم يعمهون اذ قد عادوا سيرتهم تلك حتى في أيام الادارة البريطانية وهم يعلمون بأنها لا حق لها في البلاد • ولكنهم عملوا على تمكينها مع الامريكان والفرنسيين مكنوهم من تكبيل الشعب بمعاهدات هي الاستعمار بعينه • بل هي أدهى وأمر وأنكى وأشر لانه استعمار مشروعا بمقتضى تلك المعاهدات التي جعلت استقلال البلاد اسما بدون مسمى ، ولولا لطف الله بهذا الشعب المجاهد الابي لقاست البلاد من تلك المعاهدات من الاتعاب والاهوال مالا يقاس عليه كل ما مضى •

تحدثنا عن تلك المذكرة الصادرة عن بعض الاخوان في الشرق وقد جرنا الحديث الى الاستطراد «والحديث شجون » جرنا الى الاسترسال في ذكر أشياء تضمنت أكثرها صفحات التاريخ فيما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها وطويت في اكفان التاريخ وما كنا نريد لها نشرا في مذكراتنا هذه لو انها كانت موعظة لاصحابها ولكن •••



البطـل الشهيد عمر المختــار

ذكرت آنفا تلك الحوادث الاليمة التى ساقنى لها الاستطراد . والآن أعـود الى الكلام عن سير حركتنا وتطوراتها فى المهجر فاقول : لمـا كنت أعمل كسائق سيارة كان فى نفس العمـل بعـض الايطاليين وكان من بينهـم شـخص اسـمه « كسبارينو » فاتخذته صديقا من بين الاخرين ذلك لاننى توسمت فيه الهـدوء

وعدم الثرثرة وقد كنت أتودد اليه لانه كان يملك آلة استقبال ((راديو)) وكانت هذه الادلة نادرة الوجود اذ ذاك عند أمثالنا وقد استمرت صداقتنا حتى بعد ان تخليت عن العمل ، كنت أتصل به وأزوره فى محله كثيرا وأكثر ذلك من أجل (الـراديو) وطيبة الرجل أيضا ، فقد كان يخبرني بكل مايسمعه فى الاذاعة من أخبار وما يسمعه من معارفة من الجالية الايطالية وأنافى حاجة الى هذا . وهذا الرجل لا يعرف عنى شيئا الا كعامل .

ففى يوم ١٧ فيما أتذكر من شهر سبتمبر ١٩٣١ م التقيت بصديقى الايطالى هذا وأخبرنى أن هناك شخصا قاطع طريق يدعى مختار قبض عليه فأسررتها فى نفسى ولم أشعره بشىء وفى المساء ذهبت الى الاخوان بمنزل الاخ محمد عباس « بنهج النساء » حيث كنا نلتقى ليلا لنتبادل مايجد لدينا من المشروعات الفكرية والأخبار العالمية وأخبار وطننا ، وأخبرت الاخوان بما سمعته من الحدث المزعج فكانت صدمة شديدة هزت مشاعرهم هزا عنيفا .

ومن غد ذلك اليوم نشرت الصحف ذلك الخبر الذى كان له وقع أليم على نفوسنا وفى يوم ٢٠ من نفس الشهر اجتمعت الجمعية وقد قرر المجتمعون طبع مئات من صور البطل الشهيد وقد وزعت على جميع الصحف والأحزاب والشخصيات فى المغرب العربى وفى كثير من أوروبا ، وقد كانت كل صورة مصحوبة برسالة تشرح بطولة ومواقف وعدالة هذا الشهيد الذى سقط ضحية فى سبيل الكرامة والحرية وصيانة الوطن ، ولقد كان لهذا الحدث وقعه فى النفوس فلقد أحدث جوا قاتما أمام السياسة الايطالية فى اقطار المغرب العربى .

وفى أحد شهور سنة ١٩٣٢ م نعت الينا اخبار الاراضى المقدسة وفاة المسلم الصادق والقائد المخلص المغفور له « السيد احمد الشريف السنوسى » — ولقد قامت الجمعية بما يفرضه الواجب فى هذا الشان نحو عظيم من عظماء المسلمين وقائد من قادة العروبة المخلصين ، فاقامت على روحه الطاهرة صلاة الغائب . ولقد حضرت فى هذه المناسبة مجموعة من الاخوان التونسيين وفريق كبير من المهاجرين . والقيت كلمات التنديد بتصرفات الاستعمار الايطالى فى ليبيا فكانت لها اثار واضحة الامر الذى اقلق السفارة الايطالية بتونس .

وعندما اغارت ايطاليا على الحبشة سنة ١٩٣٦ م انتشرت أنباء روجتها وكالات الاخبار ونشرتها معظم صحف العالم وتحدثت هذه الاخبار بأن الثورة قد بدات من الجغبوب ، وقد كان من تاثير هذه الاخبار ان وصلتنا رسائل عديدة من مختلف الاخوان المهاجرين يستوضحون عن صحة هذه الاخبار . ولا زلت اذكر عبارات من رسالة جاءت من الشاب المتحمس الشيخ ((سالم النعمى)) وهو اذ ذاك

طالب بجامع الزيتونة تقول : (.. ما هو المبرر لبقائنـــا فى تونس وقد بـــدات الثورة فى بلادنا ان الاخبـار عنها قد تواترت وتكـررت أليـس من الواجب علينـــا أن نلتحق بها قبل فوات الوقت .) ..

وقد أجبت الشيخ سالم على رسالتـه بعد أن شكرته على الروح الوطنيـة والشعور بالواجب الوطنى بما يلى : .. اما مسالة الثورة ففى اعتقادى ان الاخبار الرائجة عنها ليست الاحرب أعصاب القصد منهاالتاثيرعلى ايطاليا يطلقها المعارضون لها فى غاراتها على الحبشة ولذلك يجب أن نتريث حتى تتضـح الامـور .. وعلى فرض صحة وقوعها فان الواجب أن نبدا ثورتنا من هنا اى من الحدود الغربية الليبية أولا وسوف نجد من اخواننا التونسيين كل المساعدات .. ثانيا ان تعدد أماكـن الثورة يرهب العدو اكثر من وجودها فى مكان واحد .

وعلى الرغم من اعتقادى الموضح فسوف نكتب لاخواننا فى الشرق وننتظـــر أخبارهم وموقفهـم منها لأنهم أقرب الى الحبشـة والى مكان الثـــورة . والقـد كتبنا للمرحومين بشير السعداوى ــ واحمد الشتيوى . وبعد ايام تلقينا الجواب منهما، ولقد جاء فى جواب السعداوى من دمشق مايلى :

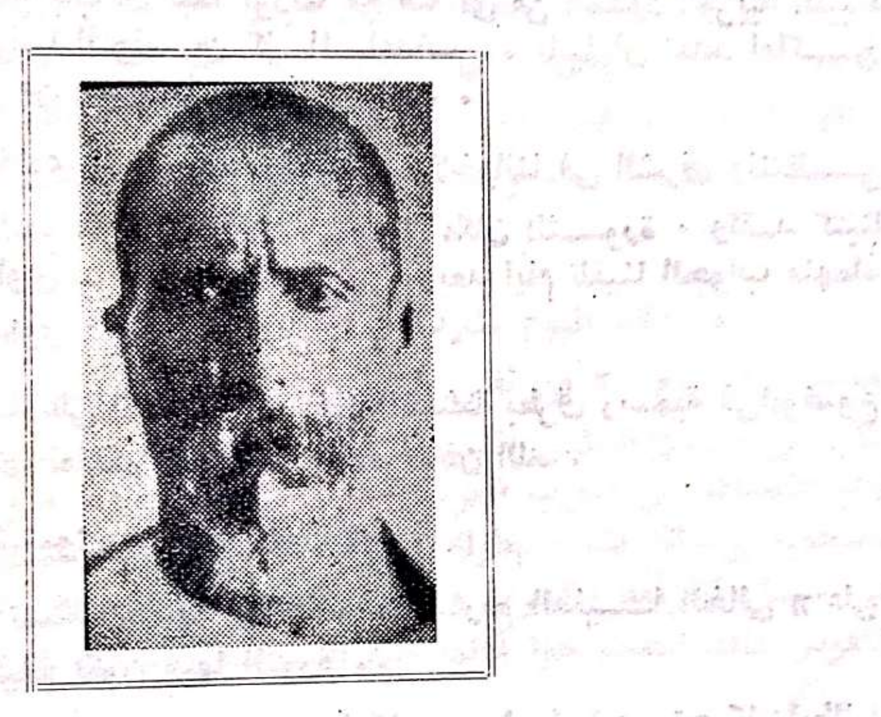
.. نحن من أيام ماضية على اتصال بامبراطور الحبشة بطرق رسمية فىالموضوع ومنتظرين جوابه ، وسوف نعلمكم بما يتم فى الامر باذن الله .

أما جواب احمد الشتيوى من مصر يقول فيه :

.. لا وجود للثورة التى تسئلون عنها والجغبوب فى ربع الدنيـــا الخالى « على حد تعبيره بالضبط » كيف تكون فيها الثورة ..

وفى سنة ١٩٣٧ م ازداد نشاط جمعيتناوكثرت معلوماتها عن تحركاتايطاليا واستعداداتها العسكرية وتصرفاتها فى ليبيـا وقد أصبحت الاخبار تصـلنا بدقة وسرعة لكثرة الاخوان الليبيين الذين اخذوا يتواجدون فى تونس بكثرة لاسباب مختلفة ومن اكبرها حرب الحبشة فى العام السابق وما بعده وقد كنا تعرفنا بالاخ الحاج محمد الكريشى فى سنة ١٩٣٦ م وهو من سكان العاصمة طرابلس ومـن الطبقة المتنورة المدركة ذات الروح الوطنية المتململة ولقد افادنا هذا الرجل بأخبار دقيقة واكيدة ، وكما ان الحاج عبد السلام ابو سهمين من زواره هو الاخر أفـادنا وهذا ابتدا من أول الاحتلال الانجليزى ولم يكن من قبلها ، اما من الجبل : مـن الرحيبات فقد كان الشيخ خليفة عداله رحمه الله يوصلنا برسائله منذ سنة ١٩٣٢م وقد كان يرسلها مع قوافل التجار الى بنقردان وهناك توضع فى البريد ، وقد كان الشيخ خليفة عدالة هذا محل شبهة من طرف الحكومة الايطالية تتجه اليه الشكوك لانه كان من اعيان المجاهدين الذين لم يرضخوا لايطاليا وانتقل من بلد لاخر وجاب الصحارى واخر المطاف عند انتهاء المقاومة صمم على الهجرة مع فريق من اخوانه

الرحبيات واتجه من فزان الى الجزائر الا ان الفرنسيين أوقفوهم وسلموهم للقوات الايطالية التي اعادتهم الى البلاد وأبقت عليهم ومن ثمة كان محل شبهة دائمة ، وعند ابتداء حرب الحبشة فيما اتذكر جاء الى تونس قصدا وقد مكث معى مدة قصيرة ثم عـاد الى الوطن وذلك بطريقة سرية اى بدون جواز سفر وقد أبلغ عنه وهذا ما (زاد الطين بله) ولذلك فحالما عزمت ايطاليا على اعلان الحرب على الحلفاء القت عليه القبض واودعته السجن وبقى به حتى انهزامها فاطلق سراحه الانجليز ولم يلبث الا مدة قصيرة حتى تداعت صحته ومرض مرضا شديدا من تأثير السجن فانتقل الى رحمة الله تعالى رحمه الله .



الشيخ خليفة عداله بن محمد (الفتح) النايب
صورة مستخرجة من السجن

ونظرا الى كثرة الاخبار وصحتها وتوالى نشرها فقد اهتزت السفارة الايطالية بتونس . ولقد زاد من تأثير الاخبار موقف الصحافة التونسـية التى كانت تتلقف ما نرسله اليها وتنشره بعناوين مثيرة وتعليقات لاذعة وبطريقة فيها اثارة لشعور التونسيين . وفى هـذا الظرف بالذات وصلتنى رسالة من الرحيبات جاء فيهـا ان الحكومة الايطالية تجرى تحريات دقيقة عنك وقد سألت فى القبيلة قائلة ماذا فعلت ايطاليا مع هذا الشخص ؟ وما هى أسباب عداوته لايطاليا ؟ . وبلغنى أن الاخوان الذين سألتهم قد انكروا معرفتى وقالوا انه ذهب صغيرا ولم نعرف عنـــه شيئا ، وهم معذورون فى ذلك .

وفى سنة ١٩٣٨ أخذت الحالة الدولية تزداد تأزما واصبح خطر الحرب يتحقق يوما فيوما ويتضح للمطلعين والمتتبعين لأفق السياسة الدولية وأصبح صوت « موسولينى » يلعلع وسط مدينة تونس فينبعث من وراء كل باب من أبواب مساكن الجالية الايطالية وكثرت اجتماعات الدول وتعددت الزيارات بين أقطابها . ففى هذا الجو المتلبد المنذر بانفجار الموقف توالت خطابات (موسولينى) بلهجة تزعزع آلات الاستقبال (الراديو) معلنا مطامع ايطاليا فى تونس والبحر المتوسط

والأدرياتيكى ﻭﻭ .. وخوفا من أن يكون لذلك الجو المحموم بالخطب النارية والتهديدات الحربية تأثير على اخواننا فقد طبعنا منشورا بعنوان « نداء الى الجاليات الطرابلسية البرقوية بتونس وأقطار المغرب العربى » وقد كان منشورنا قويا تهديديا على نسق تلك الخطب وقد وزع المنشور فى جميع الجهات غربا وشرقا بينما الدول أخذت فى التكتل والاستعداد للمجابهة المنتظرة .

مساعى فرنسا سريا لمعرفة دخليتنا

ففى هذه الظروف الدقيقة الخطرة والحالة الجاهمة الغامضة أخذ مكتب الشئون الاهلية (BUREAU DES AFFAIR INDIGEANS)في تونس يرسل الى باعونة وبطريقة سرية وفى اشكال تنكرية وهؤلاء الرسل كانوا كلهم من العرب ، ولقد اتضح لى فيما بعد أن السلطات العسكرية الفرنسية قد عمدت الى طريقة الرسل التنكرية تهدف من وراء ذلك الى الاطلاع بطريقة سرية على دخيلة أفكارنا حتى تتأكد من حقيقة موقفنا ونوايانا أو فيما اذا كانت لنا اتصالات بغير فرنسا ، ولقد كانت تلك الرسل فى صور مختلفة وألوان متباينة من أسود وأبيض ، وحضر وبدو ، ولما كانت الرسل كلها تسعى لموضوع واحد فاننى أكتفى بذكر ما دار بينى وبين أحدها لان أحاديثهم كانت متحدة المعنى مع اختلاف فى التعبير .

ففى يوم ٦ من فبراير سنة ١٩٣٨ م بينما كنت فى منزلى بالكرم اذا برجل فى آخر الكهولة على ما يبدوا ويتضح من لهجته وزيه أنه من سكان الجنوب التونسى جاء به رجل من سكان الكرم فحيانى ورددت التحية بأحسن منها ثم انصرف الذى جاء به وشأنه فدعوته الى الجلوس ، وبعد تناول الغداء وفى فترة تناول الشاى سألته اذا كانت له حاجة ؟ فقال انه رجل طرابلسى ، فبادرته من أى قبيلة ؟ قال : من وازن . ووازن هذه بلدة صغيرة تقع فى الحدود الفاصلة بين ليبيا وتونس الى الغرب من نالوت .

ولقد تبادر الى فى نفس الوقت انه تونسى وقد انتسب الى تلك البلدة لانها لا تختلف فى الزى ولا فى اللهجة مع جارتها (ذهيبة) التونسية وعلى كل فقد أسررت ذلك فى نفسى ورحبت به وبدأ الحديث .

قال الرجل : انه مرسل من طرف مجموعة من اخوانه الطرابلسيين الذين هم معه بدافع من هذه الظروف التى تنذر بالحرب للاتصال بالسيد أحمد زارم لكى يرشدهم الى الموقف الذى ينبغى لهم أن يقفوه فى أى جانب حتى يكونوا مع اخوانهم .
فقلت له : أن موقفنا واضح لا يستحق الشرح .
فقال : وكيف ذلك ؟
فقلت : أننا ضد أعدائنا الذين يحتلوا بلادنا وأخرجونا منها مهما كانت الظروف والنتائج .

فقال : نعم هذا كلام صحيح ولكن أين السلاح ؟
قلت : السلاح لم يحن وقته بعد فقال : الامر كما تفضلت ولكن لابد لنا من دولة نعتمد عليها فهل اتفقتم مع اى جهة حتى نطمئن وتمدنا بما يلزم عند الحاجة ؟
فقلت : عندما يحين الوقت سوف تاتى الدولة نفسها لتسلم لنا ما يلزم وعليه

فالننتظر الوقت حتى يحين ، وعندها سنطلبكم جميعا للحضور وتعرفون حينئذ كل شيء . ولقد حاولت تلك الرسل جميعها بطرق مختلفة وعبارات متباينة واحاديث ملتوية حاولوا أن يعرفوا ما كلفوا باكتشافه ولكن جوابى كان واحدا للجميع . وبعد مواجهة هذه الرسل التى امتد تواردها مدة طويلة . ابتداء الاتصال المباشر بينى وبين ضباط مكتب الشئون الاهلية ومقر هذا المكتب كان اذ ذاك ((بنهج الجزيرة بتونس)) .

ولقد تكررت هذه الاجتماعات بينى وبين ضباط كثيرين وكلهم من الفرنسيين أتذكر منهم : أو فيفر ـ ولفدان ـ وميكار ـ واجى ـ وبورى ـ وكل ما قابلت واحدا من الضباط أكتب للاستاذ عباس بما دار بيننا واذا حدث ما يوجب حضوره أطلبه فيحضر بسرعة وهذا الضابط الاخير (بورى) ردىء الاخلاق ضيق الصدر متعجرف واضح التعصب فقد حصلت مناسبة اجتمع فيها بالاخوان : محمد عباس ـ المبروك الغريانى ـ ورمضان حسن طالب ـ ومعهم آخرون نسيت من هم وبسبب تصرفاته الفاسدة حصلت مشادة كادت أن تؤدى بنا فى مازق حرج فى تلك الظروف لولا ألطاف الله تعالى .

ويوجد ضباط آخرون اجتمعت بهم ولكننى نسيت أسماءهم ومنهم من لم أتحصل على اسمه وجلهم اذا قابل مرة لا يعود مرة أخرى ، ولقد كانت الاجتماعات تقع خارج المكاتب لمدة طويلة فتقع تارة فى « بلفيدير » واخرى ((بقمرت)) ومرة « بحمام الأنف » وفى أماكن أخرى كثيرة ، ولقد كنا فى خلالها على غاية من الحذر خوفا من عيون ايطاليا كما أنهم أى الفرنسيون يخشون جدا من عناصر الحركة الوطنية التونسية .

أتذكر أننا فى أحدى اللقاءات فى شهر مايو من سنة ١٩٣٨ م ارسل لى مكتب الشئون الاهلية للاجتماع والتفاهم فى بعض الامور وقد حدد لى المكان والزمان ، وكان المكان حديقة ((بلفيدير)) والزمان الساعة الرابعة بعد الظهر وحديقة ((بلبدير)) هذه منتزه عمومى يقع فى أرض مرتفعة الى الشمال أو الشمال الشرقى من تونس العاصمة ومتصل بمبانى الاحياء الحديثة وهى منطقة واسعة جدا تكسوها غابات الاشجار الباسقة مختلفة الالوان متشابكة الاغصان تتخللها طرق ملتوية بها مقاعد متناثرة منتشرة على حافة الطرقات تتدلى عليها أغصان الاشجار فتبسط عليها ضلا وارفا يقى الجالس حرارة الشمس ، ويكثر فى هذه الحديقة المتنزهون من مختلف الاجناس .

حضرت فى الوقت والمكان المحددين وهناك التقيت بضابطين اثنين لم أعرفهما من قبل وهما برتبة ((كابتن)) ولم أتمكن من معرفة اسميهما عندما قدم كل منهما نفسه لى ذلك لانهما تكلما بلهجة فرنسية عميقة دغمت حروفها فى بعضها ، وبعد التحية وجولة قصيرة وسط تلك الاشجار الباسقة انتحينا ناحية فى زاوية يقل فيها المرور نوعا ما ، وجلسنا على مقعد طويل ثلاثتنا تحت شجرة كبيرة ذات أفنان متدلية .

وبينما نحن نتبادل الكلام فيما اجتمعنا من أجله ، اذ مر أمامنـا شاب عربى طويل القامة معتدل الجسم جميل المنظر انيق الملبس فى حوالى الثلاثين سنة من عمره او أكثر قليلا وقد نظر الينا نظرة يبدو عليها شىء من الاهتمام ومحاولة التعرف مر دون أن يتوقف فى سيره ، وبعـد أن تجاوزنا قليلا سألنى أحـد الضـابطين قائلا هل تعرفه ؟ قلت أجل معرفة سـطحية وليس بالاسـم وهو من سكان (المرسى) فامتعض الضابطان وامتقع لونهما ونظر احداهما للاخر وقال له بالفرنسية

Çây EST ON NOUS SOM MES MARQÉ كفى لقــد اكتشف أمرنا

والجدير بالذكر أن ايطاليا لم تكن بغافلة عن مثل هذه الحركات وغيرها والحالة الدولية بالغة حدا من التوتر والخطورة وأن نواياها أخذت فى الاتضاح شيئا فشـيئا للاندفاع نحو المحور وجاليتها فى تونس بكثرة لا يخلو منها مكان لا فى البوادى ولا فى الحواضر ، كمـا أن لها فى البلاد من العملاء عـددا غير قليـل من الايطاليين وغير الايطاليين يعملون لحسابها فى كل الميادين وهى تبذل فى هذا السبيل الاموال بسـخاء .

وعلى ذكر العملاء أقول أن جميع المهاجرين بهذه الجهات لا يوجد بينهم هـذا النوع من ذوى الضمائر الخربة والوجدان السقيم سوى ثلاثة أشخاص فيما نعلم أحدهما من (ازدو : زلتين) والثانى من ككله والثالث من (غدامس) فالاول كان متصلا بنا دائما ويظهر نفسه أنه من خيرة أفراد الجمعية وهو يلتقط كل ما يـدور فى الجمعية وينقله الى السفارة الايطالية ، ولقد بلغنا ذلك من مصدر مؤكد لا ريب فيه فتحفظنا من جانبه ولم نشأ أن نزعجه أو ينتشر الخبر .

وفى يوم من الايام وصلتنى رسالة وفى طيها حوالة بريدية بمبلغ عشرين فرنكا من هذا الشخص ذاته كمساعدة للجمعيـة ولما كان الامر يتعلق بشخص موقفـه كما أسلفنا وكل الاخوان على علم بأمره طلبت اجتماع هيئة الادارة ثم عرضت عليهـا الموضوع لترى رأيها فى الامر فأجمع الأخوان على أعادة المبلغ لصـاحبه ، ولمـا اقترح بعض الاخـوان قبولها تفاديا للاشاعات ، أذكر أن الأخ الشـيخ محمـد فياض قد أصر بشـدة وهدد بالاسـتقالة اذا قبلت ، وبناء على اجماع الاخوان فقـد أعـدت الحوالة البريدية التى تحمل المبلغ الى صاحبها كما تلقيتها مرفقة برسالة شـكر وعذر ، وبمجرد وصولها اليه أمطرنى بعدد من الرسائل الواحدة تلو الاخرى وكلها مشحونة بالسباب والشتائم والتحقير وكل ما أملته عليه حماقته الانفعالية ، ولكننى لم أجبه ولو بكلمـة واحـدة لا كتابيا ولا شفويا ، الامر الذى جعله يزداد غضـبا ولمـا انهزم المحور من تونس سنة ١٩٤٣ م أحس الرجل بالخطر واضـطربت نفسـه ظانا أننا من الحماقة بمنزلته وأننا سـننتقم ، وبما أن موقفه نحـوى كمـا أشرت آنفا فقد التجأ الى الاخ محمد عباس وأعترف له بأتصاله بالسفارة الايطالية وتجسسه على الجمعية فعلا وطلب منه أن يكون ببال منه فطمئنه الاخ عباس .

أما الثانى فهو رجل مهنته ((مصوراتى)) انتسب الى الجمعية مـدة واختلط بأفرادها فعرفهم وعرفوه وبعد مدة كلفته جهة ايطالية ((ولم تتضح لنا هذه الجهة بالتحديد)) كلفته بنسف مقر الجمعية فى حالة اجتماع اعضائهـا ، وفى يوم من الأيام وفى محاولة لتنفيذ الجريمـة فى حالة اجتماع موسـع قد اكتشف أمره أحـد افراد الجمعية والقى عليه القبض وهو متلبس بالمتفجرات وتسـلمته السـلطات الفرنسية للتحقيق معه ولا أدرى ما فعل الله به بعد ذلك أما الثالث فقد كان يعمل فى مدرسة ايطالية بحلق الوادى كمباشر وكان يحب ايطاليـا ويعتز بالانتمـاء اليها ويدافع عنها جهرا وينقل للايطاليين ما يسمعه ولكنه رغم هذا أخف شرا من سابقيه وهكذا من هؤلاء الثلاثة وغيرهم مما لا نعرفه ووسائلها الاخرى علمت بحركاتنا فوقع عليها ذلك وقعا سـيئا مع ماكنا ننشره من المعلومات الصـحيحة ، ومن أجـل ذلك فقـد جن جنونها وأخـذت سفارتها بتونس تفكر كيف تسـدد ضربتها لهـذه الحركة التى وقفت فى وجه دعايتها وشلت مفعولها وأخيرا اهتدت الى طريقة سخيفـة ورهيبة فى آن واحد .

مؤامـــرة ايطـــالية

على حين غفلة وبدون سابق اتصال جاءني شاب ليبي مرسل من طرف السفارة الايطالية وهو شاب درس في المدرسة الايطالية بنفس المنطقة وهذا الشاب مكلف من طرف شخص ايطالي يدعى (روسو) وروسو هذا برتبة قنصل بالســـفارة الايطالية بتونس ، جاءني هذا الشاب ليقول الى أن السفارة الايطالية تطلب حضورك لديها لتنظر فيما أنتم تطالبون به وهي مستعدة لتسوية المشكل نظرا للحالة الدولية الخطيرة التي لا تتحمل التشويش ولقد تلقيت هذا الخبر بسرور عظيم .

أولا استنتجت منها قوة حركتنا وتأثيرها حتى أتت بالنتيجة .

ثانيا : ليس بالقليل ان نحصل على حقوق لم يحصـل عليها الذين سبقونا رغم جهودهم المضنية وتضحياتهم الضخمة .

لذا سررت بالخبر وقبلت الدعوة وحددت السفارة وقت الاجتماع ومـكانه وقد كان مكان الاجتماع هو السفارة الايطالية ، وما كان يدور بخلدي أنهـا مخاتلة لمؤامرة دنيئة ، وقبل الوقت المحـدد ركبت الترام من الكرم ولما وقفت داخله جلت بنظري في جوانبه واذا برجل من علمـاء التونسيين ومن سكان (المرسى) فيمـا أظن يلوح الى بيده أن أقدم حذوي فجئتـه . وصـل بنا القطار الى تونس ونزلنـا منه ليأخذ كل منا وجهته ولمـا أردت توديعه قال لي أنا ارسلت رجلا يفتش عنك فهذه أذن صدفة حسنة هيا معي ، فقلت له انا على موعد اكيد لا يمـكنني التخلف عنه وعند الانتهاء سأقدم اليك ، فسألني ما هو موعدك ؟ فترددت في الجواب . ولكنه ألح على حتى أحرجني واضطررت أن افشي له السر فنظر الى نظرة غير عادية وقال (أيجي معاي) وأترك الموعد الان ، وهنا أخذتني دهشة كيف أترك الموعد في مهمة رسمية ، وسألته بلهفة ماذا في الامر ..؟ فقال لي تعالى معي وعندما نصـل المكتب سوف أخبرك بما ليس لك به علم .

ذهبت معه وأنا في حالة من القلق ترك موعد رسمي ، وكلام غامض من رجـل سياسي يعـرف كل مايدور في البـلاد ، أمران محيران ، وصـلنا الى مكتبه وبعـد الجلوس قليلا قال لي : ان استدعاءك هذا مؤامرة مدبرة في الخفاء للقبض عليك داخل السفارة وعندها لا يستطيع اخوانك ولا احنا انقاذك حتى مع علمنا بوجودك هناك ألا تدري أن السفارة قطعة من أرض ايطاليا ، ومع ذلك فاننا كما تعرف نحن مغلوبون على أمرنا وأنتم مشردون فأي مقدرة لنا ، أو هل تظن أن الفرنسيين يهمهم أمرك حقا ، وهم يفتشون عن رضـاء ايطاليا بأي ثمـن ولقد اندهشت لهـذا الخبر وأستغربته في نفسي ، فقلت : بدون مؤاخذة بالله عليك ما انباك بهذا ؟ فقـال : انباني مصدر اكيد وعليم من داخل السفارة نفسها ، ولا تسألني عن المصدر بالذات فلقد وصلنا امس ما دار بشأنك قلت ولكن الشاب المرسل الى هو مواطني ولي فيه ثقة ولا شك عندي في اخلاصه . فقال : الشاب مكلف من خارج السـفارة ولا علم له بما دار داخلها ويمكن ان يكون الشاب على حسن نية .

وهكذا فقد أنقذني من هذه الورطة المرحوم الاستاذ «محمد محي الدين القليبي»

رحمه الله وجـزاه عنى خير الجزاء ، ومن هنا أخـذت أفـكر فى العـذر الذى ينبغى لى أن أتذرع به فيما اذا سئلت عن التخلف عن الموعد بعد أن وافقت عليه ، ومـن الغد جاءنى الشاب وقال ان السـفارة استغربت تخلفك عن الموعـد بعـد أن وافقت عليه . فقلت له : أنا متأسف جدا عن هذا التخلف الذى فرضته ظروف قـاهـرة واننى دائما على استعداد غير أننى أرجو أن يكون الاجتماع فى محل عمومى .

ذهب الشاب بهذا الكلام ولما أعاده لمرسله ، قال له : كنا نود أن نقول لاحمد زارم أن الحكومة الايطالية مستعدة لنقله الى طرابلس بأهله على حسابها وهنـاك يعطى وظيفة محترمة ونعتبره من أعيان البلاد .

جاء الشـاب وأعاد لى الكلام ، فقلت له قل لمرسـليك كنت أظـن أن السـفارة الايطالية تعتبرنى رجلا وطنيا يعنى مايقول . ولست من الذين يصطادون فى المـاء العكر ، وانها تدرك أن مطالبنا وطنية عامة وليست مادية ولا هى شخصية خاصـة وكنت أظن أنها تعلم أيضا أننا هيئة سياسية ذات نظام ومبادىء ، وأحمد زارم وحده لايعنى شيئا فى الموضوع ، فاذا هى تنزل بنا الى هـذا المستوى السـخيف وتوجه لنا مثل هـذا الكلام ، ولذلك قل لهم أنا لست فى حاجـة الى وظيفة ولا أنا مسـتعد للعودة ، وانما الامر الذى لا يقبل المساومة هو أن بلادى فى حاجة الى حقـوق ، فاذا فهمت ايطاليا ذلك وعمدت الى تحقيقه وتنفيذه بجد واخلاص فسوف يعـود جميع الذين فى الخارج ويتعاونون مع ايطاليا كدولة صديقة عادلة وستكون صاحبة الأولوية فى المصالح .

ولمـا بلغهم هـذا الـكلام يظهـر انهم استشاطوا غيظا ، اذ قالوا للشاب : قل لأحمد زارم انه يتذكر جيدا اننا قد استطعنا ان نقضى على ايطاليا من معارضـينا الى الابد داخل مكتبه وفى قلب العاصمة التونسية « يعنوا بهذا سكرتير جمعية ألا أننى فاشيست الذى اغتالوه وسبق أن ذكرنا حادثته انفا » أيظن أننا نعجز عن اسكات عربى مثله ، قل له حيث انه لم يرض بما عرضـناه عليه من اكرام وتقـدير وسـوف يكون سائرا فى أحدى أزقة المدينة فتأتيه ضربة قاضية لا يعرف مصدرها .

وجاء الشاب يسعى وتبدو عليه علائم الاضطراب ، فقلت له هل من جـديد؟ فقال نعم ولكن « نبح السلوقى أغلاض »

قلت : ليس هناك أكثر من الموت .

قال الشاب : هو ذاك ، قلت قل لهم المسلم يعتقد انه لا موت الا بالاجـل ، ولذا أفوض أمرى الى الله .

أبدال اتصالاتنا من العسكريين الى المدنيين

أوضحنا فى الصفحات الماضية طريقة بدء اتصالاتنا بالسلطات الفرنسية على طريق مكتب العسكريين من ضباط مكتب الشئون الاهلية ولقد دامت هذه الطريقة مدة غير قصيرة ، ثم ابدلت هذه السلطات طريقة الاتصال معها على طريق شخصين مدنيين أحدهما عربى تونسى ، والثانى أوروبى فرنسى ، فالعربى هو السيد (البشير الكيلانى)) من بلدة ((القصر)) ((بقفصة)) وكان موظفا بالصندوق العقارى التونسى بتونس العاصمة ، ومستواه الثقافى شهادة التحصين فى العلوم من جامع الزيتونة أما الفرنسية فشهادة اتمام الدراسة الابتدائية .

ومن الحقيقة التى يجب ذكرها والتى يجب أن نعترف بها ونسجلها للتاريخ هو أن السيد البشير الكيلانى جزاه الله بالرضا والرضوان كان معنا على غاية من الاخلاص والنشاط فى جميع الاعمال التى تتعلق بالاتصالات مع السلطات الفرنسية كأنه ليبى من المخلصين الصادقين وهو رجل ذكى سريع الخاطر قوى الحجة رحمه الله .

أما الثانى فهو كما قلنا فرنسى صميم مستشرق اسمه ((برشى)) وهو فى حوالى الخامسة والخمسين من العمر تقريبا موظف كبير فى الكتابة العامة للحكومة التونسية ، علما بان الكتابة العامة فى تونس على عهد الحماية الفرنسية هى وزارة الداخلية بالضبط ((وبرشى)) رجل فطن قليل الكلام عميق التفكير هادىء الطبع فى غاية الاتزان لا يبدو عليه التعصب الاستعمارى ولا غطرسة كبار الموظفين الفرنسيين وهو على جانب كبير من الثقافتين العربية والفرنسية ولقد سمعته يوما يلقى محاضرة فى الاذاعة التونسية تعليقا على مقامات الحريرى باللغة العربية الامر الذى يدل على مستواه فى العربية ، ولقد استمر اتصالنا عن طريق هذين الرجلين مدة طويلة ، وقد كنا واياهم على تفاهم وانسجام .

وفى هذه الاثناء وصلتنى رسالة من الاخ الاستاذ محمد عباس يفيدنى فيها بأنه قد أرسل مذكرة مطولة الى ((المقيم العام)) الفرنسى بتونس أكد له فيها موقف الجمعية وطالب فيها منه بأن يشير الى الجهات المختصة بأن تسهل لنا القيام بجولة على أماكن المهاجرين . وقد كان لهذه المذكرة وقعها ومفعولها ولقد أرسل لى الاخ محمد عباس صورة من هذه المذكرة يقول أحفظها للتاريخ ولكن ...

وفى سبتمبر من سنة ١٩٣٩ م اقتحمت الجيوش الالمانية الهتلرية الاراضى البولونية ، وفى نفس الشهر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على المانيا ، وبذلك فقد أخذت الحالة تزداد خطرا ، ويوم ثورتنا يزداد أقترابا ، ولو أن ((موسولينى)) لم يعلن الحرب بعد ولكن موقفه أصبح فى حكم المحارب للحلفاء ، ولكن برغم ذلك فان فرنسا لم تيأس من استمالة (موسولينى) الى جانب الحلفاء نظرا الى ما لايطاليا وفرنسا من الروابط المذهبية والعرقية والجوار وغير ذلك من المصالح الاخرى لذلك مافتئت تجامل ايطاليا وتخطب ودها وتعدها وموسولينى يزداد غطرسة وابتعادا ، وفى هذه الاثناء والحرب فى أوروبا أصبحت على اشدها ودكتاتور ايطاليا يوالى خطاباته النارية باستمرار وصوته يسمع كل ما اقتربت من

منزل ايطالى ففى هذه الظروف التى رأيناها مواتية لنا والتى هيئتها لنــا تصرفات زعيم ايطاليا بخطاباته التى تلهب شعور الجالية الايطالية من جهة وتدك صرح الامال المتمكنة فى نفوس الفرنسيين من جهة أخرى وتدعيما للمذكرة التى أرسل بها الاخ محمد عباس المشار اليها آنفا فقد قمت من جهتى بحملة صحفية ضد ايطــاليــا لعـقد أيام مركـزا على التشـهير بصـوت موسـولينى الذى أصبح يجلجل فى منازل الايطاليين دون هوادة تسمعه المارة فى شوارع المدينة وتنمر الجالية الايطالية بصورة واضـــــــحة .

ولقد عززت هذه الحملة والمذكرة بتصريح كتابى سلمته الى شركة « الشرق العربى للاخبار » التى كان مقرها اذ ذاك فى مبنى « الكوليزى » بتونس ، وقــد نشرت الشركة هــذا الخبر فى صـورة خبر ملتقط ، وقد كان هـذا بعلم ومشــاركة المرحوم « البشير الـكيلانى » ومن الغد نشرت الصحف هذا الخبر نقـلا عن الوكالة المــذكورة .

النص الحرفى لمــا نشرته الوكالة »

« علمت شركة الشرق العـربى للاخبار من مصــادر أكيـدة ان المهــاجرين الطرابلسيين يوالون اجتماعاتهم واتصالاتهم استعدادا لعقد مؤتمر فى القريب العاجل لتحديد موقفهم ورسم خططهم على ضوء الظروف الراهنة . »

وعلى أثر نشر هذا الخبر تحركت الدوائر الفرنسية فى تونس واسـتدعت المرحوم البشير الكيلانى بصفته المنتدب من طرفها للاتصال بنا ، وسألته عن صحة الخبر فأكد لها ذلـك فطلبت منــه الاتصال العاجل بالجمعيـة ويطلب منهـا تأجيـل الاجتماع ، فقال انه لاحظ هــذا للاعضــاء حينما اطلع على الخبر ، ولـكنهم امتنعـوا قائلين انهم لا يتركون الظروف تداهمهم على غير استعداد والوقت غير قابل للتأخير ثم سألوه أين سيقع الاجتماع فقال لهم بمنزل « أحمد زارم » بالكرم ــ فطلب منـه أن يتصل « بأحمد زارم » بأقصى السرعة ويطلب منه بأسم الكتابة العامة للحكومـة التوسية تأجيل الاجتماع الى موعد حددوه ، وعلى أساس هذه الحركات ولاجـل تحديد الموعد كتبت للأخ محمد عباس الرسالة التالية :

حمدا وصلاة وسلاما

حضرة الاخ الكريم الفاضل الشيخ محمد عباس حفظه الله .

تحية وتكريما وبعد ــ نتيجة للمذكــرة التى قدمتمــوها من هنــاك وما أعقبها من الحملة الصحفية وما أذاعته الوكالة فان الجهات الفرنسية قد استجابت الى مانطالب به من الموافقة عـلى قيامنا بجولة على مضارب المهاجرين يعقبها اجتمـاع مؤتمر الجمعية الذى ستكون له أهمية خاصة ولقد تلقينا لحد الآن الموافقـة وتأكيـد الحضــور من السادة : الشـيخ سالم عبـد النبى ــ محمد الحاج حسن المشــاى ــ ــ محمد غالب الكيب ــ محمد خليفة بن عامر ــ حميدة على المطماطى ــ الحاج اسماعيل ابن اسماعيل ــ محمد عقريب ــ على بوستة حسن ــ رضا ربح الفيتورى ــ الجابرى الصويعى الخيتومى ــ الطاهر البدى ــ محمد عويدات المشاى ــ محمود العش ــ أحمد

الحاج خليفة بن مبارك النالوتى ـ مفتاح احمد عريقيب هذا مع الاخوان الموجـودين بتونس أمثال محمود على الزنتانى ـ المبروك عمر بالريشة الغريانى ـ رمضـان حسن طالب ـ محمد شكرى ـ عمر مالك ـ رمضان شادى ـ مفتاح اغليليب ـ محمد فياض احمد تريفيس وغيرهم .

يجب أن يكون هؤلاء جميعا على بينة من مسئولياتهم تجاه وطنهم لكى ياخذوا فى الأهبة للظروف المقبلة والتى تكاد تكون الان فى حكم الواقع وحتى يتمكنوا من مجابهة الاحداث المقبلة المتداخلة ، وغنى عن البيان ان الميدان ليس لنا فيه صديق بالمعنى الصحيح كما أننى لست فى حاجة لان أقول لمثلك ان الدول ترتبط بالمصالح والظروف فى اتجاهاتها ، وهى لا تتورع فى ابتلاع الصديق والحليف والنصير اذا كانت مصالحها تقضى بذلك ، وهذا مايجب أن يفهمه كل واحد منا حتى لاتغرنا المظاهر ، وذلك ما يجب ايضا ان نخطط له من الان ما دمنا مجتمعين ، ونرجـو من الله الاعانة والتوفيق فهو نعم المولى ونعم النصير .

الكاتب العام للجمعية

احمـــد زارم

وبعد كل ما تقدم شعرنا بوضوح بانه مـن جملة نتائج مذكرة الاخ محمد عباس وما تبعها ان فرنسا قد ارتاحت لموقفنا بصورة ملموسة ، وعلى اساس من هذا الجـو تقدمنا الى الجهات المختصة بمذكرة طلبنا فيها استقدام اربعة من زعمائنا القدامى لقيادة الثورة نظرا لما لهم من التجارب الماضـية فى هـذا الميـدان والسـمعة داخل الوطن وخارجه والزعماء المطلوبون هم : سليمان البارونى ـ البشير السعداوى ـ عون محمد سوف ـ احمد الشتيوى رحمهم الله جميعا ، بعد اجتماعات متواليـة بيننا وبين الجهات الفرنسية طلبت منا صورة من قانون جمعيتنا ، فاهتبلنـا هذه الفرصة وارفقنا صورة للقانون بمذكرة توضح اهدافنا من هذه المشاركة والطـرق التى يجب اتباعها عند اعلان الثورة :

نص المذكرة بعد حذف المقدمة :

١ ـ استقلال بلادنا بحدودها الطبيعية والمعروفة لدينا من حدود مصر شرقا الى حدود تونس غربا باعتبـارنا مشاركين فعليا وعمليا فى الحرب بجانب الحلفـاء

٢ ـ عدم ادخال الشباب الليبى فى الجيش الفرنسى حتى الذين ولدوا فى خارج ليبيا لكى تكون الثورة قوية قادرة على أداء مهمتها .

٣ ـ عدم اختلاط محاربى الثورة بالفرنسيين فى حـالة الزحف اولا ، لان التكتيك الثورى يختلف على التكتيك العسكرى النظامى ، وثانيا ليطمئن اخواننـا فى الوطن لحركتنا ونجد منهم الاعانة .

٤ ـ جعل قيادة الثورة فى عهدة ليبيين تعينهم الجمعية لانهم اعرف بـطرق بلادهم واماكن المياه فيها ونواجع البدو ونزعات قبائلها وشعور رجالاتها وطـرق استـمالتهم .

٥ ـ تزويد الثورة بما تطلبه من متطلبات الحرب كل ما طلبت ذلك دون تقصير ولا تأخير سواء أكان ذلك تموينا أم عتادا ام أطباء وغير ذلك ، وكل ما يطلب من الثورة أو يعطى لها يكون عن طريق ادارة الجمعية وبطلب من قيادة الثورة .

٦ ـ عدم معاملة الليبيين من طرف الحلفاء أينما كانوا كما يعامـــل الرعايا الايطاليون فى حالة اعلان ايطاليا الحرب على الحلفاء .

٧ ـ العناية الكاملة بعائلات الذين يلتحقون بالثورة ورعايتهم والاهتمام بهـم فى كل الحالات النـــاتجة عن الحرب الى أن يعودوا لاوطانهم الاصلية أو حيثما أرادوا

٨ ـ تبذل الدولة الفرنسية مع حلفائها وغيرهم جميع مجهوداتها ومقدراتهـا الدبلوماســية فى جميـع الاجتماعات والمؤتمرات والمقـابلات أبان الحـــرب وبعـدها لتحقيق ما تضمنته هذه المذكرة وأن هذا كله يتعلق بشرف فرنسـا العســكرى والســـياسى .

وان هذه المذكرة قد سلمت للجهات الفرنسية المختصة كما أرسلنا منهـــا صورا الى سوريا وبغداد وبعد أيام وصلنى جواب من المرحوم الباروني ، يحمــل الينا شكره ورضاه عن عملنا ، كما جاء فى جوابه هـــذه الجملة التاليـــة التى أعجبت بها ورسخت فى ذاكرتى منذ ذلك الوقت وهى :

ففى هــذه الايام نسمع أخبار الحرب من راديو ـ روما ـ ولنــدن ـ وباريز ـ فتتوتر الاعصاب والله يقدر لوطننا الخير ، هذا واننى أنصـــحكم أيها الاخوان أن تعتمدوا على أنفسكم ولا تتوقفوا على استــشارة اخـوانكم فى الشرق . فاعملوا بما توحيه اليكم ضمائركم وما تمليه عليكم مصلحة وطنكم . فان ظروفا ستحل سوف ينقطع فيها الاتصال حتما ... الخ .



جولة استطلاعية على أماكن المهاجرين

على أثر اذاعة الشركة الاخبارية الانفة الذكر بايام وافقتنا فرنسا على القيام بجولة على أماكن المهاجرين فى البلاد التونسية للوقوف على أوضاعهم ومدى استعدادهم واحصاء الصالحين منهم لحمل السلاح ولو على سبيل التقدير ، وتشكيل وحدات فى كل مكان لتكون همزة الوصل بين جهاتهم ومركز الجمعية . ولرعاية مصالحهم فى الظروف الاستثنائية وكلف للقيام بهذه الجولة السيدان : محمد أحمد عريقيب ـ واحمد زارم خليفة ، ولقد بدأت الرحلة فى هذه الجولة يوم ٧ ديسمبر من سنة ١٩٣٩ م من تونس العاصمة فى اتجاه مدينة ((سوسة)) التونسية ولم يمتد بقاؤنا فيها أكثر من يوم واحد ذلك لانها لايوجد بها أحد من الطرابلسيين ومنها واصلنا السفر الى مدينة صفاقص بواسطة القطار . وبمجرد وصولنا المدينة اتصلنا بعاملها السيد العزيز الجلولى ((والعامل فى تونس كالمحافظ فى ليبيا)) .

وبعد مقابلة العامل والتحادث معه قصدنا منزل العالم الصالح العامل بعلمه « الشيخ محمد السلاع » تولاه الله بالرحمة والرضوان . والشيخ من المهاجرين وقد استقر فى ((صفاقس)) فى احدى ضواحيها بعائلته فى منزل كبير متسع من أحسن مساكن تلك المنطقة الحديثة ، وهو يحظى بتقدير واحترام عظيمين من السكان ، ولقد سر بقدومنا ، وتناولنا الغداء عنده ، وبعد الانتهاء وفى فترة الشاهى وجه زميلى السيد محمد عريقيب كلامه الى الشيخ السلاع قائلا له : يا شيخ محمد الحكومة الفرنسية تسأل عنك وقد حملتنا أن نبلغك تحياتها ((هكذا بضمير الجمع » وأوصتنا بأن نبلغك بأنها على استعداد لتلبية جميع طلباتك التى تطلبها وقضاء أى حاجة ترغبها .

وأجاب الشيخ السلاع بقوله : أنا فى نعمة من الله وراحة تامة وليس لى أى طلب ولا حاجة أرغبها وكل ما أرجوه هو البقاء فى مكانى محترما وكفى ، والجدير بالذكر فى هذا الموقف هو ان السيد محمد عريقيب ابلغ الوصية باسمنا كما هو واضح ((حملتنا)) والواقع أننى لم أسمع بهذه الوصية وليس لى بها أى علم مطلقا لا من الفرنسيين ولا من زميلى عريقيب الا عندما أعادها للشيخ السلاع أمامى فى منزل هذا الاخير .

والشىء الذى يجب أن أذكره فى هذا الموقف هو أن هذا الامر قد أحدث فى نفسى تأثيرا سيئا خوفا من أن يتلاعب بنا الاستعمار ، أو قد يكون أحد حذرهم منى الامر الذى جعلهم يحترسون منى ، وهممت على أن أحتج على ذلك وأعود أدراجى ، غير أننى فكرت فى الامر ورأيت أن الظروف غيرسامحة والموقف يقضى على بالسكوت مؤقتا ومواصلة العمل .

وحينما انتهينا من محادثتنا مع الشيخ السلاع ودعناه وعدنا الى صفاقص

وبدأنا فى الاتصال بجميع الاخوان وهم فى صفاقس كثيرون واذكر من بين من اجتمعنا بهم السادة : الدكتور صالح الغرياني ـ ومحمد بن حميده ـ والفيتورى البودى رحمهم الله ـ وسعيد بن الحاج حامد الرحيبى ومحمود العش رحمه الله والشيخ محمد بن اسماعيل وغيرهم ، ولقد أتممنا تنظيماتنا وتبادلنا الآراء فيما نحن نسعى اليه .

وغادرنا صفاقس متجهين نحو قابس ، ولم يكن بقابس من الليبيين الا ثلاثة عائلات هى : عائلتا المرحومين عبد الله الدرباسي ـ ومحمد حلمى الجحاوى الخمسى رحمهما الله ـ وعائلة على فكينى ، وهذا الاخير لم نجده فى قابس وبالسؤال عنه قيل لنا انه متغيب عن البلاد ، أما والده الحاج محمد فكينى رحمه الله كان يسكن بعيدا عن قابس فى بلد ((اقبلى)) والمواصلات اليها غير متوفرة اذ ذاك ، قصدنا منزل المرحوم الاستاذ محمد حلمى ومن الغد اتصلنا بالمراقب المدنى ، وهى وظيفة فوق مستوى العامل ، وهذا المراقب شاب فرنسى لم أتحصل على اسمه كان موقفه معنا لينا بشوش الوجه لطيف المحادثة وبعد الانتهاء منه وفى طريق عودتنا التقينا بشيخ كبير فى حوالى السبعين من العمر هو المرحوم (سالم مسعود الهنشير من قبيلة « الندوة » بالرحيبات كان قادما من طرابلس فى طريقه الى تونس لزيارة أبناء أخيه اجتاز الحدود بدون جواز سفر .

التقينا بهذا الشيخ فاستوقفته حصة للسلام عليه وسؤاله عن الاهل والاقارب والبلاد وهذا الشيخ لم يكن ممن يعرفوا السياسة ولا يدرك ما نحن بصدده ولا يعرف الاوضاع الحكومية من الناحية التى نريدها نحن ، ومن غد ذلك اليوم ركبنا القطار من قابس متوجهين الى « قفصه» ولا يوجد من الليبيين بقفصه الا « الطاهر بن وفا » تاجر بها بتنا تلك الليلة عند رجل تونسى اسمه ((بن دولة)) وهو من أصحاب الاعمال الحرة ، ومن الغد ركبنا السيارة العمومية الى صهيب أو (أمضيله) هكذا هذا المكان له اسمان ، وصهيب هذه منجم « للفسفاط » قريب من قفصة وبه عدد كبير من المهاجرين ومن بينهم ((الشيخ محمد الغطاس)) من زليتن ، ولهذا الرجل قصة من أغرب القصص وقد سمعتها منه مباشرة وسجلتها فى وقتها ، والذى أسفت له هو انني لم أسأله عن الطريقة التى قبض بها عليه الايطاليون ، ولا عن المكان الذى أعدم فيه رفاقه وأفلت هو من براثن الموت بقدرة قادر ، وأنا وان كنت لا أصدق هذه القصة ولا أكذبها ولكن لغرابتها أود أن أسجلها كما سمعتها وللقراء أن يصدقوا أو يكذبوا .

القصة كما سمعتها من صاحبها

يقول الشيخ الغطاس كنت من بين جماعة قبضت عليهم ايطاليا وأصدرت حكمها على هذه الجماعة بالاعدام وأودعتهم السجن فى انتظار الاوامر بالتنفيذ . وفى ليلة ظلماء أخرجونا الى قرب شاطىء البحر وأوقفونا صفا واحدا ونحن مقيدين

بسلسلة فى أيدينا ، وبعد أن مر بنا الضابط ذهابا وايابا وأحصى عددنا تأخر الى الوراء حيث الجنود ، وأعطى الامر باطلاق الرصاص علينا ، ومع ارتفاع صوت الضابط بالامر ارتفع صوتى فى آن واحد وصحت بأعلى صوتى « يا سيدى عبد السلام » ونفضت يدى فسقطت السلسلة وفى خفة وحالة لاشعورية اندفعت نحو البحر ودخلت الماء حتى وصلنى الى الذقن وقد صادفتنى صخرة كبيرة فى البحر فاختفيت وراءها وعندما تقدم الضابط ((أو كلهم لا أدرى)) ليتأكدوا من موت ضحاياهم ووجدوا العدد ناقصا واحدا أخذوا يعدون يمينا وشمالا وكثرت رطانتهم ، وأخيرا أخذوا يطلقون الرصاص فى كل اتجاه ، وبعد أن يئسوا جعلوا تلك المجموعة فى هوة كانوا قد أعدوها من قبل وأهالوا عليهم التراب ثم وقفوا قليلا يتحسسون ثم انصرفوا .

أما أنا فقد مكثت مدة حتى خلا الجو من كل حركة فتحركت من مكانى وأخذت أعدوا وأتعثر وسط المياه مسافة وأسنانى تصطك من الخوف والبرد ، ثم خرجت الى البر وسرت فى حذر وخوف شديدين حتى وصلت منزلى واختفيت به يومين وليلة حتى فارقنى الرعب وذهب عنى التعب ، أخذت ما أحتاج اليه وما أمكننى نقله وتسللت ليلا ملتحقا بالمجاهدين ، وعندما اشرفت على الوصول تنفست الصعداء ، وحمدت الله على نجاتى من الموت ، وأصبحت فى اطمئنان ، ولكن ما كدت أصل حتى سقط بيدى وصدمنى واقع أمر وأدهى من الاول ، حيث القى على القبض ووجهت لى تهمة الجوسسة لفائدة العدو بحجة أن افلاتى من الاعدام دون المجموعة كلها لم يكن مجرد صدفة ، بل اعتبروه ثمنا لقيامى بالجوسسة ، وهكذا فقد يئست من الحياة مرة أخرى ، ولكن ألطاف من الله تعالى وبقية من عمرى فى دفتر القدر سخرت جماعة (الفواتير) كانوا من ضمن المجاهدين توسطوا فى أمرى وتحملوا مسئولية ما قد يصدر عنى مستقبلا وبذلك فقد نجوت من الموت مرة أخرى وهكذا أراد الله أن أعيش الى اليوم لاقاسى ما كتبه الله على من آلام الغربة وشضف العيش والحمد لله على كل حال .

هذه هى القصة الغريبة التى سمعتها من صاحبها وسجلتها منه مباشرة وبالذات ، ولعل فى « زليتن » من لايزال حيا من رجال ذلك العهد ويعلم شيئا عن هذه القصة العجيبة فيؤكدها ويوضح ما أغمض منها ان كان ...

بعد انتهاء هذه القصة أعود لذكر تفاصيل جولتنا وانتقالنا من مكان لآخر ومقابلات الاخوان ، وجدنا فى « المضيلة » ، أو صهيب » اسمين لمكان واحد كما ذكرنا آنفا ، وجدنا عددا غير قليل من المهاجرين من بينهم صاحب هذه القصة ـ والمرحوم على بوستة الذى كان من رماة المدفعية فى الجيش الوطنى أيام الجهاد ـ وحسن رضا ربح الفيتورى ، الذى كان صف ضابط فى الجيش الوطنى رحمه الله ـ وعبد الهادى الزركون متزعم مهاجرى ورفلة بعد استشهاد زعيمها الشهير عبد النبى بلخير رحمه الله ، وعلى العموم يوجد فى هذا المكان من مختلف القبائل وقد بقينا (بصهيب) من يوم ٣٩/١٢/٢٣ الى ١٩٤٠/١/١م وقد نظمنا الجالية وتم الاتفاق على كل الاهداف ، ثم غادرنا المكان عائدين الى قفصة ومنها الى المتلوى ، والمتلوى

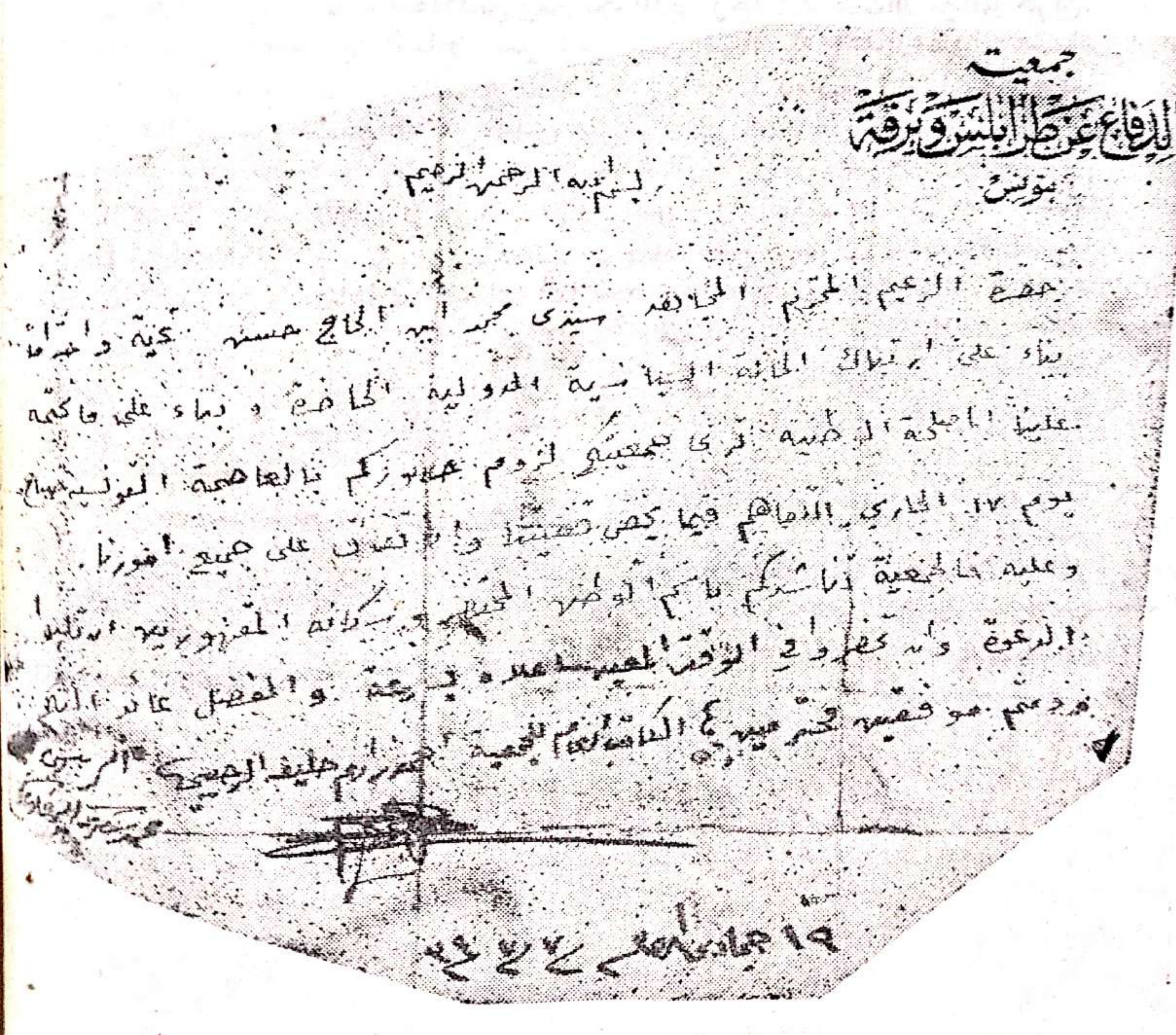
منجم أيضا يستخرج منه الفوسفات ولكنه أكبر وأقدم منجم فى تلك الجهة من بين أربع مناجم كلها من نوع واحد ، وكان من بين المستقبلين ، الحاج اســـماعيل بن اسماعين من كبار تجار المكان ـ والشيخ مفتاح الفيتورى ـ ومحمد بن عيسى ـ والشيخ صالح الجعفرى والطاهر القمودى ، ومحمد الطبال وغيرهم من الاخوان .
أنهينا أعمالنا فى المتلوى فى مدة ثلاثة أيام ، ومنها ركبنا القطار الى منجم الرديف وقد وصلنا فى نفس اليوم والملاحظ ان الطريق بين الملتـــوى والرديف بها سبعة أنفاق يمر منها القطار تحت الارض فلا يكاد يخرج من نفق حتى يدخـل آخر ، ذلك لان الارض بين الملتوى والرديف ذات جبال عالية وأودية عميقة الا انها جـرداء لا نبات فيها ولا زرع حيث انها منطقة قليلة الامطار .

استغرق وقتنا فى الرديف الى يوم ٨ يناير وفيه اتصـلنا بالكثير من الاخوان بينهم وجهاء وأعيان وقادة المجاهدين ومن بين الذين وجدناهم هنـاك من المهاجرين: المرحوم الشيخ محمد ابن الحاج حسن كبير قبائل المشاشية وأحد زعماء الجهـــاد وبطـل معركة « بوغره » ـ والشيخ محمد عويدات من أثرياء قبائل المشاشـية وزعيم احدى قبائلهم ـ والشيخ الطاهر البدى متزعم قبائل أولاد أبى سيف فى المهجـر ومجموعة كبيرة من تجار المهاجرين من مختلف قبائل طرابلس وفى خلال ثلاثة أيـام أنهينا مهمتنا وأخذنا القطار الى منجم « أم العرايس » ولم نمكث بها الا يوما واحـدا ومنها أخذنا القطار الى ، تابديت ـ قتالبت ـ فماجل ابن عباس ـ ففريانة فالقصرين فسبيطلة ، التى وصلناها فى الساعة الثالثة صباحا ، قصدنا محل تجارة السـيد « محمد حنيدر » تركنا به حقائبنا ثم اتصلنا بالسيد مفتاح عريقيب الزليتنى وكان معظم الموجودين فى سبيطلة من اخواننا الصيعان ومن غد ذلك اليوم أخذنا القطار فى طريق عودتنا الى تونس فوصلناها الساعة الخامسة بعد الظهر من يوم ١٩٤٠/١/١٤م انتهت الجولـة .

وبعد عودتنا بأربعة أيام فى ١٩٤٠/١/١٨ قدمت تقريرا للجهة المرتبطين بهـا فى أعما لنا تلك يتعلق بالجولة بين ربوع المهاجرين لتكون السلطة الفرنسية على علم ومعرفة بتشكيلاتنا الاحتياطية ورؤسائها ولم أذكر فى هذا التقرير ((عمنا)) ذلك الشيخ الذى تقدم وان ذكرت باننا قد التقينا به فى قابس وهو قادم من طـرابلس وهو ((سالم بن مسعود الهنشير الرحيبى)) .

الدعـوة لاجتمـاع المؤتمر

بعد الانتهاء من الجولة التى تقدمت تفاصيلها وبعد عودتنا الى تونس العاصمة بمدة لا أستطيع تحديدها بدأنا فى الاستعداد لاجتماع المؤتمر الذى طالبنا كثيرا بعقده ، فاخذنا فى كتابة رسائل الدعوة لحضور الاخوان فى الوقت المقرر ، وفيما يلى صورة (زنكوغرافية) للرسالة التى أرسلت الى المرحوم محمد بن الحاج حسن، وكان رابضا باتباعه فى منطقة (قفصة) وهذه هى الرسالة الوحيدة التى تمكنت من العثور عليها ، « اذ تكرم بها أحد الاخوان الذين يجرون كثيرا وراء وثائق التاريخ هو الاخ حسن خشيم فشكرا له) من بين تلك الرسائل التى تعد بالعشرات ، اللهم الا مسودة كثر فيها الشطب والتعديل وهى مسودة للرسالة التى أرسلت الى الاخ (محمد عباس) وسأنقل نصها بعد رسالة محمد بن حسن رحمه الله ٠



جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدي محمد بن الحاج حسن تحية واحتراما
بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة وبناء على ما تحتمه علينا الحالة الراهنة قررت جمعيتنا لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية نهار يوم ١٧ الجاري الداهم فيما يخص قضيتنا و[illegible] على جميع امورنا.
وعليه فالجمعية تناشدكم باسم الوطن [illegible] المقدسة [illegible] الدعوة وان تحضروا في الوقت المعين [illegible] و الفضل عائد الى [illegible]
[illegible] رئيس الجمعية

١٩ جمادى [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدى محمد بن الحاج حسن تحية واحتراما ،
بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة وبناء على ما تحتمه علينا المصلحة الوطنية ترى جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صباح يوم ١٧ الجارى للتفاهم فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع امورنا ، وعليه فالجمعية تناشدكم باسم الوطن المحتضر وسكانه المقهورين أن تلبوا الدعوة وأن تحضروا فى الوقت المعين أعلاه بسرعة والفضل عائد اليكم ، ودمتم موفقين محترمين .

الكاتب العام للجمعية

الرئيس

١٩ جمادى الاول ٣٥٨ هـ ١٩٣٩\٧/٧ م

رسالة للاخ محمد عباس

الاخ الاستاذ محمد عباس المحترم سلاما واحتراما . وبعـد :

كنت قد كتبت اليك رسالة من مدة ما ضية أى قبل القيام بالجولة ، والآن وقد عدنا منها ، وهذا مادعانى أنأكتب اليك هذه ، رجاء قدومك للقيام بالتحضيرات اللازمة للاجتماع ، والتى من بينها ايجاد محل لائق ومتسع لسكنى الذين سيفدون من مختلف الجهات البعيدة ، والذين من بينهم من لم تسبق له معرفة المدينة ، أمثال الشيخ محمد بن الحاج حسن ـ والشيخ سالم بن عبد النبى ـ ومن يأتى معهـم من جماعات الجنوب .

هذا وقد تحدد موعد الاجتماع يوم ٢٠ الجارى هذا ما لدى الان كتبته اليـك وأنا فى انتظار قدومك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أخيك المخلص : احمد زارم

مـلاحظة :

بعد كتابة ماتقـدم فى هذه الرسالة وقبل ايداعها فى البريد جاءنى الاخ الشيخ رمضان حسن طالب وطلب منى أن أكتب اليك ما يلى : انه يطلب حضورك قبـل الموعد المحدد بأيام للاجتماع لانه لديه معـك مفاهمة خاصـــة لم يوضحهالى ، وليس من حقى أن ألح عليه بأن يوضحها لى ما دمت أعتقد جازما أن النوايا طيبة والضـمائر سـليمة والهـدف واحـد .

جمعية
الدفاع عن طرابلس وبرقة
تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الزعيم المحترم المجاهد سيدي سالم بن عبد النبي   تحية واحتراما

بناء على ارتباك الحالة السياسية الدولية الحاضرة ونظرا على ما تحتمه علينا المصلحة الوطنية ترى جمعيتكم لزوم حضوركم بالعاصمة التونسية صباح يوم ١٧ الجاري للتفاهم فيما يخص قضيتنا والاتفاق على جميع امورها   وعليه فالجمعية تناشدكم باسم الوطن المحتضر وسكانه المقهورين ان تلبوا الدعوة وان تحضروا في الوقت المعين اعلاه بسرعة والفضل عائد اليكم ودمتم محترمين موفقين

كاتب الجمعية احمد زارم خليفة الزهيمي

الرئيس
محمد بكير البرولي

١٩ جمادى ا ٣٥٨   ٧ / ٧ / ٣٩



وصل السيد محمد عباس الى تونس وأخذنا فى التحضيرات ، وتم كل شىء على أكمل وجه وانعقد المؤتمر فى شهر مارس من سنة ١٩٤٠ م (بنهج الصباغين) بتونس ، وقد كان جدول أعماله يحتوى على النقاط الاتية :

١ ـ قراءة تقرير بعض أعمال الجمعية وتطوراتها .

٢ ـ انتخاب أمين مال للجمعية .

٣ ـ النظر فى هيئة الجمعية لاقرارها أو تعديلها أو تجديدها كليا .

٤ ـ أشياء غير منظورة قد تحدث أو اقتراحات تقدم من المؤتمرين .

٥ ـ النظر فى الخطوات التى ينبغى اتخاذها بالنسبة للمستقبل الغامض .

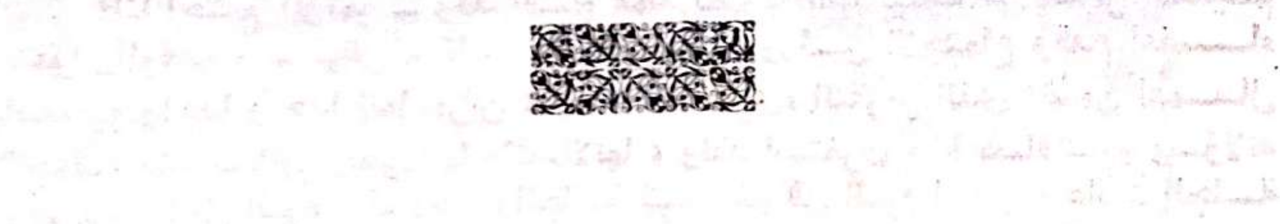
انعقد الاجتماع فى الساعة العاشرة من صباح يوم ... مارس ١٩٤٠ م وبمناسبة هذا الاجتماع أبدلت السلطات الفرنسية المرحوم ((البشير السكيلانى)) ((والاستاذ . برشى)) بشخصين اخرين هما : المرحوم : ((محمد اسكندر)) . والاستاذ ((سالومو)) والسيد محمد اسكندر كان فى وظيفة عامل وأحيل على التقاعد وكان عمره اذ ذاك يناهز الخامسة والستين تقريبا ، وهو رجل هادىء الطبع لين العريكة متزن التفكير قليل الكلام لا يظهر عليه الميل لنا أو علينا ، أما الثانى فهو الاستاذ « سالومو » رجل مستشرق على جانب من الثقافة العربية فى حوالى الخامسة والخمسين من عمره ، وهو يشغل رئاسة (مجلس التعقيب) فى العدلية التونسية قليل الكلام كثير الملاحظات يبدو على ملامحه الذكاء ، كما أنه يحمل فى نفسه المكر ، ولكنه لا يعرف عليه ذلك الا بالتجربة ،

قلنا اجتمع المؤتمر ـ وقد افتتح عمله بتلاوة ايات بينات من الذكر الحكيم تتفق والموقف ، ثم نهض « كاتب عام الجمعية » ورئيس الاجتماع وقدم أعضاء الجمعية واحدا واحدا للمؤتمرين ، وبعد ذلك قرىء التقرير الذى تضمن أعمال الجمعية منذ نشأتها وتطوراتها واتصالاتها ، ولقد استغرق هذا بمناقشاته وسؤلاته وغير ذلك كامل اليوم ، ثم رفعت الجلسة لتستأنف فى اليوم التالى ، عادت الجلسة للانعقاد فى اليوم الموالى وفى نفس الساعة ، وطلب للمؤتمرين انتخاب أمين مال للجمعية ، ولقد اتجهت أنظار المؤتمرين نحو الاخ محمد عباس الا أنه حاول الهروب والتخلص ، ولكن المؤتمر بالاجماع أصر عليه وألح وألزمه بالقبول ، فقبل ثم نظر المؤتمر فى تحركات الجمعية والخطوات التى انتهزتها وبالانتهاء من هذا الموضوع أنتهى الوقت ، ورفع الاجتماع ليعود فى اليوم الثالث .

استؤنف الاجتماع فى اليوم الثالث ، وفيه طرح موضوع النظر فى هيئة الجمعية فتناقش المؤتمر حصة من الوقت ، وفى غمرة المناقشات ، طلب المرحوم ((الشيخ محمد ابن الحاج حسن)) أن ينصتوا اليه فاتجهت الانظار نحوه وعم السكوت ، وتكلم الشيخ محمد قائلا . أنا أقول لكم رأيى فى الجمعية : ان الرجال الذين أسسوا هذه الجمعية وساروا بها هذه المدة الطويلة حتى أوصلوها الى هذا

المستوى من تلقاء انفسهم وبدافع من شعورهم وبحافز من وطنيتهم دونما اعـانة منا مادية او أدبية فهم فى نظرى أولى الجميـع وأجدرهم بمواصلة تسـييرها ونحـن معهم ورهن اشارتهم فيما يخص مصلحة وطننا ، اما اذا نحن ابدلناهم بآخرين من الذين لم يفكروا فى هذا العمل فنكون اذا من الغالطين ، بل من الخاسرين بارتكابنـا تغييرات لا مبرر لها قد تؤدى بحركتنا الى الفشل واستغلال الغير لا قدر الله ، لذلك فاننا لا نريد بهم بديلا ، فليواصلوا والله معهم ونحن من ورائهم نؤيدهم ومن الله الاعـانة والتوفيق .

هذا رأيى والناس يسمعون ، ثم التفت الى الشيخ (سالم بن عبد النبى) وكان بجنبه وقال له ما قولك ياشيخ سالم .. ؟ فاجابه هذا بقوله : هذا هو رأى الـذى كنت أود أن أقوله ثم توجه الشيخ محمد للمجتمعين وقال ما رأيكم أيها السـادة ، وهنا أعلن الجميع موافقتهم عن فهم واقتناع ، لمـا لهذين القطبين من أصالة الرأى وسابق الخبرة وعظيم المواقف فى أيام الجهاد داخل الوطن فى نظر المهاجرين .



أيدى الاستعمار تلعب فى الظلام

وبعد الانتهاء وفى آخر الاجتماع ودون سابق علم تقدم المرحوم الاخ محمد شكرى كويدير رئيس الجمعية من سنوات ، تقدم للاجتماع فى اصرار وتصميم بتخليه عن الرئاسة وأستقالته من الجمعية نهائيا ، ولقد سادت الاجتماع الحظة من السكوت بسبب المفاجأة الغير منتظرة والغير مسببه والتى لم يدرك المجتمعون دواعيها ، ولقد حاول المؤتمر بمختلف الطرق ارجاعه عن عزمه أو معرفة الاسباب التى جعلته يتخلى عن الرئاسة والابتعاد تماما عن العمل بأى صفة ، حتى يعمل المؤتمرون على تذليلها ، كما وقعت اتصالات جانبية عديدة للكشف عن السبب ، ولكننا لم نصل معه الى النتيجة المطلوبة ، وهكذا فقد كان موقفه غامضا محيرا .

ففى هذا الجو الغامض وعلى أساس من موقف المرحوم محمد شكرى وأسبابه تقدم اثنان من الاخوان وهما حديثا عهد بالجمعية كل منهما يطلب رئاستها . ولكل منهما قوة خفية تدفعه وتؤيده فى الظلام تقدم الاول وهو السيد ((....)) وابرز مذكرة يطلب الموافقة عليها والعمل بها فيما اذا أسندت اله الرئاسة ، ولقد جاء بهذه المذكرة جاهزة ، وكانت متضمنة ماأثار جدلا حادا بل وعنيفا بين المجتمعين الى حد جعل المرحوم الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلاقى)) يطلب بلهفة والحاح من سكرتير الجمعية الذى هو رئيس الاجتماع بأن يستعمل نفوذه ويوقف الجلسة نظرا لتوتر الجو

وعلى اثر ذلك طوى صاحب المذكرة مذكرته وانكمش ، وهنا خلا الجو للثانى وهو السيد « .... » وهذا رجل شبه أمى ولكنه على جانب من الدهاء والتلاعب والاستغلال

تقدم هذا الرجل الثانى طالبا الرئاسة ولكنه لم يجد قبولا ، فانتظر حتى ساعة متأخرة من الليل وطاف على أولئك الذين جاؤا من الجهات النائية بما فيهم الشيخان : ابن الحسن ـ وابن عبد النبى ، قائلا لهم ان الجو متأزم وغدا قد يحدث ما لا تحمد عقباه بين المجتمعين ، وأنا أود انقاذ الموقف ، وعليه أطلب منكم اقرارى على القيام بأعمال رئاسة الجمعية حتى يقع أجتماع آخر فينتخب رئيس للجمعية فوافقوه على ذلك ، وفى صباح اليوم الموالى أعلمونا بما تم من موافقتهم فقلنا كيف تفعلوا ذلك فى غير اجتماع ..؟ فقالوا لقد طلب منا ذلك « وأعطيناه الكلمة » على حد قولهم ولقد قبلنا ماوقع آسفين الى حين وهكذا فقد بقى هذا الاخ قائما بأعمال رئاسة الجمعية بصورة مؤقتة ودونما انتخاب ولا محضر .

وعلى أثر انتهاء جلسات المؤتمر رفعنا تقريرا عن اعماله ومنجزاته وذهبت به لتسليمه الى الاستاذ « سالومو » ثم لزيارته أيضا لانه حل محل سابقه ، وبعد أن حييته ومحادثة شفوية تتعلق بالجولة سألنى الاستاذ « سالومو » فى موضوع تقرير الجولة ـ سألنى لماذا لم تذكر فى تقريرك ذلك الشخص الذى التقيتما به فى قابس .. ؟ قلت بتجاهل أى شخص هذا فقد التقينا بكثير من الناس فقال ذلك الذى سلمتما عليه بعد خروجكما من المراقب وهو قادم من طرابلس .

وهنا تداركت الموقف وعلمت أنه على علم دقيق بالامر ، فقلت نعم صحيح ولكن هذا شيخ مسن ومن البادية لايفهم شيئا مما يفيدنا ، فقال يجب ذكر كل شيء يصادفكما فى طريقكما فقلت اسمح لى يا أستاذ « سالومو » أننا ذهبنا فى عمل معين ومحدود وفيما يتصل به أحطت بكل شيء وهو أهم ما نفكر فيه فى هذا الوقت أما هذا الشيخ وأمثاله فهناك أرصاد الحدود ومراكز البوليس والجمارك يمر بهم هو وغيره وهذا هو عملهم ، أما نحن فموضوعنا شيء آخر ، ومع ذلك فأنا لا أريد أن أتطفل على عمل ليس فى اختصاصنا ولا هو فى برنامج عملنا .

أنهينا موضوع ذلك التقرير ، وتغير الحديث ، فقال لى لقد أصبح قريبا من المؤكد بأن ايطاليا ستكون فى جانب المحور وضد الحلفاء ومن باب الاستعداد فاننا نريد أخذ بعض الشباب من الطرابلسيين لتدريبهم على الهبوط من الطائرات بالمظلات ، فقلت لا مانع من ذلك بل اننا نرحب به غير أنه يجب أن يكون عن طريق الجمعية فوافق على ذلك .

وبعد الانتهاء من هذا الموضوع وجه لى الاستاذ « سالومو » كلامه قائلا : أود أن أبدى لك أمرا وأرجو أن تفهمه جيدا ، قلت تفضل ، فقال : اننا الآن فى حالة حرب وقد ارتبطت مصالحنا ببعضها فى هذه الحرب ، فاذا ضاعت مصلحتنا ضاعت مصلحتكم معها أتعرف هذا .. ؟ فقلت نعم هذا صحيح فقال : اذن نريد منك أن تكون يقظا فنحن نعول عليك أكثر من غيرك ، وأنت عربى مسلم كأهل البلاد ولذلك تستطيع أن تختلط بهم ويطمئنوا اليك ففى امكانك أن تخبرنا عن العناصر « الدستورية » أى عناصر الحركة الوطنية التونسية » المتحركة وعن اجتماعاتهم وأماكنهم وكن مطمئنا فاننا سنحتفظ بسرك دائما كما تريد ، كما اننا لا نضر أحدا منهم وانما نوقفهم فى أماكن معينة ونوفر لهم أسباب الراحة تحت الرقابة حتى تنتهى الحرب فنطلق سراحهم افهمت .. ؟

وما كدت أسمع منه هذا الكلام حتى أحسست باضطراب نفسى شديد الوقع وشعرت أننا فى صدد الدخول فى صراع محرج وخطير ، ذلك أن عملا كهذا لا يقبله ضميرى ولا يتحمله وجدانى وهو منافى للمصلحة العربية والكرامة الشخصية ولا يتفق حتى مع مستوى حركتنا الوطنية ، والظروف خطيرة والمعارضة فيها جريمة ومن هنا فقد أصبح الموقف جد حرجا ، ولكن الله جلت قدرته قد أنقذنى من الغرق فبعث فى روعى شيئا من الشجاعة الادبية فالهمنى كلمات كانت مقبولة كما قذف فى روع محدثى شيئا من التفهم وحب الانصاف .

فقلت تسمح لى ياأستاذ « سالمو » أن أجيبك بصراحه .. ؟ فقال نعم الصراحة كل الصراحة ، وهنا قلت : اعتقد بأننا نتذكر دائما ولم ننس فى يوم من الايام فضل فرنسا علينا عندما التجأنا اليها فقبلتنا وأمنتنا بعدما اجتزنا الحدود التونسية وفتحت فى وجوهنا ميادين العمل لكى نعيش ونستقر وهو مانقدره لها دائما ونشكرها عليه كل ماعادت بنا الذاكرة الى تلك الايام الخوالى .

وما دمنا نقدر هذا الجميل لفرنسا فلا شك انه فى الوقت نفسه لاينبغى لنا

بأى حال من الاحوال أن ننسى فضل اخواننا التونسيين الذين هم استقبلونا بعطف اخوى وفتحوا لنا أبواب منازلهم وقاسمونا أقواتهم وشاركونا آلامنا ورثوا لحالنا وذلك هو كل ما يستطيعون ، وفوق هذا وذاك فانهم اخواننا مثل ما تفضلتم حضرتكم ، أفهل من المروءة أم من الانسانية أن نقابل ذلك كله بأن نصبح نقمة عليهم فى عقر دارهم ٠٠؟ لذلك كله أرجوك بصفتك الشخصية أن تكون فى جانبنا فى هذا الموضوع ، وأن تدافع عنا جهدك لكى تعفونا من هذا المأزق واعتمادنا عليك بصورة خاصة ، ومع كل ماتقدم فان لكم من الاخوان التونسيين انفسهم ما يغنيكم عنا فى هذا الامر ، وهم أدرى بحركاتهم وأعرف بعناصرهموهذا رجاء نطلبه منكم •

ولقد كان الاستاذ « سالومو » ينصت الى بعناية واهتمام حينما كنت أتكلم ولما أتممت كلامى حول نظره الى المنضده أمامه مطرقا قليلا ثم رفع رأسه وقال لى كلامك صحيح وأنت على حق ، ولكنها الظروف تقضى بهذا وأكثر ، وعلى كل فكن مطمئنا سأعمل على تحقيق طلبك هذا ما أمكننى عمله ، وما كدت أسمع كلامه هذا حتى أكبرت فى الرجل ادراكه واتزانه ، اذ أننى ما كنت أنتظر منه هذا الجواب ، بل توقعت منه انزعاجا وغلاظة وغضبا وتهديدا كما هى عادة الموظفين من المعمرين الفرنسيين بتونس تجاه من يعارضهم خصوصا ونحن فى ظروف دقيقة والمعارضة فيها تشكل خطرا محدقا على صاحبها •

وفى يوم من أيام سنة ١٩٤٠ م استدعانى الاستاذ « سالومو » وعند حضورى بمكتبه بدأ فى حديث غير ذى موضوع ومن هنا عرفت أن هذا الحديث ليس الا مقدمة لحديث أهم وأخطر ، وفعلا فقد تخلص بعد قليل الى السؤال التالى : هل الطريقة السنوسية منتشرة فى طرابلس ٠٠؟ ، فقلت نعم انها منتشرة بكثرة فقال لى أنا أعنى بسؤالى هذا : (جهتنا هذى من هنا القريبة أعنى طرابلس فقط من غير برقة) وما كاد هذا السؤال يخرج من فم الاستاذ « سالومو » وتتلقفه مسامعى حتى وقع اضطراب شديد فى أعماقى ، وأحسست بأننى قد ظفرت برأس الخيط الذى سوف يكشف لنا سر تصميم الاخ محمد شكرى كويدير على الاستقالة من الجمعية رغم الالحاح من الجميع •

وبالرغم من شعورى تجاه هذا السؤال فقد سيطرت على احساسى وتجاهلت الامر ، وصممت عمدا على أن أتوغل فى المبالغة فى قوة وانتشار الطريقةالسنوسية وتمكن نفوذها فى الجهة التى أشار اليها الاستاذ « سالومو » أعنى أقليم طرابلس آملا أن يكون لهذه المبالغة تأثيرها على أفكارهم الظالمة وأهدافهم الرهيبة فأجبته بهدوء وبساطة كأننى لم أفهم شيئا مما يرمى اليه ، فقلت نعم أنا أيضا أعنى طرابلس فان الزوايا السنوسية منتشرة فى كل مكان ولهذه الزوايا مشائخ وأتباع يكونون الاغلبية الساحقة •

ولما سمع كلامى هذا ، امتقع وجهه وقال كيف تقول هذا وبين الطرابلسيين والسنوسيين عداوات ومنازعات من زمن الحرب الايطالية والضغائن لا تزال كامنة فى الصدور ٠٠؟

قلت : هذا صحيح وقع فى الماضى ، وقد وقع ذلك حتى بين القبائل الطرابلسية نفسها ، ووقع بين قبائل برقة ايضا ، ولكن هذه المنازعات كانت جلها او كلها لاسباب شخصية وأسراوية وقبليةاثارتهاوغذتها ايطاليا بمساعيها ودسائسها وهناك منازعات نتيجة اجتهادات خاطئة .

الا ان رجال البلاد والشعب كله تنبهوا جميعا لتلك الغلطات الفادحة التى اضرت بالبلاد ضررا فادحا ، وان كان هذا الانتباه جاء متاخرا بالنسبة لحركتنا الماضية فى ميدان البلاد الداخلى .

وعلى كل فقد ذهب ذلك كله وذهبت حتى اثاره ايضا مع ذهاب تلك الأيام الغابرة ، وطويت تلك الحوادث حيث ضمتها طوايا اكفان التاريخ ، ولم يبق لها أى أثر الا الموعظة ، وقد زادنا نسيانا وموعظة ظلم ايطاليا وتصرفاتها التعصبية ومعاملاتها البربرية لشعبنا ، وها انكم تروننا اليوم هنا نعمل جميعا وهذا اسم جمعيتنا دليل حى ملموس وهذا رئيسها السيد محمد شكرى فهو من بنغازى ، وكذلك اخواننا فى الشرق ، فالجمعية فى سوريا رئيسها طرابلسى وسكرتيرها عمر شنيب من بنغازى ، ثم اخرجت رسالة شخصية من جيبى كنت قد تلقيتها من الاخ عمر شنيب يحثنا فيها على التمسك بادريس ومبايعته وناولته الرسالة وقلت له هذا دليل ناطق على وحدتنا (فاخذ منى الرسالة وبعد قراءتها احتفظ بها ولم يعدها الى) وكذلك فى مصر وغيرها من البلاد التى يوجد بها من اخواننا .

ورغم هذا كله يبدو ان الاستاذ سالومو لم يقتنع بكلامى هذا فقد شعرت ان لهجته يشوبها شىء من الامتعاض حينما قال لى : اسمع اذا كان الاتفاق غير ممكن بين الطرفين فى المستقبل وهذا ما اعتقده نظرا للسوابق التاريخية فليكن العمل منفردا من الان ، كما الح على كثيرا فى طرح الموضوع على اعضاء الجمعية لبحثه على ضوء الماضى ، فقلت : سوف افعل ذلك ، وعندما عزمت على الانصراف استوقفنى قائلا : أود أن ألاحظ لك شيئا ، وهو ان الكلام الذى أبديته لك هو راى شخصى صادر عنى ، وليس من الحكومة الفرنسية ، لذلك رايت ان انبهك لكى تعتبره كذلك ولقد حضر فى هذا الاجتماع (الكبتان : اجى)

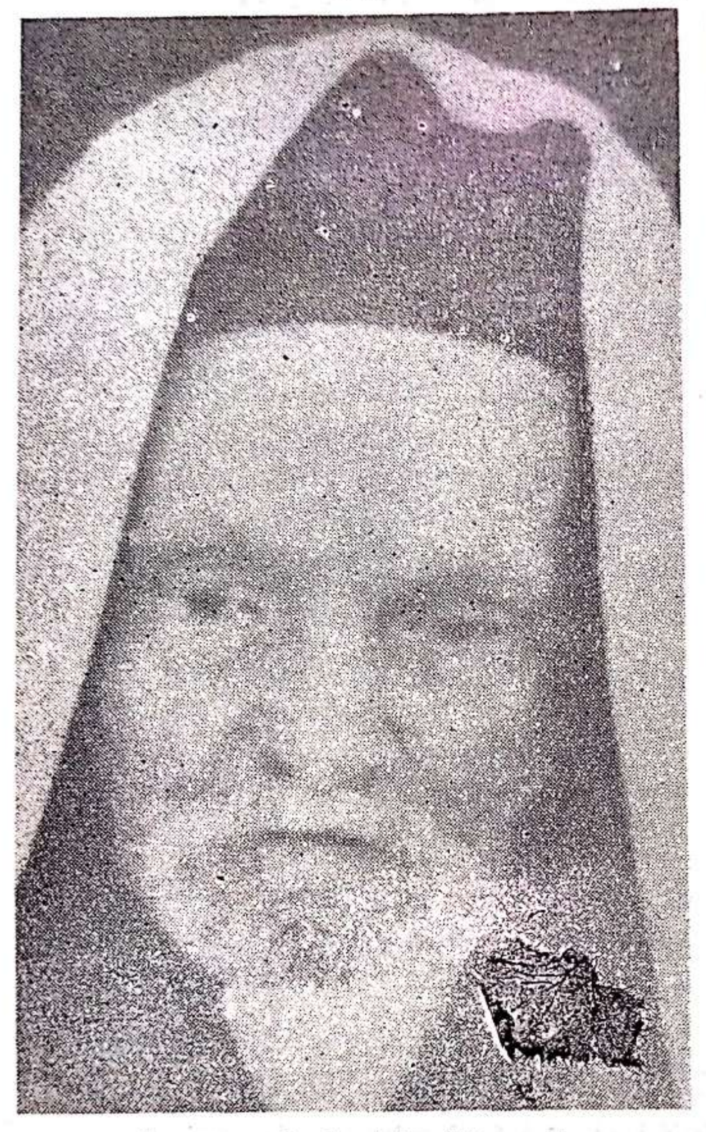
ومن الغد أعدت هذا الحديث الى الاخوان ولقد فهم الجميع مافهمته ، وبدا لنا ان هناك اتفاقا سريا بين الحلفاء ، ((ولكن انا أريد وانت تريد والله يفعل مايريد)) فلم يكن فى حسابهم انهيار فرنسا ذلك الحدث الذى غير مجرى التاريخ وحل كل ما سبقه من الارتباطات والاتفاقات ، وهذا ما أراده الله ـ ((ومصائب قوم عند قوم فوائد)) الامر الذى جعل فرنسا فى نظر حلفائها غير ذات موضوع رغم وجود الجنرال (ديجول) بينهم ، ولكن كان وجوده بينهم فى الواقع « كفحل بلا ابل » وبسبب هذا التبرم الغير الشريف فى سياسة الحلفاء نحو حليفتهم التى كبا بها الجواد من اجلهم واجلها تغيرت السياسة الفرنسية الى ما هى عليه اليوم .

وبعد يومين من هذه المقابلة وصلتنى رسالة من الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلاقى)) وقد كان يسكن فى بلد « اقليبية » وتبعد عن تونس العاصمة اكثر من ١٠٠ كيلو متر ، والاستاذ غالب رجل عسكرى دراسة وتطبيقا ، وهذا نص رسالته:

رسالة من المرحــوم محمد غالب الكيب



محمد غالب فى شبابه رحمه الله



محمد غالب فى شيخوخته رحمه الله

جناب الوطنى الفاضل سيدى أحمد زارم .   السلام عليكم وبعد :

فقد ظهرت فى هذه الايام نشاط وحركات عسكرية كبرى فى القطر التونسى، فما من يوم الا وترى فيه جيوشا تجهز وترسل لتأخذ مكانها فى الواجهة استعدادا للطوارىء ، ونحن وسط هذه الاستعدادات والحركات النشيطة كالاجانب الذين لايهمهم أمر هــذه الحركات لحرب متوقعة والمسألة تهمنا مباشرة حيث انها اذا وقعت انما ستقع فى بلادنا وضد عدونا فانها فرصة مناسبة لاظهار نشاطنــا بأخذ مكاننا فى الواجهة ليعلم عدونا اننا لم نمت ولم يقض علينا ، بل نحن أحياء ودائما مستعدين وحاضرين للفتك به ولا نترك فرصة تمر دون أن ننتهزها ضده فهل أنتم على اتصال مع الحكومة ...؟ وهل قررتم معها شيئا فى خصوص تعبئة الطرابلسيين وأخــذ مكانهم اللائق بهم فى الواجهة واستعدادهم للغارة على عدوهم أم أنتم سكوت .. ؟

والســـــلام

٢٩ آوت سنة ١٩٣٩ م   أخوكم محمد غالب

ولما كانت اتصالاتنا بالاستاذ محمد غالب مستديمة وان كان هو يسـكن فى بلد تبعد عن تونس باكثر من مائة كيلو متر فنحن دائما نعلمه بما يجد عن طريق البريد ، ومن هنا فهو يعلم كل تحركاتنا ولذلك ظننت أنه يريد من وراء سؤاله فى رسالته هذه معرفة تخطيط يتعلق بالمستقبل كنا قد تكلمنا فى شأنه بغير صراحة فى يوم ما بحضوره وهذا التخطيط على جانب من الخطورة ولذا فقد وقع تحريره وتحديد نقاطه وبقى سرا مكتوما الى أن تحل ساعة العمل وحينئذ نسلم صورة لكل فرد من الأفراد المعدودين الذين وقع اختيارهم وضبطت أسماءهم فى قائمة حفظت مع التخطيط ، وذلك احتياطا من أن يتسرب خبره الى الفرنسيين ، لانه تخطيط يحدد طرق مواقفنا وتصرفاتنا تجاه الفرنسيين بمجرد احتلال النفط الاولى من وطننا وذلك للمحافظة على وحدة البلاد ، وحتى لانترك لهم فرصة لبث التفرقة والفتن وزرع الشكوك والشقاق بين المواطنين ليستغلها الاستعمار فيما بعد للسيطرة على البلاد

وعلى أثر تسلمى هذه الرسالة وفهمى منها ما تقدم ، وبما أننا كنا ننتظر فرصة اجتماع قادم يحضر فيه الاستاذ غالب الى تونس فنسلمه التخطيط كى يدرسه ويعطى رأيه فيه بوصفه رجلا عسكريا دراسة وتطبيقا ، فقد رأيت أن أرسل له صورة منه ، وفعلا فقد أرسلت له صورة بالبريد وطلبت منه دراستها مليا واعادتها لى مع ملاحظاته عليها ، وبمجرد وصولها اليه جاءنى الى بيتى (بالكرم) وهو فى حالة من الانفعال الشديد ، وقد كانت مفاجأة غير منتظرة ، وبعد السلام جلس قليلا فسألته اذا كان قد بلغه التخطيط ، فقال نعم وصل أرنى الاصل فجئته به وبعد ان نظر فيه وجه لى لوما شديدا قائلا ماهذا التهور أترسل مثل هذا الكلام فى البريد !! فلو قدر وأطلعت عليه فرنسا لنكلت بنا أشد التنكيل ، ولضاعت آمالنا الوطنية عن طريقها ولعلها مكرا تسلمنا لايطاليا ، فأى تفكير لك هذا ..؟ ثم قال لى ان الصورة التى وصلتنى أحرقتها بمجرد اطلاعى عليها ، وحتى هذه لا أريدها أن تبقى وأخذ يمزقها ثم قال لى والآن لاأتناول غذاء ولا أبرح المكان حتى تحرق هذه الاوراق وأراها أمامى هباء أسود ، وقد أحرقت فعلا .

ايطاليا فى الميدان

بعد المؤتمر الانف الذكر اتخذت الجمعية مقرا لها فى (نهج الذهب) بتونس وفى هذا المقر وقع اجتماع عام وفيه أبدل أسم الجمعية من جمعيـــــة الدفاع عن طرابلس وبرقة الى « جمعية التوادد والتعاضد بين المهجرين المسلمين » وفى هذه الفترة أخذنا نوالى الاجتماعات والاتصالات ببعضنا وفى تفكير مستمر واســـتعداد للمستقبل القريب والبعيد ونهيىء أنفسنا لما ينتظرنا من المواقف العصيبة تجاه العـدو والصديق ، وفى اليوم الحادى عشر من شهر يونيو سنة ١٩٤٠م أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء منحازة الى جانب ألمانيا الهتلرية .

وفى هذا اليوم نفسه أستدعانى المكتب المختص ولما مثلت فى المكتب طلب منى السفر فورا الى الجزائر للالتحاق بالقيادة العامـة للحلفاء فى شمال افريقيـا عـلى أن يكون السفر بأقصى ما يمكن من السرعة وبعد أن تلقيت هذا الامر رجعت الى الاخوان وقد كانوا فى أجتماع متواصل بسبب أعلان ايطاليا الحرب . وأعدت لهم ما طلبه المكتب الفرنسى المختص منى وهو السفر السريع فاستولى على الجماعة شيىء من الوجوم والتفكير العميق .

وبعد لحظة أظهر الاستاذ محمد عباس اعتراضه على السفر قائلا : ما لنـــا والقيادة فنحن اتجاهنا الى بلادنا لبدء الثورة فان عـذا السفر أمر مبيت سيؤدى الى تشتيتنا الذى ينتج عنه ضياع مصلحتنا الوطنية لان الاتصال ببعضنا والتشاور فى خططنا المبيته والامور الطارئة يصبح متعذرا ونحن ما دخلنا هذه المعمعة لكســب مادى أو معنوى شخصى ، وانما لتحقيق مصلحة وطننا الا وهى استقلال بـــلادنـا وبعد هذه العبارات من الاستاذ محمد عباس ، قال يجب أن ترفض السفر ، وقـــد خاض الاخوان فى الموضوع ، وبعد دراسته على مختلف وجوهه أجمع الاخـوان على أن الظروف دقيقة لا تتحمل المعارضة وقد اقتنع الجميع بذلك .

وفى نفس الوقت غادرت الاجتماع وعدت الى منزلى فى ((الكرم)) لـــكى أتهيىء للسـفر ، وقبـل ظهر ١١ يونيـــه جاءت الطـائرات الايطاليـة المغيرة وقـد استهدفت منشاءات فى المنطقة منها : مركز توليد الكهرباء ، ومطار آيروبور» والخط الحديدى المـكهرب الرابط بين تونس العاصمة وأحـوازها من حلـق الوادى الى المرسى وغير هذه من الاهداف ، وقد اخذت هذه الطائرات تمطر تلك الاهداف ، بوابل من قنابلها المزعجـة ولكنها من ألطاف الله لم تصب أى هـدف من تلك الاهـداف فى ذلك اليوم .

ولقد كان ذلك اليوم يوما تاريخيا فى حياة تونس وشعب تونس ، يوما وياله من يوم ، يوما ذهلت فيه العقـول وطارت لهوله الألباب يوم خـرجت فيه النســاء المحجبات فى ذهول وشرود يخبطن الارض بأرجلهـن بدون وعى ، وتخلى الـكثير من الرجال عن كبريائهم وهم يهرولون فى ذعر وانزعاج حتى ليخيـــل لك كأنه يـــوم القيامة ، كل يطلب النجاة لنفسه وكفى .

والواقع ان الناس معذورون اذ لا عهد لهم بمثل هذه الاحداث فى ماضيهم ، فهذه هى أول مرة فى تاريخ تونس فيما اعتقد يرون طائرات حربية عدوة تغزو الفضاء التونسى وتحلق فوق رؤوس الناس وتلقى بصواعقها على اهداف ضخمة وحيوية ، وقد زاد فى رهبة الموقف اختلاط صدى انفجار القنابل بهدير الطائرات فكون ذلك صدى رهيبا مزعجا يصم الاذان ويهز مشاعر كل انسان .

ومما يزيد فى هول المنظر ورهبة الموقف واضطراب النفوس هو أن بعض القنابل سقط فى مياه « بحيرة شكلى » فشاهد الناس المفعول المريع لتلك القنابل ، فحينما تسقط القنبلة داخل هذه البحيرة المائية يندفع الماء منها الى علو شاهق وفى خفة وسرعة خاطفة كأنما يدفعه الشوق المضنى لتقبيلها قبل وصولها الامر الذى زاد فى أزعاج الناس على السواء ، وقد أنتشر رجال الدفاع السلبى فى كل مكان ، وكلهم من العرب فى تلك المنطقة يرشدون الناس لاتقاء الاخطار ، وقد قاموا بواجبهم على خير وجه .



التحاقى بقيادة الحلفاء فى الجزائر

ففى صباح ١٢ يونية سنة ١٩٤٠ ركبت القطار من تونس العاصمة وتحرك بنا فى اتجاه الغرب صوب الجزائر تاركا عائلتى فى ذلك الجو المرتبك الرهيب ، أما فيما يتعلق بالجمعية واجراءاتها فلقد حل محلى الاستاذ محمد عباس وكانت الجمعية فى اجتماعات متواصلة واتصالات مستمرة مع السلطات الفرنسية ، وقد كانوا يجمعون الصالحين من المهاجرين لحمل السلاح فى جهة ((قفصة)) لتسلم لهم الاسلحة فى ساعة الصفر للزحف على حدود بلادهم ولقد بلغ عدد الذين استعدوا لحمل السلاح حتى يوم سفرى من تونس أربعة آلاف فى منطقة خارج قفصه وقريبة منها فى انتظار الامر بالتحرك .

قلت آنفا ركبت القطار فى طريقى الى الجزائر ، والجدير بالملاحظة هو أننى لم تسبق لى معرفة بارض الجزائر — ولا بشعبها من قبل ، والافراد الذين أعرفهم بالجزائر كانت معرفة بطريق المكاتبة وهم من عناصر الحركة الوطنية ، وهذه العناصر كانت فى تلك الظروف مشتتة بين السجون وتحديد الاقامة والمراقبة الشديدة اليقظة من طرف السلطات الفرنسية ، ومع ذلك فمن الناحية العملية لسنا فى طريق واحدة ، فأنا فى واد ، وهم فى واد آخر ، وان كان الجوهر واحدا ولكنها مواقف فرضتها ظروف ومصالح ليس لنا فيها من اختيار .

وفى يوم ١٣ (يونيه ٤٠) بعد الظهر وصل القطار الى الجزائر العاصمة وقد نزل منه خلق كثير ولما كنت لا أعرف البلاد من قبل ، فقد سرت فى غمرة تلك الجماهير المتجهة نحو « المصعد » (سانسير) وبطريقة جاسوسية ولطيفة وقع اكتشافى ، اذ بينما كنت سائرا فى وسط ذلك الجمهور سمعت على حين غفلة مناديا بصوت هادىء وخافت « زارم » فأدرت وجهى نحو الخلف حيث جهة مصدر الصوت ، وبمجرد الالتفاتة تقدم لى شخصان ، وقال أحدهما أنت احمد زارم ؟)) قلت نعم ، ومن أنت لم أعرفك ، فقال أنا مكلف من طرف الحكومة ، ثم التحق به شخص آخر ، والشخصان أحدهما عربى مسلم ، والثانى أروباوى فرنسى ، فهذا الاوروبى قصير القامة نحيل الجسم فى حوالى الخمسين من العمر تقريبا .

أما الرجل الاول العربى فهو شيخ على رأسه عمامة بيضاء يرتدى لباسا عربيا على الطريقة الجزائرية وهو طويل القامة خصب الجسم فى غير سمنة حاد النظر أبيض اللون يناهز الخمسين من العمر هو الآخر ، ولقد علمت فيما بعد أن الاوروبى مستشرق اسمه « روفييى » وقد قيل لى انه أستاذ بالمدرسة الثعالبية ، وهو يتكلم العربية باللهجة الجزائرية ، وأما الشيخ ، فهو الشيخ أحمد بن زكرى ، وهو من أبرز الشخصيات الجزائرية ، ومن أصحاب الثقافة العالية العربية والفرنسية حسبما قرأته عنه فى الصحف حينما عين نائبا فى الجمعية الوطنية الفرنسية بعد الهدنة .

وبعد وصولنا الى منزل الشيخ احمد بن زكرى تركت من طرف المستقبلين لأخذ الراحة من تعب السفر ، ومن الغد خرجت صحبة الشيخ احمد لشراء حاجيات كانت بالنسبة لى ضرورية لكى أغير بها الزى حتى لا أكون ملفتا للانظار ، نظرا

لان الخوف منتشر فى البلاد والجاسوسية ضاربة أطنابها والبوليس السرى تشعر به فى كل خطوة ، لذلك كان ضروريا تغيير الزى ، وفى اليوم الثالث خرجنا للتجول فى البلاد ، وبالمناسبة زرنا ضريح سيدى عبد الرحمن الثعالبى رضى الله عنه ، ثم زرنا المدرسة الثعالبية وهى مدرسة جميلة البناء متسعة الارجاء تقع فى مكان مرتفع من المدينة ، وعند خروجنا منها ، دخلنا حديقة عمومية حذو المدرسة فيما أتذكر وهى منتزه عمومى جميل المنظر تكسوه النباتات الخضراء وتزينه الزهور ذات الالوان المختلفة وفى هذا المنتزه مقاعد حجرية متناثرة هنا وهناك فوقفنا قليلا للتأمل فأظهرت اعجابى بذلك المنظر الجميل البديع ، وعندها قال لى الشيخ أحمد : هذا منتزه عمومى وأمثاله كثيرة للترفيه على الفرنسيين بينما نحن العرب يرقد الكثير منا فى الشوارع تحت الجدران فى أيام الحر والبرد ، ولا تسأل عن الظلم .

وبعد انتهاء الشيخ من كلامه قلت له : أذن كيف تجد الحكومة الفرنسية من يقف بجانبها من المسلمين مادامت هذه هى معاملتها ، وما دام هذا الشعور يملأ الصدور ويختلج فى النفوس .. ؟ فأجابنى قائلا : نحن قلنا لهم « يعنى عناصر الحركة الوطنية التحررية » اذا كانت ثورة مسلحة ووفرتم لنا مقوماتها فنحن معكم فى الطليعة ، أما اذا كانت الحركة سياسية سلمية فلا تزيدنا الا ضغطا وحرمانا عما نحن فيه ، قال هذا القول وسكت ، وفى الواقع النفسى أن كلامه هذا لم يقنعنى غير أننى انتبهت للموقف الذى انا فيه ورأيت أن التوغل فى مثل هذا الموضوع ليس من مصلحتى فى تلك الظروف فسلمت جدلا .

ومن هنا من تلك الحديقة انحدرنا الى مقهى لاحد أصدقاء الشيخ احمد اسمه « الحاج حسين » وأظنه فى الاصل من جبل (زواوه) وهذه المقهى تقع بالقرب من ميدان صغير يعرف باسم « ابلاصت العود » سمعت بعد الاستقلال أطلق عليه اسم « ميدان الشهداء » ونحن فى طريقنا الى هذه المقهى رأيت منظرا غريبا لفت انتباهى وأثار فى نفسى حيرة واستعجابا ، ولقد دفعنى الفضول وألحت على غريزة حب الاطلاع الى أن أوجه سؤالا الى الشيخ أحمد عن ذلك .

وهذا المنظر هو اننى رأيت بناء ضخما تدل جميع مظاهره انه جامع اسلامى وصومعته لا تزال قائمة وهى مقامة على نسق جوامع الحنفية من حيث شكل البناء ، ويقع فى أحسن موقع من المدينة ، وقد رأيت النصارى يدخلون اليه ويخرجون منه ولم أر مسلما يدخله أو يخرج منه لهذه الظواهر التى كانت غريبة عنى غير عارفها ، سألت الشيخ أحمد ، أهذا جامع اسلامى أم ماذا ..؟ فسكت لحظة ونظر الى البناء المذكور ، وقال : متأثرا هو جامع أسلامى فعلا بنى فى عهد الاتراك العثمانيين .

وفى وقت من أوقات هذا الاحتلال المشئوم قال الفرنسيون : بما أن جوامعكم كثيرة نريد اخذ هذا الجامع لنحوله الى كنيسة ، وفعلا فقد حولوه الى كنيسة فقلت اذا لماذا أبقوا على مظاهره بما فيها الصومعة .. ؟ فقال حتى المحراب داخله لايزال كما هو ، فقلت وما هو السر فى ذلك ..؟ فقال انا لا اعرف لذلك من سر الا الامعان

فى قهر المسلمين واذلالهم كى يقتلوا فى نفوسهم ما بقى من شعور بالكرامة والاحساس بالدين والتفكير فى الاصل .

وبعد أيام انتقلت من بيت الشيخ احمد الى فندق : « هوتيل » فى احد الشوارع لا اتذكر اسمه وبعد أيام لا أدرى عدتها جاءنى أمسية الشيخ احمد بن زكرى وذهبنا معا الى الضابطين « ليفى بروفنصال » « ومنطان » ثم ذهبنا جميعا فى تلك الليلة الى مطبعة ضخمة لم اتمكن من معرفة مكانها ولا اسمها ، وهناك وفى تلك الليلة كتبت منشورا جاء فيه تفاصيل القبض على المجاهد الشهيد عمر المختار وكيفية اعدامه بأيدى الايطاليين وفيه اثارة لشعور الجنود الليبيين وحثهم على الانحياز لصفوف الحلفاء لتحرير بلادهم ، مع اخوانهم الزاحفين .



كيف تلقيت نبــأ وفاة البــارونى



بينما كنت فى الفندق أطالع كتابا استصحبته معى لمعرفة الاماكن التى يصفها الكتاب وهى أماكن كان يعسكر بها المجاهدوُن فى حــروبهم ضد التسلط الاستعمارى الفرنسى فى أوائل القرن الثامن عشر بقيادة المغفور له الامير عبــد القادر الجــزائرى يحاصرون الجيوش الفرنسية كمنطقة باب الوادى مثلا وغيرها ، وهذا الكتاب هو كتاب « الدولة العربية المتحدة » فى ثلاثة أجزاء لمؤلفه الاستاذ أمين سعيد » المصرى،بينما كنت أطالع هذا الكتاب وأنظر الى الاماكن من نوافذ غرفتى فى الفندق ، تلك‌الاماكن التى أصبحت اليوم كلها مبانى وأحياء من مدينة الجزائر ، بينما كنت سارحا فى أحلامى التاريخية اذ بالشيخ أحمد بن زكرى يدخل على فى الغرفة ، فذهبت معه الى بيته وتناولنا الغذاء عنده وعند الانتهاء بقليل دخل علينا ضابطان فرنسيان هما ((ليفى بروفنصال)) وهذا رئيس المكتب السياسى فى القيادة العامة للحلفاء بشمال افريقيا ومقرها الجزائر ، والضابط الثانى هو : (الكبتن منطان) وهــذا قائد فــرق

الطيران وألاحظ : ان الامر قد اشتبه عني الآن لاأدرى (منطان) أهو كابتن أو كومندان

وبعد تبادل التحية اخذكل منا مكانه،وبعد حديث قصير وجه لى ((بروفنصال))
السؤال التالى : من هم الزعماء الذين طلبتم استقدامهم من الشرق .. ؟ قلت له :
البارونى - والسعداوى - وعون سوف - وأحمد السويحلى - فقال : بعد غد
يصل اثنان منهم ، قلت من هما : ؟ قال عون سوف ومعه شخص آخر - ولقد وجدت
فيما بعد ان هذا الشخص هو الاستاذ (محمد توفيق الكميشى الغريانى) وعندئذ
قلت له : والسعداوى .. ؟ قال : ان ابن السعود لا يسمح له بالتغيب . قلت
والسويحلى قال السويحلى كان مستعدا غير أنه فى آخر لحظة تراجع فى موقفه
وامتنع عن السفر .

ثم قلت : والبارونى ....؟ فتوقف الضابط عن الجواب قليلا ونظر الى نظرة
فيها شيء من الحيرة ثم قال : لقد أرسلنا برقية للبارونى وطلبنا منه أن يعد نفسه
لركوب الطائرة ، وحددنا له المكان والزمان فرجع لنا الجواب يقول : ان البارونى
قد توفى منذ خمسة عشر يوما مضت وأقول الحق لقد كان لهذا النبأ المزعج
المفاجيء صداه السيىء فى نفسى وتأثيره الأليم على شعورى . وانها لصدمة شديدة
عنيفة أوصلتنى الى حد الذهول .

وبينما كنت أحاول التجلد وعدم الاهتمام بالنبأ ولكن التأثر كان باديا وخيم
السكوت على الجميع لحظة ، وعندها تكلم الضابط بروفنصال يحاول تحويلى عن
ذلك الذهول فقال : الارتباك من باب الضعف فى مثل هذه الظروف ، بل يجب التجلد
وقوة الصبر ، وأن الانزعاج والحزن لا يفيدان شيئا حيث أن الوقت ، وقت عمل
وجد فأجبته : بصوت متأثر جدا : نعم هذا صحيح ونحن سائرون فى طريقنا
المرسوم قطعا الى النهاية فلا يضعفنا أى حادث مهما عظم ، وهنا تدخل الضابط
منطان وقال لزميله « بروفنصال » لقد تلقى الرجل صدمة وله الحق فى ذلك فلنتركه
الى غد وقد غادرا المكان .

ولقد أمضيت تلك الليلة أسأل نفسى : فهل حقا أن البارونى مات .. ؟ ولماذا
لايموت الا الآن وفى هذه الظروف بالذات ، أليس هذا نذير شؤم بالنسبة لمستقبلنا
ما هذه المصادفات السيئة ، البارونى مات والسويحلى يعدل عن المجيء فى آخر
لحظة ، والسعداوى لا يسمح له ابن السعود بالتغيب ، هل أنا الآن فى منام مزعج
سوف تذروه رياح اليقظة عند الانتباه ، ولقد بت تلك الليلة فى هواجس وأحلام
وفى غمرة هذه الهواجس حاولت أن أقول كلمة شعر ، وقد قلت أبياتا لا أدرى أهى
شعر أم سجع أم غير ذلك اذ أننى لست بشاعر ،وعلى كل فهى كلمات تترجم عن حالتى
النفسية فى ذلك الظرف ، وقد نسيتها وهى مصادفة مخيفة تبعث التطير فى نفس
المسلم ، وهو مسلم نظرا لوقوعها فى ظروف جد خطيرة ومستقبل غامض جاهم
ولقد تطيرت والحق أقوله من هذه المصادفات المزعجة ، وكنت أكره التطير والمتطيرين
ولا غرو فان المرحوم البارونى له منزلة ممتازة فى نفوسنا وسمعته داخل الوطن
نظرا لغزارة علمه وكثرة تجاربه وظهور شخصيته ونحن على أبواب الاندفاع فى حرب
تعمل فيها الاسلحة عملها ثم تدخل المناورات السياسية والانتباه الفكرى تغذيهما
زبدة التجارب الماضية ، تدخل هذه العوامل قبل النهاية الاخيرة للحرب وهى

التى تثبت المصالح وتقر الحقوق ، ولذلك فنحن نعول من هذه الناحية لثورتنا على زعمائنا القدامى وفى طليعتهم البارونى نظرا لما لهم من الخبرة والتجارب الماضية .

أربعة زعماء طلبنا من السلطات الفرنسية ونحن فى تونس استقدامهم ، فلم يحضر منهم الا واحد هو المرحوم عون سوف ، وهذا من الناحية الحربية والشجاعة والاقدام والاخلاص فى حرب الاعداء هو فى الذروة من زعمائنا ولا يجاريه فى ذلك أى منهم ، ولكن من الناحية العلمية والسياسية لم يكن كذلك ، ثم أن موت البارونى وصلنا فى أدق الظروف وأحرجها ، هذه هى العوامل التى جعلتنى اتلقى نبا موت البارونى بعميق الحيرة والارتباك وفى مساء اليوم الموالى ليلا جاءنى الشيخ احمد بن زكرى وذهبنا معا الى الضابطين (بروفنصال ومنطسان) ثم ذهبنا جميعا الى مطبعة هى التى ذهبنا اليها أول مرة وكتبنا منشورا جاء فيه نبا موت البارونى وعندما بدأت فى كتابة المنشور قال لى الضابط قل سبب موت البارونى هو أن الايطاليين ارسلوا اليه أحد عملائهم فدس له السم فمات .

وحينما قال لى هذا الكلام توقفت عن الكتابة ، وسالته هل هذا صحيح ..؟ فتردد الضابط ((بروفنصال)) قليلا ثم قال مبتسما نحن فى حالة حرب وكل ما يفيد فى الحرب جائز، ومن هنا فهمت ان الموت كان طبيعيا ، والملاحظ هنا ان المنشورات كتبت باللهجة العامية الطرابلسية وقد القيت على الاراضى الليبية بواسطة الطائرات ، والغريب فى الامر هو أننى حينما عدت الى الوطن بعد انهزام ايطاليا فى السنوات ١٩٤٣ و ١٩٤٤ و ١٩٤٨م الى ان وقع اخراجنا منه فى مارس سنة ١٩٥٢م بصورة سيأتى تفصيلها فيما بعد .

ففى كامل هذه السنوات وانا افتش وسالت الكثير من المواطنين عن هذه المناشير عسى ان اجد واحدا منها لكى اضمه الى هذه الذكريات فما وجدت لها من أثر ، وهنا أود أن ألاحظ بأننى بعدما نشرت حلقات على جريدة (الشعب) لصاحبها الاستاذ على مصطفى المسراتى واشرت فيها الى هذا المنشور ، وبينماكنت سائرا فى احد شوارع طرابلس اذ استوقفنى احد الاخوان من الذين اعرفهم ومن الأصدقاء الصادقين وبعد تبادل التحية قال لى : ان المنشور الذى ذكرته فى ذكرياتك والذى قلت انك سالت عليه كثيرا فلم تجده ولم تجد حتى من وقع فى يده او حتى علم به .

ان هذا المنشور أستطيع ان افيدك عنه ، فاقول اننى رايته ووقع بيدى قلت وكيف ذلك ..؟ قال : لقد نودى على فى مركز البوليس الايطالى فى ذلك الوقت وأبرزوا الى ذلك المنشور بعينه وطلبوا منى ترجمته ، فترجمته لهم الى اللغة الايطالية ، وهنا قلت لصديقى المشار اليه اذا لا ترى مانعا فاكتب لى رسالة فى الموضوع لكى اخذها (بالزنكوغراف) وأضعها فى كتاب ذكرياتى فكان جوابه لى بالايجاب ولكنه لم يفعل لحد الانتهاء من كتابة هذه الذكريات .





حينما التقينا فى الجزائرية سنة ١٩٤٠م عون محمد سوف ٠ و ٠ محمد توفيق الغريانى ـ رحمهما الله وكاتب هذه المذكرات اخذت لنا صورة ثلاثتنا معا ٠ فأخذ كل واحد منا صورة منها للذكرى فالصورة التى عندى قد التهمتها النار مع غيرها فى مناسبة ذكرت في هذه الذكريات فاتصلت بالاخ احمد عون سوف عسى ان تكون الصورة التى عند المرحوم والده موجودة ٠ فقال انه لم يرها اطلاقا ٠

وعندئذ اتصلت بأبناء الموحوم محمد توفيق اذ ربما توجد فى مخلفات والدهم فما وجدت منهم تجاوبا فى الموضوع ٠ ولذلك اكتفيت بالصورتين . ولعلى أظفر بالصورة المطلوبة عند أحدهما فى مستقبل الايام وأتمكن من وضعها فى طبعة ثانية اذا كتب الله لى بقية من عمر فى دفتر القدر ، أرجو الله الاعانة والتيسير انه على مايشاء قدير ٠

وفى اليوم الثالث من اليوم الذى أخبرت فيه بموت البارونى وصل الى الجزائر السيدان (عون محمد سوف) و (محمد توفيق الغريانى) قادمين من القاهرة بطريق الجو عبر (السودان العربى : المصرى سابقا) والسودان الفرنسى سابقا أيضا ، وبينما أنا جالس فى الفندق أطالع (كتاب الدولة العربية المتحدة) اذ طرق باب الغرفة طارق ، ولما فتحت الباب وجدته (الشيخ احمد بن زكرى) وبعد أن تبادلنا التحية جلس ليقول لى : الجماعة وصلت وهما الآن بالمقهى ، وبما ان الحالة كانت متحرجة والبوليس فى يقظة والجوسسة منتشرة والحركة الوطنية الجزائرية تشغل بال الحكومة الفرنسية فقد نبهنى الشيخ أحمد بأن لا آتى بما يلفت الانظار حتى فى طريقة التحية يجب أن تكون عادية للغاية ، ولقد نهضت معه الى ان وصلنا قرب المقهى التى بها الاخوان فتخلف الشيخ وسرت لوحدى فوجدتهما جالسين فتبادلنا التحية طبقا للتوصية ، وبعد لحظة افترقنا ٠

وبعد أيام لا أعرف عدتها من وصول عون سوف ومحمد توفيق انتقلنا بأمر السلطة العسكرية الفرنسية الى داخل القيادة العامة ، ولقد خصصت لنا داخل نطاقها (فيلا) يحيط بها بستان متسع الاركان تعمره أشجار مثمرة كثيفة مختلفة الانواع ، والبستان مسيج باشواك طبيعية وصناعية ، ومقر هذه القياده يقع الى الجنوب الغربى من مدينة الجزائر فيما يبدو لى وفى مكان يدعى (بن عنكوت) وهو احدى ضواحى العاصمة ، وكان رئيس هذه القيادة فرنسى هو (الجنرال نوجيس) وكان معه جنرال انجليزى فى نفس القيادة ، وقد كنت سجلت اسمه عندى ولكنه ضاع مع ما ضاع ، ومنطقة القيادة متسعة ومحاطة باسلاك شائكة ذات عرض وارتفاع كبيرين ولها مداخل معينة يحرس هذه المداخل جنود من الفرنسيين أنفسهم ، وهم فى منتهى اليقظة والانتباه ، ولا يخرج من هذه المنطقة أو يدخل اليها أحد الا برخصة خاصة .

وفى الفيلا خصصت لنا القيادة شيخا كبيرا اسمه (اعراب) وأظنه من قبائل (زواوه) وهو رجل وديع فى حوالى الخامسة والخمسين من العمر تقريبا نحيل الجسم قصير القامة ولكنه على غاية من النشاط وهو محافظ على الصلوات فى كامل المدة التى قضاها معنا ومهمته الشراء من المدينة ما يلزم وطهى الطعام وهو يدخل ويخرج يوميا برخصة خاصة ، وقد كنا نحن فى هذه الفيلا ندرس الطرق وأماكن المياه ومواقع القبائل ومواقفها وغير ذلك بواسطة خرائط عسكرية ومدنية وفرتها لنا القيادة .

وبعد أيام لا أتذكر عدتها بينما كنا جالسين ثلاثتنا اذ بالضابطين ((ليفى بروفنصال)) ((ومنطان)) فالاول يهودى فرنسى ، وهو رئيس المكتب السياسى فى القيادة . والثانى فرنسى صميم وهو قائد اسراب الطائرات فى المنطقة ، جاء هذان ومعهما الاستاذ (روفيى) والشيخ احمد بن زكرى وبعد جلسة قصيرة ومقدمة من الحديث طلبوا منا (والمتكلم منهم بروفنصال) تحضير كلمة مركزة يلقيها أحدنا فى الاذاعة ضد (الامير شكيب أرسلان رحمه الله للتشنيع بموقفه المنحاز لالمانيا واعتباره خيانة .

وبعد لحظة من تبادل النظرات فيما بيننا ، قال المرحوم عون سوف : غدا نجيبكم عن هذا ، والى هنا غادرونا جميعا وفى الليل تداولنا الامر ، وقد رأينا أن الاساءة الى شخصية هى من أعظم شخصيات العرب والمسلمين فى عصرها هى خيانة للقضية العربية العامة واهانة للقومية وضربة قاتلة الليبيين مهما كانت الظروف والمصالح ، وقال عون سوف : أن هؤلاء يريدون أن يضحكوا على ذقوننا ، ومن هنا حددنا الجواب الذى يجب أن يقال لهم ، على أن يبدأ بالرفض عون ، ثم يتبعه توفيق بالمبررات ، لان توفيق طاق اللسان غزير المادة جهورى السوط بينما الاول يقول ما يريد ولا يبالى .

ومن الغد جاءوا أربعتهم وخرجنا أمام الفيلا ووقفنا فى دائرة ، وقال عون سوف أن طلبكم مستحيل علينا أن نفعله ، وهنا قال (بروفنصال) : من أين جاءت الاستحالة .. ؟ وهنا تدخل توفيق قائلا:أن شكيبا شخصية عربية اسلامية

معروفة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى عربه وعجمه فان كلا منـــا لا يؤثر فيـــه تم ن‍ا كلا منـــا فيه يجعلنا سخرية فى نظر العرب وحتى فى بلادنا ، وفى اعتقادنـــا ان هـــذا ليس من صالحنا ولا من صالحكم ٠٠٠ الخ وهنا قال عون ســـوف : أليس نفس الاسباب التى جاءت بنا هنا هى ذاتها التى دفعت شكيبا الى المانيا ان صـــح انحيازه اليها .

أفهل من المنطق أم من المعقول ان نلوم شـــكيبا ونعذر أنفسنا والناس يعـــرفون كل شىء وأقول الحق انهـــم لما ســـمعوا هذا الكلام لم يجادلوا فيه ولم يلحـــوا وانما تخلوا عن الفكرة نهائيا ، وبعد هذه المحاولة بأيام طلبت منا القيادة أن يســـتعد ٠ عون سوف فورا الى السفر ٠ ولم تذكر لنا وجهة سفره ولكننا عرفنا الامر تلقـــائيا ، عرفنا انه اتجه الى قفصة : تونس لقيادة الثورة والزحف على الحدود والمـــرحوم عون سوف تتوفر فيه الشجاعة والاخلاص والتدبير فى مجابهة العدو كما أنه أصغر الزعماء الليبيين فى القطر التونسى سنا اذ ذاك ، لذلك اختير لقيادة الثورة .

ولقد اســـتعد المرحوم عون وســـافر ليلا ملتحقا بتجمـــع المهاجرين الليبيين فى منطقة قفصة من البلاد التونسية حيث تجمع ألوف من الاخوان استعدادا لحمـــل السلاح والزحف على الحدود الليبية الغربية لاخذ الثار وتطهير الديار ولقد وصل فى اليوم الموالى لتلك الليلة الى حيث يتجمـــع الاخـــوان ومن غد يوم وصوله أخـــذت السلطات العسكرية فى توزيع الاسلحة على المهاجرين المسجلين وأستمر ذلك لمـــدة أربع ساعات وعلى حين غفلة وبدون سبب ظاهر أوقف التوزيع ثم أخذت تسترد ما وزعته دون أن تبدى أى سبب لهذا التراجع .



انهيار فرنسا أمام الزحف الهتلرى

بعد غياب ليلتين ويوم عاد الينا عون سوف فى صباح اليوم الثانى . ومن غد يوم رجوعه بينما كنا جالسين بعد الظهر نتساءل فى بعضنا ونتكهن عن أسباب العودة واذا بذلك الشيخ « الطاهى » (اعراب) قادم من المدينة كعادته لاحضار طعام العشاء . وقد كان وجهه على غير ماعرفناه . فبادرته بالسؤال عما فى المدينة من جديدفقال بلهجته الجزائرية : رأيت الناس يعودون الى مساكنهم ورأيت أصحاب المقاهى يجمعون كراسى مقاهيهم ويوصدون ابوابهاوهم يرددون كلمة « ارمستيس - ارمستيس » وهى عبارة فرنسية تعريبها « الهدنة الهدنة » .

فهذا الخبر حل لنا لغز عودة عون سوف الى حد . ذلك لاننا لم نتصل بأى خبر من الجهات الرسمية ونحن داخل منطقة القيادة لا نرى أحدا ولا نسمع شيئا ، فصبرنا على مضض . وفى صباح اليوم التالى بينما كنا جالسين فى صالة «الفيلا» واذا بالاستاذ (روفيى) قادما ولما وصل بادرته أنا بكلمة خيرا (يامسيو روفيى) فأجاب بالعربية وباللهجة الجزائرية هكذا : « والله ماهو الخير والله غير واحد الشر » فقلت له ما شاء الله كان ، فقال متأثرا جدا : «والله غير للمان غلبنا وسلمنا » واعادها مرتين ثم غلب عليه البكاء وتهالك على كرسى كان أمامه واخذ فى البكاء والنحيب حتى لقد خلته انه أغمى عليه .

ولقد خيم السكوت على الجميع لحظة ثم أخذ الاستاذ توفيق رحمه الله يلاطفه ويصبره ويقول له أن هذه المعركة بداية وليست نهاية وسوف تعود فرانسا الى ما كانت عليه وما الى ذلك من العبارات .ثم غادرنا واخذنا نحن نفترض الفروض للايام المقبلة . ولقد بتنا تلك الليلة فى حيرة وقلق شديدين عما سيئول اليه الامر ولم يدنو النوم منى فى تلك الليلة . وفى غمرة من الهواجس والتخيلات التى غمرتنى تلك الليلة حاولت أن أقول أبياتا من الشعر العربى لاصف بها وضعنا ذلك وحالتنا تلك ورغم محاولاتى الطويلة فلم أستطع له وزنا ولا نظما . والواقع أننى لست بشاعر ولا بزجال ولكنها الظروف والمناسبات تدفع الانسان . وحيث لم أستطع فجهلت فكرى الى الزجل أو الشعر الشعبى فقلت :

قعدت شهر فحكومت عمن جزاير ... فى جنان مترادع وزربة داير
فى برج زين ارداعه ... فرحان نرجا فالسفر بالساعة
عكس دارجانا وقتنا بأوجاعه ... صار صلح خل الفكر عندى حاير
انا حرت فى هل وقت كيف صراعه ... لا تعرفه لا تجيبلاش أشاير

●

لا تعرفه بصحيحه ... لا تأمنه لا تقول فيه مليحة
بالنقزوا تنقيز رجعت طيحة ... وبنخلصوا الواحل وحن الغاير
وبالروحوا للبر ولت ريحه ... عدونا كسب ليام فيه اتساير

●

يا بجاد منهو يقرأ ... وكل من ركع خاضع الحكم القدرة
وكل من حفظ حامل كتاب افصدره ... على نصرنا اجينا الخبر بشاير
من شرق وطنى ارسموها حضره ... تبدأ الزنانير ظاهرى وجفاير

العودة الى تونس

وهكذا فقد قلت تلك الابيات وأرسلت بها الى الاخوان فى تونس كى يعلموا بالامر.
وقعت الهدنة على نفوسنا وقوع الصاعقة أو أشد وقعا ، تلك الهدنة التى تم توقيعها
يوم ٢٢ يونيه ١٩٤٠ م فيما أتذكر . ثم تلتها الهدنة مع ايطاليا وتم توقيعها يوم ٢٤
أو ٢٨ منه . وبذلك فقد انهارت القوات الفرنسية ، وبانهيارها انهارت آمالنا فى
ثورتنا وماتت فى المهد قبل أن تظهر لعالم الواقع العملى - وعسى أن تكرهوا شيئا
وهو خير لكم - صدق الله العظيم .

ولقد تغيب عنا الضباط وغيرهم بعد هذا الحدث أياما لا أدرى عدتها . ثم جاءنا أحدهم وقال لنا : الان يجب أن تسرعوا بالسفر كل منكم الى حيث يشاء بالسرعة الممكنة لاننا نخشى عليكم من الاعداء. وقد أصبح وضعنا كما تعلمون . وهنا قال المرحومان «عون . وتوفيق» أن مدة تأشيرتيهما قد انتهت فيجب تجديدهما . ذلك لانهما جاءا من (مصر) بتأشيرتى ذهاب واياب فطلبا من الضابط تجديدهما .

أما أنا فبعدما تفاهمت مع الاخوين « عون وتوفيق » على الذهاب معهما الى مصر . وقد شجعنى على ذلك « الاستاذ توفيق » مع اننى كنت أكره العودة الى تونس . ذلك لان تونس اصبحت بعد الهدنة تحت رحمة الايطاليين أو ذلك ما كنت أتخيله وأنا مهدد من طرفهم كما ذكرت فى أول هذا الكتاب . ولذا فقد طلبت من الضابط الفرنسى أن يهيىء لى السفر الى مصر فقبل ذلك وجهز لى وثيقة سفر وجاءنى بها الضابط وقال لى هذا اسمك وهذه بلدك التى ولدت بها فاعرفهما جيدا - ذلك لانهم أطلقوا على اسم جديد . ومكان ولادة فى احدى قرى الجزائر . وبعد ذلك أخذ الضابط جوازى سفر « عون . وتوفيق » ووثيقتى وراح بهما الى السفارة البريطانية لاخذ التأشيرات لدخول مصر . فطلبت السفارة المذكورة مهلة ٢٤ ساعة لكى تستشير مصر برقيا لان مصر مستقلة داخليا . ولقد كانت عملية تسليم الجوازات فى الساعة الرابعة بعد الظهر تقريبا فكان من الضرورى ان ننتظر الموعد.

وفى خلال هذا الانتظار حدث مالم يكن فى حسباننا : ففى الساعة العاشرة من صباح اليوم الموالى ليوم تسليم جوازات السفر اطلق الاسطول الانجليزى النار على الاسطول الفرنسى فدمره تدميرا . وذلك أنه على أثر وقوع الهدنة تقدم الاسطول الانجليزى الى مرسى الكبير (بوهران) حيث تجمع ما بقى من الاسطول الفرنسى - وأنذر الاسطول الاول الاسطول الثانى ان يتبعه أسيرا أو يضطر لنسفه. وقد حدد له فترة قصيرة من الوقت ليقرر فيها مايراه . وبما ان فرنسا بما فيها الجيش بانواعه البرى والبحرى والجوى والشعب ذاته قد انقسم على نفسه فقسم أتبع حكومة (فيشى) التى تولت الحكم على أساس الهدنة تحت زعامة الجنرال « بيتان » وقسم تعلق بموقف الجنرال « ديجول » الذى واصل الحرب فى صفوف الحلفاء لتحرير بلاده . وانقسم الاسطول الفرنسى فتحرك قسم منه ملتحقا بالاسطول الانجليزى وهو بذلك منحازا الى الجنرال « ديجول » وبقى القسم الذى انحاز الى

حكومة الجنرال « بيتان » وحلت الساعة الموعودة . وأطلق الاسطول الانجليـــزى صواعقه على هذا القسم فدمره وبذلك فقد حوصرت السفارة البريطانية فى الجزائر وفى الوقت المحدد جاءنا الضابط واعلمنا بما حــــدث . وقال ان التاشيرات الان اصبحت مستحيلة . وهنا قال لى المرحوم «عون سوف » نحن خرجنا من مصـــر فنستطيع العودة اليها ونتحمل مسئولية التاخير مهما كانت . أما انت فســـوف لا يسمحون لك بالدخول عندما تصل الى حدود مصر أى : حدود السودان المصرى (السودان العربى اليوم) وبذلك تضطر للبقاء هناك مدة قد تطـول حتى نصل نحن القاهرة ونجرى اتصالات ومساعى لدى المسـئولين والظروف كما تعرف . لذا فاننى ارى ان عودتك الى تونس أفضل وهى الطريق التسليم .

وهكذا فقد عدلت عن الذهاب الى مصر وعدت الى تونس بنفس الطريق التـى جئت بها الى الجزائر وقد وصلت الى تونس يوم ١٢ يوليــه ١٩٤٠ م . أما المرحومان « عون وتوفيق » فقد غادرا الجزائر فى طريق العودة الى مصر عبر الصحــــراء الجزائرية على سـيارة بطريق البر يصحـبهما ضابط فرنسى ، ذلك لان الطائرات الفرنسية أصبحت بمقتضى الهدنة لا يمكن لها التحرك من أماكنها اذا كان لا يـزال لفرانسا طائرات .

أما أنا فحينما وصلت الى تونس قصدت من المحطة رأسا « مقهى موذليانى » الكائنة « بنهج الصادقية » بتونس اذ ذاك . حيث كنا نلتقى فيها مع بعض الاخوان عسى أن أجد بها أحدا حتى أعرف منه ما جد فى البلاد فى مدة غيابى . وفى طريقى الى هذه المقهى التقيت صدفة بالاخ عمر مالك الغدامسى وكان اذ ذاك شابا نشيطا مندفعا بحماس . وبعد تبادل التحية قلت له . أنا أود الذهاب الى السفـــــارة البريطانية فاستحسن الامر وقال أنا أذهب معك .

تركت حقيبتى فى المقهى المذكور وذهبت الى السفارة المذكورة يصحبنى عمـر مالك وطلبنا مقابلة السفير . فقابلنا شخص لا أدرى أن كان هو السفير أم غيـــره لاننى لم يسـبق لى معرفة بشخصية السـفير . ولكن يبدو من مظهره وكلامه انه هو السفير . دخلنا فى حديث كمقدمة يتعلق بانهيار فرانسا وما حدث لنا فى الجزائر وأفهمته اننى عائد من الجزائر فى هذه الساعة ولا زلت لم اصل الى منزلى بعد . ثم دخلنا فى الموضوع . فقلت له ان اخـوانا الذين جمعناهم للثورة لايزالون مجتمعين ونحن على استعداد للمضى فى تنفيذ خطتنا الثورية برغم ما حدث فاذا كان فــى امكان بريطانيا تزويدنا بالاسلحة ولو بطريق الجو فى نقطة من الصحراء نتفق عليها ونحن نستطيع اجتياز الحدود بوسائلنا الخاصة حتى نصل الى مكان الاســلحة وبعد ذلك نعرف كيف نبدأ الثورة .

فاذا وافقتم على ذلك فأجروا اتصالاتكم وحينما تحصل الموافقة أعلمونا لنرسل عناصر من اخواننا خبراء الصحراء كى يتواجدوا فى المكان الذى نتفق عليه ليتلقـوا الأسلحة . ثم نأخذ فى اجتياز الحدود ونبدأ عملنا . والجدير بالملاحظة هو انه عندما كنا نتكلم ونبحث مع هذا الشخص فى موضـــوع استسلام فرانسا وثورتنا وهو

يصغى الينا باهتمام وانتباهواضحين وفى نفس الوقت كان يداعـــب قضيبا . او سبيكة يظهر للناظر انها من الذهب بين أصابعه وكان طولها عشرة أو خمسة عشرة سنتيمترا تقريبا .

وبعدما انتهينا قال لنا ان السفارة البريطانية الان محاصرة وليس فى امكانها أى عمل ولا اتصال فشكرناه وودعناه . ولما خرجنا من المبنى اى مبنى السفـــارة قال لى الأخ عمر مالك أرأيت كيف يداعب الذهب .. ؟ فقلت نعم ولـكن هل عرفت ماذا يعنى بذلك .. ؟ فقال نعم وكانه يقول لنا أنتظروا فان الغلبة ستكون للذهـب فقلت لعله يعنى ذلك .



فترة من الركود المؤقت

وهكذا فلم يبق لنا بعد ذلك السعى أى عمل فى ميدان قضيتنا الا انتظار المستقبل وما ستأتى به الايام والليالى من الاحداث . عدت بعد ذلك الى منزلى وبدأت فى كتابة رسائل لبعض الاخوان فى مختلف جهاتهم شرحت لهم فيها كل ماحصل فى موضوعنا ثم طلبت اليهم ان لا يتركوا لليأس طريقا الى نفوسهم . فان الليالى من الزمان حبالى كما يقولون ، فان فى المستقبل من الاحداث والتطورات مالا يخطر على بال قد يكون فيها مصلحة وطننا .

وكما اننى قد اشرت عليهم بدوام اليقظة والانتباه لانه كما أن لنا فى المستقبل آمالا فيجب أن لا ننسى أنه لنا فى طريق هذا المستقبل أتعاب وأخطار . ولكننى أعتقد أن النهاية ستكون فى صالحنا باذن الله . كما أشرت على بعض الاخوان بأفضلية الانتقال من أماكنهم الى أماكن أخرى والانزواء الخفيف عن الناس ما امكن .

أجل فبعد وقوع الهدنة المتقدم ذكرها والتى وقعت ونحن فى الجزائر وبعد عودتى الى تونس والنتيجة السلبية من وراء مقابلتى السفارة البريطانية لم يبق لنا الا الاعمال العادية التى تتطلبها الحياة الخاصة فى انتظار ما ستلده الليالى وتبشر به الايام من تطورات فى الحرب . ولقد كنت على أمل قوى فى النتائج التى ستسفر عنها هذه الحرب اذ اننى كنت من الذين لا يؤمنون بانتصار المحور . وأن اعتقادى هذا لم يكن نتيجة عاطفة ميول لجهة دون أخرى ولا هى نتيجة لكراهية المحور بسبب وجود عدوتنا ايطاليا فى صفه . لا . والله وانما كان أعتقادى هذا مبنيا على أشياء أعتقد أنها وجيهة ومعقولة.وهذه الاشياءالتىاقنعتنى بخسران المحور فىالنهايةهى:

أولا ــ اتساع رقعة العالم الذى يحاربه المحورهذاالاتساع الذى سيؤدى الى تشتيت القوى المحورية وبالاحرى الالمانية حتى تعجز عن المجابهة .

ثانيا ــ أمريكا لا يمكن ان تتخلى عن بريطانيا مهما كلفها الامر . ومعامل امريكا بعيدة عن اخطار الحرب بينما معامل المانيا هدفا للدمار .

ثالثا ــ المناعة الطبيعية للجزيرة البريطانية وما يتصف به الانجليز من قوة الصبر وعظيم الاحتمال والدهاء السياسى وعمق الخبرة الاقتصادية .

رابعا ــ المقاومة السرية فى الاراضى المحتلة وقد بدأت فى فرانسا ولا بد ان تنتشر فى كل مكان بين شعوب راقية ولهـا من الكبرياء والمجد مالا يسمح لها بالرضوخ لحكم الاستعباد والمذلة وفى الطليعة الشعب الفرنسى العظيم .

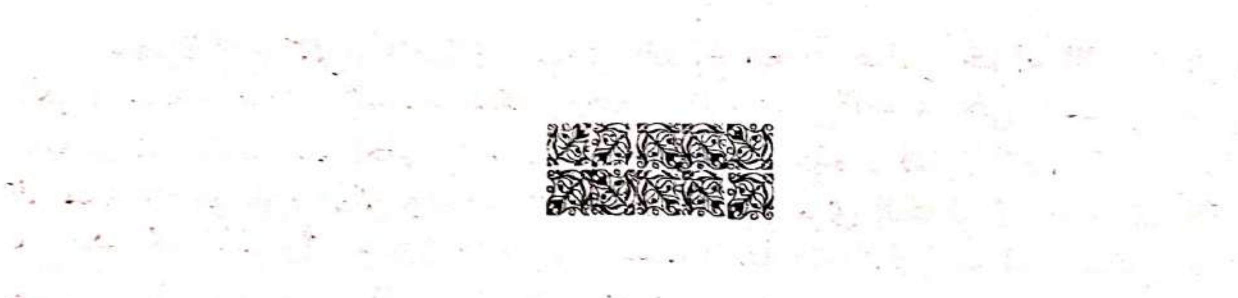
خامسا ــ اندفاع الروس فى صف الحلفاء بصرف النظر عن الاسباب الدافعة . مع بعد اليبان عن أوروبا وضآلة المقدرة الحربية فى ايطاليا .

هذه العوامل مجتمعة هى التى بنيت عليها تفكيرى والتى جعلتنى أشعر بعدم انتصار المحور مهما بلغ من القوة والانتصارات المؤقتة . وان جميع الاخوان يعرفون عنى ذلك الرأى حتى أن أحدهم قال لى يوما ونحن نخوض فى موضوع الحرب

ونتكهن بنتائجه المقبلة فقلت لهم لا بد من هزيمة المحور فى اخر الامر . قال لى«انت تعيش فى خيال » وقال لى الاخ محمد عباس وفى مناسبة اخرى:فبماذا تعتقد فى انتصار الحلفاء : بالضربات التى يتلقـونها الواحدة بعـد الاخرى أم بأطارهـم التى احتلت .. ؟ بماذا .. ؟

وبعد تلك الاحداث حلت لجان مراقبة الهدنة الايطالية والالمانية طبقا لشروط الهدنة وقد تمركزت فى عدة اماكن من القطر التونسى ففى هذه الظروف المخيفـة بالنسبة لنا ونحن فى دوامة من القلق والتفكير . وقد مرت مدة طويلة بالنسبة لما تعودناه من الاتصال ببعضـــنا لم تصلنى أية معلومات من الاخ محمد عباس . لذا فقد كتبت له الرسالة التالية :

ونظرا الى ما توحي به هذه الرسالة من واقع حالتنا النفسية فى تلك الظروف والى ما أشرت اليه من ثرثرة النشرة الدعائية الايطالية . وغير ذلك فقـــد رأيت أن أثبتها كما هى . وفيما يلى نص الرسالة :



رسالتى الى ابن عباس



بسم الله الرحمن الرحيم

الكرم فى ٢ رمضان المعظم ١٣٦٠ هـ

حضرة الاخ الكريم الصادق سيدى الشيخ محمد عباس حفظه الله وأطال فى العز والصحة بقاءه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أخى العزيز انتظرت جوابكم لمدة طويلة فلم أحض به فأخذ منى التفكير مأخذه ، فتارة أتصوركم فى غضب لا أعلمه ، وهو شيء ممكن وقوعه • وتارة أراكم منكسرى الخاطر لا تحلو لكم الكتابة ولا يطاوعكم القلم ولا تجدون ما تقولون بسبب معادات الظروف لنا وتبلبل الاخبار وغموض المستقبل وغير ذلك مما يجعل الانسان عرضة للسآمة والانزواء •

ومعلوم أن البعيد لا يدرى ، فبينما أنا فى هذه الدوامة ، اذا بساعى البريد يناولنى رسالة وبمجرد نظرة الى العنوان بدا لى وجه ابن عباس فى خطه ... وكم كان سرورى عظيما حينما علمت أن حالة أخ كريم عزيز وصديق مخلص فى صحة جيدة فحمد الله على ذلك ولقد بينتم فى كتابكم هذا ماأنتم عليه من القلق وضيق النفس من جراء الأحوال التى ناصبتنا العداء منذ بدء الغارة الايطالية على وطننا وقهر شعبنا وتشتيت شملنا •

ومقابل ذلك فقد بينتم الوسائل التى تتلهون بها الترويح عن النفس ولو مؤقتا ، من تصرفات الظروف القاسية المعادية ، وما يهاجمكم بسببها من التخمين والهواجس السيئة ، وأنا معك فى هذا لاننا مصابون فى وطننا وفى كرامتنا وفى اخواننا وعشائرنا ، وما هى حقيقة الوطن ياابن عباس .. ؟

أليست هي مال وبنون وعشائر أصولها متصلة . وفروعها مرتبطة بالقرابة والمصاهرة . ومساحات من الارض سميت وطنا ، وفطر الله الناس على حبها يدفعــــون في سبيلها أعز ما لديهم المـال والروح ..؟ ولهذه الاشياء في النفوس شان واى شان.

وهذا ما جعلنى أعــدد العوامل المتراكمة التى تحز في النفس وهى كثيرة ، فوقوع الهدنة بعد أن استدعينا للعمل كانت صدمة نفسية لها تأثيرها ، وعدم تمكنى من الذهاب الى مصر من الجزائر لاسباب ذكرتها لك سابقا . ولقد زادنى المـا على ألم ذلك الخبر المفجع المخيف الذى فوجئت به : موت انباروني - وتراجع السويحلى - وعدم الاتصال بالسعداوى - ورجوعى مكرها الى تونس - كل هذه الاحداث تطيرت منها يا بن عباس ، مع أننى أكره التطير والمتطيرين ولكننى من وقوع هذه الاشياء في وقت واحد وفى ظروف غير عادية تطيرت فعلا ذلك لاننى رأيت فيهـا بوادر تنذر بظروف سيئة أرجو الله تعالى أن يخفف من شرها ويقصر مداها ،
وأخيرا جاءت ثالثة الاثافى وهو أنه فى المدة الاخيرة أخذت الحكومة الفرنسية بتونس في جمع ما يسمونه في عرف الاستعمار ((بالمتشردين)) من التونسيين لارجاعهم الى مواطنهم الاصلية ، ولقد جمعوا فيما جمعوا من الاخوان الليبيين ، وما كان يخطر ببالنـا قط أن فريقا من الذين كانوا من مدة غير بعيدة مادين أيديهم لاخذ الاسلحة والوقوف في وجه عدو الجميع مع معسكر الحلفاء يقع اليوم ارسالهم مـرغمين الى عدوهم ، ولكن وقع هذا فعلا .

ولتأكيد هذا الخبر أثبت اليك ما جاء فى رسالة تلقيتها أخيرا من احـــد الاخوان في الموضوع ، يقول فيها ما يلى : ... ما هذه الفعلة النكراء من الحـكومة الفرنسية ؟ وما سبب هذا الاهمال منكم . ؟ فقد لاتعلمون أن قافلة تربو على الخمسة والسبعين نفرا بين رجال ونساء وأطفال جيء بهم من تونس الى (بنقردان) ولم يمهلوهم الا بقدر ماأكلوا خبزهم . فما هو عذركم ياأخى .؟ اننا نشارك اخواننا حزنهم ونأسف لذلك الاجراء شديد الأسف كما اننا نخشى على أنفسنا مستقبلا . فاذا كان قد أذنب أو أجرم هؤلاء الاخوان فنحن نرضى بالمحاكم التونسية أو الفرنسية على السـواء ، واذا وجب أبعادهم ففى القطر التونسى متسع لايوائهم ولانرى مبررا لما وقع وعليه أعلمناكم..

كل هذه عوامل ذات تأثير شديد على النفس ، ثم اننا تعبنا كثيرا وبذلنا بسخاء ورغبة فوق طاقتنا وبدون شك أنه ما كان يؤلمنـا ولا يهمنا كل ذلك لو كتب النجـاح لاصحابنا ، لاننا ربطنا مصيرنا بمصيرهم حتى ندخل بلادنا وفى ذلك ما ينسينا كل الاتعاب ، ولـكن شاءت الاقـدار أن نصـل الى مانحن فيه ، وان كانت هـذه حالة مؤقتة وأرجو من الله أن لا تطول ، وأرجوه جل شأنه أن يعوضنا خيرا انه على مـا يشاء قدير ، وأرجوا من الاخ ان لايستنتج من كلامى هذا اننى فى حالة يأس أو فتـور أو فتور كلا ، والله فاننى سأبقى دائما على ماعرفتنى مادمت حيا باذن الله وتوفيقه .

وقصارى القول انكم هناك قد تجـدون تسلية تروح عن النفس بعـض مابهـا ولو مؤقتا فى هذه الايام الراكدة بالنسبة لنـا وحتى بعدكم عن مجتمع المـدينـة المقلق فيه راحة ، أما أخوكم هذا فقد أزداد قلقه وتضاعفت حيرته وما اظنك يا بن عباس تعلم تمامـا ما أنا عليه أو تحيط بما أنا فيه من أراجيف الاقوال ومنـاورات

السياسة والمجتمعات المشتتة الاتجاهات المختلفة الاراء والغايات ، فانا اعيش فى يقظة وحذر شديدين .
واخيرا حدث شيء جديد هذه الايام اود ان احيطك علما به ، وهو ان الايطاليين قد اغتنموا الفرصة فى هذه الظروف واخذوا يوزعون نشرتين ، ولا ادرى ان كانتا مطبوعتين جاهزتين من قبل وحان ظرف التوزيع الان ، ام طبعت من جـــديدنشرتان احداهما مصورة والثانية غير مصورة حسبما قيل لى لاننى لم اظفر الا بالمصورة وبواسطة أحد الاخوان ، حيث التوزيع بواسطة تاجر ايطالى فى هذه المنطقة .
وهذه النشرة المصورة تحتوى على ١٢٤ صفحة وعلى ورق صقيل وطبع نظيف جميل ، وعنوانها هكذا :

« أعمال ايطاليا فى سبيل مسلمى افريقيا الايطالية »

ويؤخذ من تعابيرها ولهجتها بانها قد كتبت بايدى عربية وبها نحو من خمسين صورة لمساجد ومدارس فى ليبيا منها ماقالت انها اصــلحته ومنها ماادعت انشــاءه وفيهاالكثير من التلفيق والتضليل ، وعلى كل فها أننى انقل اليك فقرات منها يهمنا الاطلاع عليها جاء فى الصفحة الخامسة منها مايلى : (.. وانه فى ليبيا قد اعطت ايطاليا الدليل القاطع على انها دولة اسلامية ، وليبيا من البلاد الاسلامية البحتة التى اثبت أهلوها منذ قرون شممهم وانفتهم واشتهروا بمغامراتهم الحربية العنيفة وشدة مراسهم وقد كانت تمثل ميدانا خطرا للعمل لدولة ترغب فى التوفيق بين حقوقها وواجباتها ..)
وفى نفس هذه الصفحة ان الحكومة الايطالية قد حلت فى حمـــاية الــدين الاسلامى لليبيين محل الطريقة السنوسية التى لم تتمكن يوما من اكتساب ثقـــة الشعب الليبى حتى ولا فى الظروف الاكثر موافقة .»
وجاء فى الصفحة الثالثة عشرة ما يلى ... وقد قضى على نشاط المطرودين الليبيين الذين صاروا نفرا قليل العدد لا نفوذ لهم ولا اتباع ، اما الاصوات التــى لا تزال ترتفع الفينة بعد الفينة فى بعض الجرائد من وراء ستار منكرة الحقيقـــة الراهنة ، وجاحدة الاعمال المجيــدة التى تقوم بها ايطاليا نحو رعاياهـــا المســلمين ستسمر بلا صدى حتى تبــح . وأخيرا استشــهدت النشرة بما كتبه الامير شــكيب ارسلان ابان حرب الحبشة ...) .
وجاء فى الصفحة نفسها ما يلى (وقد يكفينا ان يلقى المرء نظرة فاحصة على حياة وشئون الرعايا تحت سلطة ونفوذ الدول الغربية الاخرى ، فاذا ما التفتناالى الجزائر مثلا رأينا ثورة موقدة وعصيانا مستحكما وجورا عاتيا وطغيانا شــاملا أخذ حده الأقصى عند مقتل مفتى الجزائر وعند العــدوان الذى وقع عــلى حياة مفتى (قسنطينه) ، واذا ما اتجهنا نحو مراكش وتونس نرى اضطرابات وقلاقل سياسية مختلفة الالوان والصور تتنازع بين النزعة الوطنية والشرعية ، وان ادرناه صــوب ((سوريا)) نرى فيها سلسلة مشاكل ذات صبغة داخلية ودولية استعصى معهــا تحويل السلطة الانتدابية الى سلطة محلية ، واذا ما حولناه من جهة اخرى نحــو فلسطين رأينا ثورة العرب ضد الصهيونية وضد الانجليز لا تزال مشتعلة رغم القمع الشــديد ...) .

(اما ليبيا فانها وحدها دون غيرها من سائر البلدان الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط تنعم الى حد فى الهدوء والسكينة والسلام والطمأنينة) انتهى كلام النشرة . هذا ما عندى الان كتبته اليكم وأرجوا أن يصلكم وأنتم جميعا بصحة جيدة مع الرجاء فى عدم تاخر جواباتك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص ـ احمد زارم ٢٢ سبتمبر ١٩٤١ م

وتعليقا عما جاء فى اخر الرسالة المنقول من النشرة الايطالية الانفة الذكر ، اقول ـ اليوم وقد تغيرت الظروف وزلزل الاستعمار وانهزم أعوانه ورحلت رواسبه وتطهرت الديار بقدرة قادر جبار ها قد عاد المطرودون ورفع الستار عن أولئك الذين يتكلمون فى الماضى من ورائه الفينة بعد الفينة أقول هذا للذين كتبوا تلك النشرة والذين وزعوها فلعل منهم من لا يزال على قيد الحياة . أقول لهم أنكم اليوم قد انتهيتم كلكم ومن لم ينته حسيا فقد انتهى معنويا وجميعكم الى غير رجعة ولا ذكر جميل .

أما أصحاب تلك الاصوات التى كانت ترتفع الفينة بعد الفينة والمطرودين فهاهم قد عادوا الى الوطن ورؤسهم عالية ومنهم من قضى نحبه والتحق بالشهداء المجاهدين ومنهم من ينتظر ولم يتغيروا ولم يتبدلوا فى مواقفهم ، ولن يتبدلوا أبدا حتى يلتحقوا بمن سبقهم من المخلصين الصادقين وعند الله تجتمع الخصوم يوم تشهد الايدى والارجل وكل الحواس بما كانوا يعملون « والله ولى الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . صدق الله العظيم

وفى فترة من هذا الركود والضيق النفسى بسبب هذه الظروف الاليمة جاءنى المرحوم (محمود العيادى) ليقول لى انه فى حالة اضطراب نفسى شديد . وطلب منى أن نذهب الى ابن عباس لنمضى عنده يومين او ثلاثة عسى أن يخفف عن نفسي هذا الكابوس بعيدا عن لغط المدينة الموبوءة بالاراجيف ، فاجبته لذلك ركبنا القطار من تونس وحينما وصل محطة الكريب حيث يسكن الاخ عباس ، وعندما نزلنا من القطار رأينا اناسا فى مجموعتين أو ثلاثة تسير متتابعة وراء بعضها متجهة الى القرية التابعة ((للهنشير)) أى المزرعة التى يملكها (الحاج مبارك بن تواتى الدريدى) .

ولقد تبادر لى ان تلك المجموعات هم عمال المزرعة كانوا فى عمل ما ، فاتموه وهم عائدون الى مساكنهم وبعد حصة فى المحطة جاءنا الاخ (سليمان حسين المقصبى المسراتى وسار بنا الى منزل الاستاذ محمد عباس ، وقد وجدنا هناك احد الاخوان الليبيين اسمه (الساعدى) ولا أعرف من أى قبيلة هو ، وقد ظننت أن وجوده فى زيارة كزيارتنا ولقد أقمنا فى ضيافة الاخ محمد عباس ثلاثة أيام بلياليها فى راحة وسرور وأنواع من الطعام والبسط وذكريات عن الماضى وتفكير فى الحاضر والمستقبل ولم نشعر بأى تغيير فى الجو اطلاقا .

وما كنا نعرى ان تلك المجموعات التى رأيناها تسير متتابعة يوم وصولنا كان من بينها الاخ عباس وهى عائدة من المقبرة حيث أودعت بها الابن الوحيد للاخ عباس وما علمت بهذه الوفاة الا بعد مدة طويلة حينما جاءنى الى تونس فسألته عن أحواله ثم سألته عن ابنه فذكر لى الامر بالتفصيل ذكرت هذه القصة لما تنطوى عليه من معانى الرجولة وكرم الضيافة وقوة الصبر والاحتساب وانه فى الحقيقة لصبر أيوب واحتساب الصالحين وانها لرجولة ما رأيت لها مثيلا ولا سمعت لها نظيرا فيما رأيت وسمعت من الاقاصيص .

نزول الجيوش الأمريكية بالجزائر
وجيوش المحور فى تونس

ففى يوم من ايام منتصف شهر نوفمبر فيما أتذكر وكان يوم (أحد) وهو يوم الراحة الاسبوعية فى تونس للجميع « وهى عادة متمكنـــة من رواسب الاستعمار » ففى هذا اليوم من ايام شهر نوفمبـــر من سنة ١٩٤٢ كنت فى نزهة مع اثنين من الاخوان الليبيين هما « مسعود محمد كعرود » «وأحمد محمد البكوش» وهما مـن عمال الشركة التى أعمل بها : (شركة المياه) كنا فى نزهة للتخفيف عن أنفسنا من عناء العمل والتحدث عن أوضاعنا ومستقبلنا بعيدا عن الاسماع « بقمرت » وقـد جلسنا فى مرتفع من الارض يشرف عـلى البحر الممتد من « المرسى الى أقرب نقطـة من ايطاليا » وقد كانت جلسة رتيبة هادئة أبعدتنى لحظة عن التفكير المتعب للحواس المضنى للنفس الذى كان يسيطر على مشاعرى ليلا ونهارا فى تلك الظروف المقلقـة وهذه الراحة الفكرية كانت بفضل تلك المنطقة الجميلة ذات المناظر الخلابة فهى شبـه جبلية . منظر البحر وامتداده وزرقة مياهه وسعة السماء من فوقه وارتفاعهـا . وطبيعة تلك الارض ذات النبات الاخضر من أنواع الزعتر وغيره . وانتشار رائحتـه فى أرجاء المنطقة والناس على شاطىء البحر بين سابح ومضطجع ، كل هذه تبعـث فى النفس عظمة الخالق وقدرته .

وقد كان الوقت بعد الظهر ، وفى حوالى الساعة الرابعة تقريبا بينما كنا فـى ذلك الجو اللطيف واللحظة المريحة بفضل ما تقدم وصفه . اذ رن فى اذاننا صدى طلقة مدفع . ولم نر مكان الانطلاق . وأخذنا نجول بأنظارنا يمينا وشمالا فى سمـاء تلك المنطقة . واذا بسرب من الطائرات يتكون من ثلاثة . يبدو انها آتية من جهـة ايطاليا فى اتجاه تونس . ثم تلاه سرب اخر بنفس العدد . وقد استغربت من وجود طائرات فى سماء تونس . مع ان الهدنة قد منعت الطيران الفرنسى من أى حركة هذا اذا كان لا يزال لفرانسا طيران .

اذن فما هو سبب وجود هذه الطائرات السابحة فى أفق تونس .. ؟ ولقـد وصل السرب الثانى وأصبح فوق رؤوسنا . وأخذت أتأمل فى هذه الطـائرات لعلى أعرف هويتها . وهى تسير سيرا بطيئا مثقلا كأنها تحمل أثقالا أكثر من حمولتها الامر الذى ذكرنى بتلك الأبيات التى قالتها « زينوبيا » ملـكة تدمر قديما بمناسبة مؤامرة دبرت للقضاء عليها حيث قالت حينما رأت الابل محملة وهى تسير سيرا بطيئـا بحمولتها فضنت بها الظنون وقالت :

ما للجمـال سيرها وئيـدا أجند لاتحملن أم حـديدا

ولقد صدق تخمينها فلقد كانت الابل محملة برجال بأسلحتهم ليدخلوا المدينـة بعنوان حمولة تجارية . ونفذت الحيلة وكانت نهايتها أن انتحرت الملكـة مسمومة ـ تذكرت هذا البيت حينما رأيت الطائرات فى الشكل الذى تقدم ذكره . وبعد لحظة من التأمل رأيت مرسوما عليها « الصليب المعكوف » وعندها شعرت بأن وضعى قـد تحرج وساورنى شىء من القلق والاضطراب . وفكرت لحظة ثم تركت الاخوين اللذين

كانا معى وعدت الى « المرسى » ومنها أجرت دراجة ذهبت عليها فورا الى (مطـــار العوينة) حيث مطار تونس الدولى .

وصلت مطار العوينة وقد وجدته يموج بالجيوش الالمانية والايطالية والطائرات تصل تباعا وتنزل الاسلحة والجيوش بسرعة خاطفة فتأكدت بأن الحالة قد أصبحت خطرة وانه يجب على ان أعود الى منزلى وأفكر ماذا ينبغى لى ان أفعله . عدت الى البيت بصورة هادئة حتى لايتنبه والداى للامر وعزمت على الاختفاء . وبهدوء أخذت « حوائى » وضعته فى قفة وخرجت من البيت كأننى ذاهـــب الى السوق لشراء ضروريات منزلية وقصدت محطة « الرتل الكهـــربائى » وقد اصطحبت معى الاخ « محمد « بالفتح » على العرضاوى » وهو من أخلص جماعتى وأنشطهم ونزلنا الى تونس . قصدنا منزل المرحومين « صالح الباسى العروسى » و « محمود العيادى » ومن الغد أرسلت الاخ محمد المذكور الى ضابط فرنسى كنا نعرفه من قبل ليسأله اذا كانت لديه أى وسيلة استطيع الخروج بها من تونس الى أى جهة . وعاد العرضاوى ليقول لى : أن الضابط الفرنسى يقول أنهم أى الفرنسيون أعجز عـــن الحركة والوسيلة . وهنا سلمت للاخ « محمد على العرضاوى » اشياء يجب تركها فى البيت ومفاتيح كانت معى وأوصيته بأن يسلمها الى والدى ويعلمه بطريقة غير مفاجئة بحركتى ويطمئنه .

وفى تلك الليلة فى منزل الاخوين المذكورين جاء بعض الاخوان التونسيين حينما سمعوا بوجودى وهم مجموعة من ذوى الدراية والعلم . ومنهم علمت ان سبب نزول المحور بتونس هو نزول الجيوش الامريكية فى الجزائر وهى زاحفة فى طريقها الـــى تونس . وفى تلك الليلة أوصيت المرحوم « صالح العروسى » بأن يفتش لى عن واسطة يمكن لى الخروج معها . أما أنا فلم أبرح المنزل . وعاد الاخ صالح رحمه الله الى البيت ظهرا ليقول لى توجد « كريطة » أى « كاراطون » يجره حصان واحد سيخرج بعد ظهر اليوم الى « الفحص » .

هجرة بعد الهجرة

ففي آخر النهار من يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٢ ركبت هذه العربة « الكـاراطون » من اسطبل بنهج سيدى البشـير فى تونس . وكنا على هذه العربة ثلاثة من العـرب وشاب ايطالى من الفلاحين وصاحب العربة وهو عربى أيضا . فكان مجموعنا خمسـة أشخاص . لم تسبق لى معرفة احد منهم . الا ان واحدا من هؤلاء عرفت لقبه مـن مكالمة أصحابه كانوا ينادونه (يالبيض) ولم يكن هذا اللقب مأخوذا من أسماء ضداد .

ولبيض هذا مهنته يشترى الملابس المستعملة من العاصمة ويبيعها فى مختلف أسواق البادية . وقبيل غروب الشمس تحركت بنا العربة من (نهج سيدى البشير) ولما وصلنا آخر المدينة فى مكان يسمى « زيتون الجـــربى » وجدنا البلاد مطوقة والطريق مقفلة بأعمدة كتلك التى تضـع فى الحـدود بين بلد وآخر عادة . وعليهـا ايطاليون من الجالية الايطالية بتونس يتكلمون العربية الدارجة كاهل البلاد يتحرون عن الداخل والخارج . ولما رأيتهم أيقنت بأننى قد وقعت فى الفخ . وقلت فى نفسى ذلك المثل التونسى العامى « وقفت الزنقة بالهارب » .

وقف الكاراطون وراء صف طويل من العربات حتى جاء دورنا فتقدمت عربتنا وعندها وقف الايطالى الفلاح الذى كان معنا . وقف وسط العربة ورفع يده بالتحية الفاشية دون كلام وهنا قال له الايطالى المسئول « توباصه » هكذا بالايطالية ثم نهض احد الركاب العرب وقال بصوت عال مخاطبا المسئولين الطليان بقوله : « حتى احنا العرب .. ؟ » فقال المسئول الايطالى « هى تعدوا انتم » هكذا بالعربية .

أما أنا فقد كنت راقدا كالمريض ولم أرفع رأسى . انتهينا من النقطـة بسـلام وتحرك بنا (الكاراطون) وبعد ان توارينا عن المكان بمسافة طويلة رفعت رأسى وتنفست الصعداء وحمدت الله على الطافه . وسارت بنا العربةطول الليل وفى الصباح الباكر وصلنا الى بلد « الفحص » «والفحص» هذا بلد تحيط بها المزارع الخصبة وهـى منطقة شعير وقمح وما اليها من أنواع الحبوب ولقد كان يوم وصولنا يوم سوق البلد وكان اليوم برد شديد والمطر تنزل رذاذا . تركت العربة ودخلت السوق اتجول فيه لعلى أجد من اعرف حتى أستعين به عن معرفة الطريق الى ربع سليانه . أو واسـطة للذهاب معها .

وبلد ربع سليانة هى الاخرى بلدفلاحين وبهاسوق كبير . وكان السيد محمد بن خليفة بن عامر الورشفانى يسكن بها وهومن المهاجرين ومن أعضاء الجمعية . والملاحظ انه لم يسبق لى معرفة تلك الجهات وطرقها . اخترقت السوق من كل نواحيه فلم أجد به من اعرف . ثم تبادر لى ان أذهب الى مركز الجندرمه لعل أجد منهم مسـاعدة وصلت المركز ودخلت لكل المكاتب وقد كنت التقى بكل فرد منهم ولكنهم لا يهتمون بمن يدخل او يخرج لانهم فى دوامة من شدة الصدمة وفى حيرة واضـطراب من توقع وصول العدو بين يوم وآخر فلقد كانت صدمة الهزيمة وكان الخوف والهلع مـــن العدو الزاحف يملأ قلوبهم .

وحينما ايقنت أن لا فائدة من الجندرمة ذهبت اترصد الطرقات . وبينما انا واقف اذ رأيت جنديا فرنسيا راكبا على عربة « شريول » يجرها ثلاثة خيول فاستوقفته وسألته اذا كان ذاهبا الى ربع سليانه . أو هى فى طريقه لاذهب معه اذا كان ليس هناك مانع ؟ فقال انه لا يعرف أى مكان . وانه أمر بأن يسير مع هذه الطريق حتى يصل الى بلد اسمه « تبرسق » ولا يدرى أين يقع هذا البلد . وقال لامانع لديه من مصاحبته اذا كان البلد الذى أريده فى هذه الطريق فوجدت هذا الجندى أجهل منى بالجهة .

عدت الى السوق واخذت اتجول فيه فوجدت صاحبى « لبيض » يحزم ادباشه فسألته عن وجهته فقال لى الى أى سوق يجتمع فى اليوم التالى . فقلت له فتش عن « كريطة » نذهب فيها سويا الى سوق « ربع سليانه » وانا ادفع أجر (الكريطة) وقد أوجد الواسطة فركبنا وسارت بنا حتى وصلنا الى ربع سليانه ودفعت له اجر « الكريطة » مائة وخمسين فرنكا والمسافة بين « الفحص » (وربع سليانه)حوالى ثلاثون كيلو متر تقريبا .

وصلت الى الربع ونزلت أمام دكان على حافة الطريق وبقرب منزل الاخ محمد ابن خليفة رحمه الله فاذا السيد محمد المذكور مع جماعة من بدو المنطقة داخل الدكان . فاستقبلنى بسرور وسألنى عن الاحوال فى تونس وعن الاخوان . وبعد حوالى ساعة ذهبنا الى المنزل وجىء لنا بالعشاء وبعد العشاء بقليل سمعت البكاء فى المنزل فسألته عن سبب ذلك فقال لى ان النساء سمعن بمجيئك فخشين ان نختفى معا ونتركهم لوحدهم .

وفى يوم ١٨ نوفمبر ودعت الاخ محمد وذهبت الى سوق الربع الذى يبعد عن مسكنه بحوالى ستة كيلو مترات لافتش عن واسطة الى سليانه . وكان ذلك اليوم يوم سوق فى الربع وكان الجو مكفهرا والسماء ملبدة بالسحب الكثيفة والمطر ينزل رذاذا وباستمرار والبرد شديد الوطء . تجولت فى اركانه فلم أجد فيه من اعرفه الا شيخ الربع واسمه « احمد » كنت قد رأيته فى الدكان الانف الذكر مع الاخ محمد عند وصولى .

وبعد قليل غادر الشيخ السوق فتجولت فى السوق فوجدت صاحبى «لبيض» يبيع بضاعته وقد ظننت ان عقدتى قد حلت بوجوده . فتقدمت اليه وحييته بتحية الصبح . ولسبب لا أعرفه اشاح وجهه عنى وكأنه لم يعرفنى من قبل ولم يرد على حتى التحية اذ كان يتكلم مع شخص آخر حذوه . فقلت فى نفسى يا لها من ساعة نحسة . فتراجعت الى الوراء وفكرت قليلا ثم هدانى تفكيرى الى طريقة قد يكون فيها حل لازمتى . ذهبت الى بائع البيض واشتريت منه أربع بيضات ثم ذهبت بها الى صانع الفطائر « سنفاز » فجعل لى منها اربع فطيرات « اسفنزات » اخذتها فى يدى وبدأت فى اكل واحدة منها وأنا سائر فى طريقى الى صاحبى « لبيض » .

وقفت أمامه وقلت يالبيض « اتحب تفطر ؟ » فنظر الى وقال « اخى اللى ادير الخير ما يشاورش » فناولته (السفنزات الثلاثة) وقد بدأ فى التهام الاولى واسرعت بمخاطبته : يالبيض انت الان معرفتى وصاحبى ارجوك ان تفتش لى عن واسطة لاذهب

معها الى « سليانة » وبسرعة نادى بأعلى صوته « يا ذهبى » وجاء الذهبى وهو شاب معتدل القامة وسيم الوجه فى فمه سن من الذهب الأصفر فى حوالى الثلاثين من العمر فناوله « السفنزة » ثم قال له (ها . ذهبى أخى هذا صاحبى كيف خويا واشار الى انجبك اتهنينى عليه دبر له كريطة يمشى معها السليانه ابجاه رببى أخى اتهنينى عليـــه)

ولقد قبل الذهبى التوصية وبذلك اطمئنيت واخذت اتجول فى اطراف الســوق حتى أخذ الناس يحزمون بضائعهم . فاتصلت بالذهبى لاذكره . وذهبنا معا الــى صاحب عربة وقال له هذا معرفتى يريد الذهاب الى سليانة فخذه معك ويدفع لـك اجرة ركوبه وهى عشرون فرنكا . وبعد قليل غادر الذهبى السوق . وتخلف صاحب « الكريطة » ولم يستعد للسفر الا فى ساعة متأخرة من النهار واخيرا أخذ يحـزم بضائعه ولما رأيته قد انتهى وازمع السفر جئته وقلت له يا سيد أنا الرجل الـــذى أوصاك عنى الذهبى .

وما عرفت ماذا أصــاب الرجل فلقد أجابنى بحدة وخشــونة : « الذهبى مش شريكى أنا لا أعرف الذهبى ولا غيره » وقد حاولت جهـــدى أن أهدى من غضبه . ولكنه ازداد غلظة ومكرا قائلا « أمشى لوج على الذهبى والحقو» والكرارطيةمعروفون فى تونس بمكرهم وتهورهم . فوقفت أفـكر فى الامر ماذا أفعل وقد أصـبح صـاحب « الكريطة » لاأمل لى فى رضائه . والنهار فى أخره والسوق ليس به محلات ولا سكان ولا مسجد الا مقهى توصد ابوابها عند انتهاء السوق ويغادرها صاحبها الى مسكنـه البعيد . والطريق لاأعرفها والبرد شديد والليل ظـلام حالك والطـريق خطـر علـى سالكها منفردا بسبب فوضى ظروف الحـــرب واختــلال النظام بسبب تسابق المتحاربين كل منهم يحتل جهة من البلاد .

ولقد تعجبت فيما أصاب صاحب العربة حتى يقف منى هذا الموقف بعد أن كان قد وافق . ماذا أفعل اذن .. ؟ انتظرت حتى أتم أعماله وركب على مقدمة العــربة ونهر الحصان فتحرك نحو الطريق فاتبعته من الوراء خطوات وفى خفة وسرعـــة تسلقت من الخلف فاصبحت فوق العربة ظانا أنه لا ينتبه الى ولكن الرجل احس بى فاوقف عربته ونزل فوجدنى فىقمتها فاستشاطغضبا وصاح بى صيحة مرعبةقائلا: « أهبط والا نطلع نحذف دين امك » فاجبتهمستجديا فى لطافة وهدوء فلم يزده ذلك الا عربدة وغضبا .

وعندئذ ايقنت انه لم يبق الا مقابلة الشىء بمثله . فقلت له : اسمع يا خويا أنا الان ركبت ولن انزل منها الا فى سليانه واذا حاولت انزالى بالقوة سوف لا تذهب الى سليانة انت ولا أنا واذا لم تصدقنى فجرب حظك . وهنا أخذ يشتم أمى وابـى وملائكتى ورب العرب ودين المسلمين حتى لقد كاد أن يجن . وأنا ساكت لم أجب بأى شىء . ولما لم أجبه ركب عربته وصب جام غضبه على ذلك الحصان المسكين حتـــى كاد ان يخرج عن الطريق وتنقلب العربة كلها ويحصل لنا ما يحصل ولكن الله سلم .

سارت بنا العربة حتى وصلت «سليانة» وكان وصولنا بعد المغرب • ولما نزلت من العربة تقدم الى صاحبها وقال لى : « هات عشرين فرنك حق الركوب » •• قلت لا أعطيك شيئا ولا حق لك على ومراكز الحكومة امامك وافعل ما شئت ان استطعت أن تفعل شيئا • فكر قليلا ثم نظر الى وقال « برا نوكل عليك ربى » فقلت له فى ربع سليانة كنت تشتمه والان تريد أن يأخذ لك حقك ؟! فركب عربته وتحرك دون ان يكلمنى وعندها التحقت به واعطيته العشرين فرنكا وقلت له خذها انا خير منك فلا اجاريك وافترقنا •



ظروفى فى سليانة أسوأ مما حدث

((سليانة)) قرية تقع فى منخفض من الارض يجاورها واد جاف لا يجرى الا فى فصل نزول الامطار وبها سوق اسبوعى ، وهى منطقة زراعية كثيرة الامطـــار شديدة البرد وذلك فى فصل الشتاء وصلتها متأخرا كما أشرت انفـا ، فما وجد أحدا يدب فى شوارعها لوحت بنظرى الى جميع جوانب السوق فرأيت محلا مفتوحا ذهبت اليه فوجدته مطعما فدخلته ، والواقع ما كانت لى شاهية للاكل ، ولكننى دخلته وطلبت اذا كان فيه أكل ، رغبة فى فتح الباب عسى أن أجد لديه مكانا أنام فيه حتى الصبح ، قدم لى صحنا مااستطعت ان آكل منه لرداءته وحينما وضع أمامى الصحن قلت له : انا رجل غريب عن هذه البلاد بل عن كل هذه الجهة • ولا أعرف بها أحدا • فأنا من تونس فاذا تتكرم بقبولى لأنام هذه الليلة هنا الى الصـبح أكون شـاكرا • فامتنع بحجة انه ممنوع عليه • وأشار على (باسطبل) للحيوانات ليس ببعيـد عنه . قائلا فيه غرف للمبيت • وفيه جماعة من جهتكم عندهم غرفة •

ذهبت الى هذا ((الاسطبل)) ولما سألت صاحبه عن الغرفة فأشار على بهـــا وكنت وأنا سائر اليها أتبين ضوءا يبدو من فرجة فى البـاب ، ولـما وصلت الغـرفة وطرقت الباب طفى الضوء وسكتت الاصوات كأنه لم يكن بها ساكن والـواقع ان حالة الحرب وانتشار الفوضى وكثرت الحوادث كل ذلك جعل الواحد لا يثق حتى بمعرفته فضلا عن المجهـول تماما رجعت الى صـاحب الفندق حيث عنده غرفة انظف مافى ((الاسطبل)) تقع حذو مدخله الرئيسى يستعملها لنفسه ومعارفه وخادمه فوضحت له وضعى وتخوفى من شدة البرد وطلبت منه أن يأوينى معه تلك الليلة حتى الصبح وأدفع له ما يلزم •

فكر صاحب الاسطبل قليلا ثم سألنى عندك دابة يعنى أى نوع من حيـوانات الركوب •• ؟ قلت لا قال اذن لا يمكن أن أقبلك فاستعطفته بكل ما أسعفتنى بـــه القريحة من عبارات لطيفة ومؤثرة فلم يقبل منى قلت له : أنا أدفع لك ثمن الـــدابة يبقى عندك الى غـد ولـما عجزت عن اقناعه التجأت الى سقف بدون بـاب ((برطال)) فيه صف طويل من الخيول والبغال والحمير وبجانبها قليل من الفراغ وقلت لصاحب الفندق هذا مكانى الى الصباح ولن تستطيع اخراجى منه وأمامك الجندرمة والبوليس وكل السلطة اذا تريد أن تشتكى ، فاغتاظ الرجل وقال لى : ((انت بتستدرع على ريتنى رجل كبير توا نجيبلك من يخرجك)) •

غاب الرجل عنى حوالى نصف ساعة وجاءنى بأربعة رجال ،وقد بادرنى أحدهم بدون سلام ولاكلام بقوله : انت ريت الراجل الشايب كبير يستدرع عليه أنا أنتلمح منك» فأجبتهم بهدوء بما يلى : اسمعوا يا اخوانى أرجوكم أن تسمعوا كلامى أولا وبعد ذلك افعلوا ماترونه ، فقال الذى هددنى : (تكلم اشنو كلامك) فقلت أنا راجل غـريب فى هذه البلاد ، انا طرابلسى ولم يسبق لى معرفة هذه الجهة ولا أعرف أحدا فى هذه

البلاد والبرد شديد ولا تنسوا اننى أخوكم مسلم فهل تسمح لكم نفوسكم أن اموت بالبرد فى الشارع .. ؟

قد يكون صاحب « الاسطبل » يخشى الغريب فله فى ذلك كل الحق . ولكن للاطمئنان أنا أسلم له أمامكم ثمن دابة واكثر حتى الصباح . وبعد هذا أنتم الآن أربعة رجال مسلمين أليس بينكم صاحب مروءة يتحمل مسئوليتى فيضمن فى وأجره على الله وعندما سمعوا كلامى هذا تقدم واحد منهم وسألنى : أأنت طرابلسى ؟ قلت نعم . قال الى أين ذاهب ؟ قلت الى الكريب . قال من تعرف فى الكريب ؟ قلت : عندى أخ طرابلسى يسكن فى الكريب فى (هنشير) (الحاج مبارك بن تواتى الدرديرى) وهذا الحاج أعرفه ويعرفنى أيضا وهو من كبار الفلاحين العرب فى المنطقة . فالتفت هذا الرجل الذى يسألنى الى جماعته وصاحب الاسطبل . وقال بجد واقدام اعطيه مكانا ينام فيه الى غد وكل مايحصل منه أنا المسئول عنه. فوافقه اصحابه وانتهى هذا المشكل .

وهنا أمر صاحب الفندق خديمه وقال له : (هزه للبيت يرقد فيها) فقادنى هذا الشاب الى غرفة فى ركن من الفندق فدخلتها فى ظلام دامس فوجدت قاعتها كانها مطاط . فاستغربت الامر وانحنيت فى الظلام أتلمس القاعة . فاذا بها ملآنة بروث الحيوانات واذا هو فى سمك خمسة وعشرين سانتيمتر تقريبا على سعة الغرفة . فطلبت من صاحب الغرفة أن يسعفنى بأى شىء أضعه تحتى وقاية من ذلك الروث وما قد يكون فيه من الحشرات .

ولقد كاد هذا الطلب أن يسبب لى فى الخروج من « الاسطبل » واخيرا انتهت الزوبعة وأمر صاحبه العامل الذى معه بأن يفتش لى عن شىء أنام عليه . وغاب الشاب لحظة ثم عاد (بجمبة كريطة) فوضعتها فوق ذلك (الروث) وجلست فوقها.

وبينما أنا جالس فى ظلام حالك أفكر فى الحال والمآل اذ برجل بدوى من بدو تلك الجهة جاء يطلب المبيت . ولكن ليس له دابة هو الاخر . وامتنع صاحب « الاسطبل » عن قبوله . وسمعت جدالهم فاقتربت منهما وطلبت من صاحب المحل ان يقبله ينام معى وانا مسئول عنه . ولقد أثرت على نفسى زوبعة جديدة كادت أن تطوح بى خارج الفندق . وما كان أغنانى عنها ولكن الانسان اذا تراكمت عليه المصائب يزداد هو سعيا وراء ايجاد المزيد منها .

وعلى كل فقد قبل البدوى بعد جهد . ونام معى واسترشدت منه عن الطريق وعن طول المسافة للوصول الى (الكريب) واذا كانت توجد متاجر فى الطريق . ويا لها من ليلة فريدة فى حياتى وأية ليلة هى تلك الليلة وفى الصباح الباكر نبهت ذلك الاعرابى من النوم وأعطيته خمسة فرنكات ليأتينا بشىء من الفحم والحطب لكى نضرم نارا نسطلى عليها فى ذلك الصبح من شدة البرد وعدم النوم . وجاء بحزمة من الحطب وأضرمنا النار ولكنها لم تفد شيئا لشدة البرد الى جانب عدم النوم رغم التعب الشديد لما كنت احسس به فى ظلام الليل من دبيب فى جسمى ولم أعرفه وانى لى معرفته وقد كان الظلام أطلق له حرية التصرف فى جسمى واسدل عليه ستاره القاتم .

وانتشر ضوء الصبح وبزغت الشمس لحظة ثم اختفت وراء جحافل من السحب المتراكمة الكثيفة الداكنة واخذت المطر تنزل رذاذا . وخرجنا من مسكن الحيوانات وكان ذلك اليوم . يوم سوق القرية خرجنا بعدما دفع كل منا«فرنكين» أجرة المبيت وذهبنا الى المقهى وانا ارتعد كالريشة فى مهب الريح . واسنانى تسطك يسمعها من يكون بقربى من البرد وفراغ البطن وعدم النوم وما أحس به من أثر تلك الدبيبة فى الليل . وصلنا المقهى . وهات يا قهوجى . الاولى والثانية والثالثة املا فى ان تخفف عنى شدة البرد ولكن هيهات .

قمت من المقهى والبدوى يتبعنى أتجول فى أركان السوق فوجدت محلا يصنع (المدمس) على الطريقة التونسية (طبعا) وهى تختلف عن الطريقة المصرية تماما فأكلنا منه ملئت البطون فكان ذلك الدواء الشافى من تلك الرعدة التى كانت تهز جسمى هزا (كالحمى) ثم ارتفعت الشمس قليلا . وهنا فكرت أن أتفقد (حوليا) عما عسى أن يكون قد علق به . وهنا الحادث المزعج والمنظر الاليم الذى لايصدق تأملت فى (الحولى) فرأيت ويا لهول ما رأيت منظرا مريعا لا يمكن أن تعرف حقيقته مهما وصفت وصورت . ولعله لم يحدث لاحد من قبلى فيما أعتقد . ذلك أننى عندما نظرت الى (الحولى) وهو جديد لم استعمله من قبل لا غطاء ولا لباس . فلقد رأيته مغطى بطبقة كثيفة متراصة فى كامل طوله وعرضه من القمل الاسود وحشرة صغيرة لم اعرفها الامر الذى ارتعدت منه فرائصى فطويته وجعلته فى (القفة) وقد تحملت لفح ذلك البرد القارس طول الطريق .

وبعد أن ارتحت قليلا أخذت الطريق فى اتجاه (الكريب) وسرت راجلا وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وصلت الى محطة اسمها : « محطة لخوان » يقف بها القطار الذى يربط الكاف بتونس وهى تبعد عن الكريب بحوالى سبعة كيلو متر استرحت بها قليلا . ثم واصلت السير فوصلت الى محطة الكريب وهناك استقبلنى الاخ (سليمان حسين المقصبى المسراتى) وهو صاحب دكان لبيع المواد الغذائية فى نفس المحطة . وقال لى أن ابن عباس البارحة كان يتكلم عنك ويتوقع خروجك من تونس ولكن لا يعرف أين سيكون اتجاهك . واراد ان يسألنى عن الاخوان ولكننى قلت اله اسعفنى بفراش لكى انام ولا تسألنى عن شىء الان . وجاءنى بفراش ورحت فى نوم عميق .

بينما الاخ سليمان ذبح أرنبا وأحضر الاكل ثم نبهنى فكانت أكلة لا زلت أتذكر لذتها . ولعل ذلك كان نتيجة الجوع والتعب . وحينئذ شعرت براحة تامة ثم جاء الأخ محمد عباس فكان سروره كبيرا لخروجى من تونس وافلاتى من أعين العدو . وحال وصوله اطلعته على (الحولى)وما علق به فاخذ جميع ملابسى الى منزله فطبخت حتى زال منها كل شىء ثم غسلت فاذا هى كما كانت من قبل كأنه لم يمسسها سوء .

اقامتي وتحركاتي بين الكريب والكاف

استقر رأيي على ان ابقى فى الكريب مع الاخ محمد عباس . أولا ليس لى فى تلك المنطقة غيره أرتاح للبقاء معه الى أن تتغير الظروف مع راحة فى النفس . ثانيا لا بد من انتظار الزحفين الحلفاء والمحور لاستئناف اعمالنا .

مكثت فى الكريب . وبعد ايام فكرنا الاخ محمد عباس وأنا أن نذهب الى الكاف حيث يوجد الاخ محمد احمد عريقيب ولكن المواصلات كانت مفقودة تماما فى ذلك الوقت . الا السيارات العسكرية وفى يوم من الايام ومن باب الصدفة وجدنا سيارة عسكرية يسوقها مالطى . فرجوناه ان يحملنا معه الى (الكاف) فامتنع بشـــدة وعنجهية وبينما نحن نحاول معه اذ جاء ضابط عربى جزائرى من الجيش الفرنسى (طبعا) وأظنه فى رتبة الملازم على ماأتذكر فوجـدنا حذو السيارة فسألنا عن حاجتنا .. فقلنا له نحن نريد الذهاب الى الكاف ولا توجد وسائط بالاجرة وقد طلبنا من هذا السائق أن يحملنا معه فامتنع .

فتقدم هذا الضابط نحو المالطى وهو داخل السيارة مزمع السفر وأمره بشدة أن يحملنا الى الكاف . فلم يرفض المالطى ولكن ظهرت عليه علائم الارتباك وامتقـع لونه وظهرت عليه علائم عدم الرضا وأراد أن يتكلم . ولكن الضابط صاح فى وجهه صيحة أزعجته (والتفت الينا وقال اركبوا واذا تكلم فى الطريق أضربوا على رأسـه . وأنا الضابط فلان بالتفصيل) والمالطى يسمع وسارت بنا السيارة حتى وصلت الى الكاف .

(والكاف) هذه مدينة تقع فى مرتفع كانه جبل وبها بقايا سور قديم وقصبة . وفى نفس البلاد توجد عين جارية عذبة المياه قوية الاندفاع . وهواء الكاف جاف صحى ولكنها باردة جدا فى فصل الشتاء وتنزل بها الثلوج فى معظم السنين . وهـــى تشرف على مساحات من الارض مترامية الاطراف تقع فى الشـــمال الشرقى منهـا . وهى أرض جميلة المنظر ذات تربة حمراء لونها يسر الناظرين . اســمها الزعفران .

وصلنا الى الكاف وقصدنا منزل الاخ محمد عريقيب حيث كان يسكن بهـــا وبعد راحة يوم طلب السيد محمد عباس من السيد محمد عريقيب بوصفه مـــن سكان البلاد ويعرف دوائرها طلب منه ان نذهب جميعا للاتصال (بالميجر) الانجليزى الموجود هناك لعلنا نفهم منه شيئا عن الموقف أو نجد عنـــده ما يفيدنا .. بعد ان أصبحت فرانسا فى حالة ضعف قريب من العدم . والفرنسيون هناك اصبحـــوا عبارة عن جماعة لاجئة لاتملك من الامر شيئا . ولـكن الاخ عريقيب امتنـــع عن ذلك ولا أعرف سبب الامتناع .

ولقد غضب الاخ محمد عباس من هذا الامتناع الذى أظهره السيد عريقيب دون أن يبرره . وبعد خمسة أيام رجعنا الى الكريب وقد حملنا معنا بعض اشياء من الضروريات عن غير قصد التجارة . ولكن وجدنا فيها رغبة شديدة وكسبا هائلا الامر الذى جعلنى أتردد على الكاف من أجل التجارة . وفى عودتنا الى الكاف وجدنا جماعة من الفرنسيين وكان بينهم أفراد من الضباط الذين كنا عرفناهم فى تونس

ومن بين الذين عرفناهم وبقيت أسماءهم فى ذاكرتى : (ميكار ـ لفدان ـ جوسران ـ أوجى ـ بورى) • وهذا الأخير سيىء الخلق ضيق الصدر متعجرف

وهؤلاء الضباط وغيرهم تجمعوا فى الكاف وهم من الفريق المناصر لموقف الجنرال ـ ديجول) وشكلوا من أنفسهم شبه حكومة تسير أمور المنطقة ، كما انهم نصبوا رجلا من عائلة فى الكاف يقال لها (عائلة قدور) ليقوم مقام الباى : أى ملك تونس ويصدر الأوامر باسمه •

ذهبت الى هذه الجماعة الفرنسية فأخذوا يوجهون لى الاسئلة متى خرجت من تونس وكيف خرجت وبأى واسطة وعلى اى طريق ، ثم سألونى عن مبلغ القوة المحورية التى تنزل بتونس وطلبوا منى اعطاء رأيى فيها • فقلت لهم : ان القوة التى وصلت لحد خروجى هى ضئيلة بالنسبة لحالة حرب كهذه كما ان الطريقة التى تأتى بها طريقة ضعيفة فاذا لم تتغير الطرق والوسائل فلا أظنها تصمد طويلا في مواجهة القوات الزاحفة • وهذا رأيى فيما رأيت • فقالوا صحيح ذلك هو ماتجمع لدينا من المعلومات فى هذا الشأن • ثم طلبوا منى استمرار الاتصال بهم ولكننى اعتذرت حيث أننى لأسباب خاصة لاأستطيع البقاء فى الكاف فاذا احتجتم فأنا فى (الكريب) مع الأخ محمد عباس فلكم أن تطلبونى بالتليفون عن طريق محطة الكريب •

انتهت المقابلة واشتريت من السوق كمية من البضاعة ونقلتها الى الكريب فاذا بالارباح مغرية الامر الذى شجعنى على الاستمرار فى هذا العمل خصوصا وانا قد خرجت من تونس وليس معى الا ثمانية آلاف فرنك • وأنا لاأدرى متى تنتهى تلك الظروف وكم تدوم • وهكذا فقد واصلت هذا العمل من شهر ديسمبر الى مارس عملا مربحا ولكنه شاق جدا ومتعب جدا وخطير أيضا • فقد كنت أذهب الى الكاف واعود منه الى الكريب مرتين فى الاسبوع وأنا محمل بما لايقل عن ثلاثين كغ ـ ولا يصل الاربعين من البضاعة والمسافة بينهما حوالى ٧٠ كم وينبغى قطع هذه المسافة فى وجود الشمس نظرا الى خطورة الطريق فى الظلام بسبب فقدان السلطة واغتنام المجرمين فرصة انحلال النظام فأخذوا يعيثون فى الارض فسادا •

ونظرا الى هذا الخطر فى الطرقات ولما كنت على معرفة بالضباط الفرنسيين واتصالاتى بهم وحاجتهم الى أيضا ذهبت اليهم فى يوم من تلك الايام وشرحت لهم حالة الخطر وطبيعة عملى الخاص وطلبت منهم منحى سلاحا أحمى به نفسى سواء ذلك بندقية أو مسدس على الاقل فأجابونى بأنه لايوجد لديهم سلاح • فقلت أنا أعذركم فى هذا فقد لايكون عندكم سلاح فعلا • ولكن فى امكانكم أن تكتبوا لى رخصة فى حمل بندقية وأنا أتدبر أمر السلاح • فقالوا من أين تتحصل عليه •• ؟ فقلت انا أدخل الواجهة والتقط منها سلاحا • فقال لى أحدهم ألا تخشى أن تموت ••؟ قلت ألسنا نحن خرجنا نفتش عن الموت ونحن جميعا فى طريقها •• ؟ ثم عدت أطالب بالرخصة وعندها قال لى (ميكار) وهو أحد الضباط المسئولين • قال لى : (العرب يقولون اخوك اخوك) هكذا عباراته بالعربية حرفيا لفظا ومعنى • وبعد هذا لم يبق لى امل فى الحصول على رخصة منهم لحمل السلاح •

وبعد شهر أو أكثر قليلا من العمل تحسنت حالتى المادية فاشتريت (حصانا) كان قد غنمه أحد الضباط الجزائريين فى الحرب . وبذلك فقد أصبحت فارسا بين الكاف والكريب وسليانه وخف عنى التعب . التجأت الى الفرنسيين من جديد طالبا منهم ان يمدونى (بسرج) من أى نوع حيث لاتوجد (سروج) فى السوق ، فأجابونى بانهم هم أحوج منى الى السرج وانه لديهم خيول كثيرة عاطلة بسبب عدم وجود السروج .



مفاجأة محيرة

بينما كنا فى مدينة الكاف الاخ محمد عباس وأنا نسير فى الشارع فى طريقنا الى مقهى هنـاك وعـلى حين غفلة ظهـرت أمامنـا سيارة ولمحنا داخلها المرحـوم محمد بن خليفة بن عامـر • ولقد بعثت هـذه المفاجأة فى نفوسـنا خوفا واضـطرابا اذ تهيىء لنا ان المحـور قد زحف ولعله وصل حتى (الكريب) ذلك لان (ربع سليانه) كان مهددا باحتلال الالمـان له أشرنا الى السيارة بالوقوف ، فوقفت ونزل منهـا الأخ محمد فسلمنا عليه وسألناه بسرعة عن سبب مجيئـه الى الكاف • فقال ان جيـوش المحور قد اقتحمت منطقة الربع ، وقـد فررت ليـلا وتركت عائلتى لوحدها • ولاأعلم ماجرى بعدى •

وفى اليوم التالى غادرنا الكاف الى الكريب ثلاثتنا حيث مقر الاخ عباس • وفى الليل اجتمعنا ثلاثتنا بمنزل ابن عباس • وتقرر ان نسافر الاخ محمد بن خليفة ـ وأنا ـ ونحاول بطريقة ما اختطاف عائلة الأخ محمد بن خليفة ليلا ونقلها الى الكريب • قمنا من هناك راجلين • وبتنا عند عائلة تدعى عائلة (بن عبروق) من أشـهر العـائلات فى تلك المنطقة ، ثم واصلنا السير من الغد وقصـدنا أحـد الفلاحين ، يعـرفه الأخ محمـد بن خليفة • ويبعـد عن مكان عائلته بحـوالى عشرة كيلو متر تقـريبا لنختبىء عنـده حتى يسدل الليل ستاره •

استقبلنا هذا الرجل ببشاشة وترحيب وجاء لنا بالاكـل • وكنا فى حاجة ملحـة للراحة والأكل • وبعد ذلك سألناه عن الحالة بالمنطقة وما وقع فيها ••؟ فقال : لقـد وصل الألمان الى هنا ثم انسحب تلقائيا وهو الآن يعسكر فى (جبل منصـور) وبهذا الانسحاب أصبح مسكن السيد محمد بعيدا عن الخطـر فواصلنا السير الى منزله وقد وجدنا كل شىء على ماكان عليه • وبعد راحة يوم بقى السيد محمد مع عائلته وعدت أنا الى الكريب •

بعد العودة أخذت فى العمل بين الكاف والكريب • وفى يوم من الايام لم أذهب الى الكاف قال لى الأخ عباس لنذهبا الى المحطة نستنشق الاخبار عن جيـوش الحلفاء أين وصلت فى ليبيا وقد كان الفرنسيون واضعين خارطة فى المحطة على اللوحة وبها اشارات تقدم وتأخر الواجهة الحليفة فى الاراضى الليبية • تتحـول الاشارة من نقطة لأخـرى طبقا لتحركات الجيوش يوما بيوم وساعة بسـاعة وصلنا الى المحطـة وفيهـا كثير من الناس • وبعد وقوفنا قليـلا على الخارطة ذهبنـا الى دكان الأخ سليمان حسين المقصبى

وبينما نحن داخل الدكان اذ سمعنا ضجة أصوات تنبىء بوجـود انزعاج ثم سمعت قائلا يقول) الطيارات ـ الطيارات (وكنا أربعـة فى الدكان صاحبه ـ ومحمد عباس ـ

وشيخ كبير اسمه (ميروان) من تاجوراء ـ وأنا ـ ولما كثر الضجيج خرجت لاستوضح الامر • فوجدت المنطقة التى كانت مكتظة بالناس خاوية على عروشها • فقد اختفى الجمهور فى لمح البصر • وفى نفس الوقت سمعت هدير الطائرات يختلط (بكبكبة) قطار الخط الحديدى • فنظرت الى مصدر الصوت فى الأفق واذا بأربع طائرات ألمانية من نوع (استوكا) وقد وصلت هذه الطائرات وقطار السكة الحديدية فى وقت واحد الى المحطة • وقف القطار ونزل منه الركاب بسرعة وتفرقوا كل الى حيث هداه تفكيره •أما عمال القطار فقد التجأوا الى مخبأ تحت الارض فى نفس المحطة • ووقفت أنا خارج الدكان وناديت اسرع ياابن عباس فالطائرات الالمانية قد وصلت • كما ان الذين هم تفرقوا لم يبق أحد منهم •

ولكن ابن عباس تثاقل وكأنه لايعنيه الامر ولا يهمه الخطر ثم خرج بهدوء ونظر الى الطائرات وقد أصبحت فوق رؤوسنا • فقال : أين المفر الآن فلندخل الدكان وننتظر تصرفات القدر تجاوزتنا الطائرات الأربعة الى الغرب قليلا واصلت اثنتان منها سيرها وعادت اثنتان لتلقى بصواعقها الجهنمية على المحطة ومن فيها دخلنا الدكان أربعتنا والتجأ كل منا الى زاوية من زوايا الدكان طبقا لتعليمات كنا نجدها على المجلات المصرية تنبه الناس الىأخطار الحرب فتقول فى حالة هجوم جوى يجب ألا تلتجاالى زوايا المبانى فهى أسلم من غيرها •

وما كدنا نصل الى زوايا الدكان حتى أخذت الطائرتان تمطر المحطة بصواعقها المرعبة • وكانت القنابل التى تلقى من وزن الخمسمائة كيلو غرام ، ويصحب القنابل وابل من رصاص الرشاشات وكل ماانفجرت قنبلة رأيت الشجر يسجد لها حتى ليكاد يقبل الارض ثم ينتصب كما كان فى انتظار انفجار آخر ليعيد سجوده وانتصابه وهكذا دواليك • أما الدكان الذى نحن داخله فقد كان يركع حتى أظنه انه سينهار على رؤوسنا ثم يعود أدراجه • وهكذا كان جميع الشجر والمبانى فى كل انفجار • ولقدنزلت قنبلة على بعد اثنتى عشرة ميترا أمام الدكان وقد امتلأ بالدخان حتى لميعد أحدنا يرىالآخر •

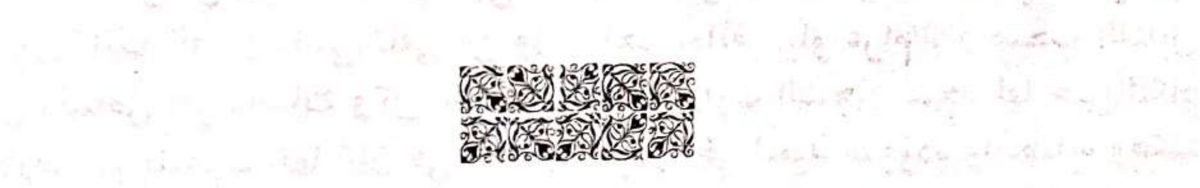
وحتى لقد ظننت أن الارض قد زلزلت • وأن الساعة قد أزفت وأن حياتنا الاربعة قد انتهت • كما أنقمبلة أخرى كانبينها وبينالمخبأ الذىالتجأ اليه عمالالقطار ثلاثةأمتار فقط • وبعد انتهاء الغارة خرج أولئك الذين كانوا فى المخبأ وقد كان أحدهم حصل له اختلال حتى لقد أخذ يهذى كالمحموم • ثم هو يعدو هاربا ثم يعود • ثم ينظر الى الأفق ويحاكى هدير الطائرات وانفجار القنابل •

عاد الجمهور الذى هرب عند مجىء الطائرات وقد كان فى حسبانهم اننا قد قضى علينا وأشاعوا بينهم أن الطرابلسيين كلهم قد ماتوا • ولكن عند عودتهم وجدونا أحياء سالمين • ماعدا ذلك الجرح البسيط الذى حصل لابن عباس • أما ذلك الشخص

الذى اختل شعوره فقد بقى بالمحطة حوالى ساعة ولم يتغير حاله • ثم أخذوه فى القطار وسار به الى جهة (الكاف) ولا أدرى مافعل الله به بعد ذلك •

سبق أن ذكرت تحسن حالتى المادية واشتريت حصانا • وأن جيوش المحور قد انسحبت الى (جبل منصور) وجبل منصور هذا يقع بين منطقتى (ربع سليانه ـ والفحص) وقد صرت أتحول بين (الكاف ـ والكريب ـ والربع) حيث وجدت فى هذه المناطق سوقا رائجة ذلك أن الموقع الذى يكون قريبا من الواجهة تكون الناس فيه للحاجات أحوج • وفى شهر فبراير اجتمعنا ثلاثتنا : محمد عباس ـ محمد خلفية ـ أحمد زارم فى منزل الاول بالكريب وقررنا ارسال مذكرة الى قادة الجيوش الحليفة • وفعلا حررت التقارير وأرسلت كلها عن طريق القائد العام لجيوش الحلفاء التى نزلت بالجزائر • وبعلم الوصول •

وبعد أيام تلقى الأخ محمد عباس اشعارا بوصول تلك التقارير • ولعل الأخ محمد عباس لازال يحتفظ بذلك الاشعار • لاأدرى ـ وقد تضمنت التقارير اعلامهم بأننا نضع أنفسنا تحت طلبهم للعمل معهم ضد العدو المشترك • واشعارهم بكل صراحة ووضوح بأننا ليس لنا أى مطمع من وراء هذا الا تحرير بلادنا واستقلالها فى نهاية الحرب •



الاتصال بالجيش الثامن الانجليزى

بعدما تقدم ذكره من الاحداث انصرف كل منا الى عمله الخاص ، واصلت انا أعمالى المعتادة ، وفى يوم من الأيام وصلت الى (ربع سليانه) بما لدى من البضاعة قادما اليه من الكاف وقد مكثت هناك اربعـة أيام • وفى اليوم الثالث من وجـودى جاء ضابطان وشاب على سيارة جيش بريطانية ، وكان أحـدهما برتبة (كبتن) والثانى لم أعـرف رتبته وأما الشاب فبرتبة (سرجن) فالضابط المسئول انجليزى واسمه (ادجار هربرت) والثانى عربى مسيحى واسمه (ادوار شدياك) أما الشاب فاسمه (تيم) وهو ازلندى وهذا مختص بالمخابرات اللاسلكية • وادوار شدياك هذا لما انتهت الحـرب من القطـر التونسى تزوج بابنة أحد المعمرين الفرنسيين بتونس واسمه (موزى) كان يملك ضيعة بمنطقة ربع سليانه ، جاء هؤلاء الجنود الثلاثة ولديهم أسماؤنا وطلبوا منا العمل معهم ضد العدو • وبما أن بلادنا قد احتلت من طرف الانجليزى فقد أصـبح عملنا معهم أنفع وأجدى لبلادنا لذلك فقد رأينا أن نجيبهم الى طلبهم •

ومن ذلك اليوم بدأنا العمل معهم فعلا قمنا أولا بجولة على طول الواجهة الممتدة من البحر شرقا الى الحدود الجزائرية غربا • وينتشر هذا الجيش عمقا من مدينة سوسـه الى سـيدى (أبو على) وبعد هـذه الجولة أخذنا فى ارسال بعض الاخوان الذين جاؤا متطوعين من تلقاء أنفسهم الى ماوراء واجهة المحور وكل بعثة تكلف بمهمة خاصة ، فمنهم من هو للأعمال التخريبية ، ومنهم من هو لاختطاف الأسرى الذين وقعوا فى أيدى العدو ومنهم من هو لاكتشاف مخازن الوقود وأماكن تجمـع الاليات لاشـعال النار فيها ، أو ارسال الطائرات لتدميرها •

وفى يوم من أيام جولاتنا تلك جلسنا للغـداء فى موقع ما قـرب (واد برجو) والى الجنوب الغربى منه اختلى الضابط (ادجار هربت) بالسيد محمد بن خليفه وقال له أنه يرغب منا أن نشكل جمعية من أنفسنا لنواصل العمل باسمها ، ولقد جاءنى السيد محمد وعرض على الاقتراح ، فقلت : ان تشكيل جمعية والعمل باسمها سوف يجعل لنا سلطة يفرضها الانجليز ويستغلها بواسطتنا وهى مسئولية ضخمة وخطيرة علينا وعلى اخواننا وعلى كل فاذا كانوا يريدون منا هذا التشكيل لفائدة الجميع •

أجل اذا كانوا يريدون منا أن نعمل بطريقة نظامية لكى نتمـكن من تجنيد أوفر عدد ممكن من اخواننا ونتحمل المسئولية الوطنية والتاريخيـة • فاننا نطلب مقـابل ذلك وعدا كتابيا موقعا من القيادة العامة للحلفاء تتعهد باستقلال بلادنا وحينئذاك نستطيع ان نعمل ، وفى امكاننا أن نجند الآلاف من اخواننا ونندفع بضمائر مرتاحة اعتمادا على نتائج لشعبنا تغطى ماسوف ندفعه من التضـحيات • أما اذا كان الامـر اندفاعا بدون

ضمان وبدون ان نعـرف لماذا نعمل • ولماذا ندفع باخـواننا فى جحيم الحرب بطريقـة اجبارية • فهى طريقة صعبة وعملية خاسرة سلفا • هذا هو رأى فى الموضوع •

وأنا شخصيا غير موافق الا بضمانة كتابية • وحتى هذه الضمانة غير كافية ولكنها حجة على كل حال أقول هذا لأننى أعرف الانجليز من خلال التاريخ البعيد والقريب فهم لايؤمن جانبهم فتاريخهم ملىء بالغدر وخصوصا بالنسبة لنا نحن العـرب ولا يثق فيهم الا مغفل أو مغرور أو طالب صيد باع وطنه ببطنه •

هذا أما نحن بصفتنا الشخصية نعمل معهم بكل مانستطيع ومن اخواننا من ياتى من تلقاء نفسه نقبله للعمل معنا فلامانع من ذلك • أعاد السيد محمد هذا الكلام للضابط (أدجار هربرت) من غد ذلك اليوم فرفض الضابط هذا الطلب معتذرا بأن الوقت والظروف غير قابلة الآن لمثل هذه المراجعات ، وهكذا فقـد استمررنا فى العمل معهم بصـفاتنا الشخصية وقد انضم الينا كثير من الاخوان من بينهم : محمد بو زيد عبد الله ـ حميده على المطماطى ـ محمد شكرى كويدير ـ حميده محمد القعود ـ عبد الله الصـادق بعيو ـ وغيرهم آخرون ضاعت منى أسماؤهم • وقد قمنا بأعمال كثيرة وخطيرة جدا •



قصـــة فاطمة وعلى

وفى يوم من أيام تلك الجـولات الـكثيرة المتواليـة على طول الواجهـة غربا وشرقا وارسال الكثير من الاخوان بعثة بعد الاخرى من جهات مختلفة ، وفى احـدى جلساتنا فى مكان ما ، تقدم الينا الضابط المسئول (ادجار هربرت) باقتراح يقول فيه : انه اذا كان فى الامكان ارسال زميله (ادوار شدياك) الى ماوراء واجهة العدو صحبة أحـد اخواننا ، على أن نهيىء له رجالا يحافظـون عليه ويعملون معـه داخـل منطقة احتـلال المحور • وهذا أمر متيسر لنا لأن اخواننا الذين بقـو داخل المنطقة يستطيعون القيـام بذلك بجدارة ويسر • وان كانت هى أعمال هامة وخطيرة جدا •

وبعد جلسة خاصة بنا نحن الثلاثة ـ : محمـد عباس ـ محمـد بن خليفة ـ أحـمد زارم ـ درسنا فيها الموضوع دراسة وافية من كل جوانبـه ورسمنا الخطة التى يمـكن المرور بواسطتها من الواجهتين وتعيين الجهات التى يجب الاتصـال بها قبل البـدء فى أى عمل • وبعد ذلك تقدمنا للضباط بمذكرة توضح تفاصيل الخطـة • فوافقوا عليها وبدأنا التنفيذ فاستدعينا أحد الاخوان • اسـمه : (عـلى) وأظنه من ورشـفانه فيما اتذكر • وبسطنا له الموضوع وما فيه منأخطار • وشرحنا له الخطة كاملة ثم تركنا له يوما ليفكر فى أمره •

جاء على المذكور من الغد وهو على كامل الاستعداد • وأعدنا له الأخطار التى سوف تواجهـه • قال : لاتزيدونى ايضاحا فأنا فهمت كل شيىء • وعلى هـذا الاساس فاننى أهل لهذا العمل واكثر ، ومن هنا عاد الى أهله وأعلمهم بأنه سيتغيب أياما وقد تطول • وعلى كل فأخباره يعرفها السيد محمد بن خليفة ويعرف أين هو • وعاد الينا مستعدا ومن هناك قمنا بالسيارة متجهين الى مدينة : «القيروان» لشراء الأشياء التى سنستعملها للتنكر • وصلنا الى « مدينة عقبة بن نافع رضى الله عنه وأرضاه » ومنها اشترينا جميع ملابس المرأة البدوية من أخمص الصبع الى قمة الرأس من بينها (الحلى) الذى تتحلى به المرأة البدوية فى تلك الجهات عادة وكان هذا الحلى كله من الفضة •

أتممنا كل مالزم واتجهنا بسيارتنا من القيروان الى (دار الباى) • ودار الباى هذه بلدة حديثة تحيط بها منطقة زراعية ، أراضى منبسطة مترامية الاطراف فيها الكثير من أشجار الزيتون الحديث ومعظمها مزارع حبوب • وللبلدة سوق أسبوعى كثير الرواد • وصلنا هذه البـلدة فاذا هى خاوية على عروشـــها لانها تقع وســـط واجهـة الجيش الانجليزى ، وقد اجتزنا مؤخرة الواجهة ووصلنا الى مقدمتها الخط المواجه للعدو حيث تتبادل الواجهتان طاقات المدافع ، وفى موقع يقع الى الشرق من البلدة فيمـا أتذكر ـ أو هو الى الجنوب الشرقى منها فى هذا المكان وجدنا بيتا شاغرا ، والواقع ان جميع

المبانى بل وكل المنطقة خالية من السكان الاصليين تماما ـ الا جنود الجيش الانجليزى ومعداته •

فلقد كانت واجهة المحور تتمركز فى (جبل اجردو) الممتد غربا وشرقا من ضفاف البحر الى حدود الجزائر فى موازات واجهة الحلفاء ومن هذا الجبل الذى يشرف على منبسطات دار الباى الفسيحة من جهة الشمال ـ من هذا الجبل تنبعث قنابل المدافع الألمانية تشق الفضاء كصواعق شواض من نار ونحاس فتحدث جوا قاتما من غبار الارض ودخان الانفجارات الكثيف على مدى مايبدو للنظر من امتداد الواجهتين والقنابل متبادلة من هنا وهناك باستمرار •

دخلنا نحن فى ذلك المبنى الشاغر • وكانت القنابل تتساقط حوالى المبنى الذى دخلناه • والانفجارات تتوالى من حولنا والدخان الداكن الكثيف الممزوج بغبار الارض يملأ الجو ويرتفع مراحل فى الافق الأعلى رويدا رويدا لكى يتبدد فى الفضاء اللانهائى ثم تتلوه مراحل أخرى وهكذا دواليك وكان المبنى والحالة تلك يوالى اهتزازاته تبعا للانفجارات حتى لكأنه قد أصيب برعدة من شدة الخوف الناتج عن تلك الصواعق الجهنمية الرهيبة التى كانت تهدده من لحظة لأخرى بالنسف •

ففى هذا الجو الملتهب والذى هو فى الواقع أكثر من أن أستطيع تصويره • دخلنا ذلك البيت الشاغر • وألبسنا « ادوار شدياك » لباس المرأة البدوية بكل مايلزمها ، كما أفهمناه كيف يتجنب عن أعين الرجال • وكيف يتنحى ناحية فيما اذا التقى على بأحد فى الطريق • كما ألبسنا الأخ على لباس رجل بدوى فقير من بدو تلك الجهات تماما وفى رجليه حذاء مرقعا أكل عليه الدهر • ويحمل على ظهره كيسا به بعض مواد غذائية وحاجات أخرى مما يوجد عادة عند البدوى • خرجنا من ذلك البيت التى كنت أتوقع أنها ستنهار على رؤوسنا من كثرة الاهتزازات وشدتها • وأطلقنا على (ادوار شدياك) اسم (فاطمة) أما على فهو على كما هو سار على تتبعه فاطمة زوجته أمامنا للتجربة خطوات فكان مظهرهما وحركاتهما كما يجب أن تكون ثم وقفنا وجاء الضابط (ادجار هربرت) وأخذ لنا صورة جميعا بما فينا (فاطمة وعلى)

ولقد وعدنا (ادجار هربرت) بأنه سيعطى لكل واحد منا صورة للذكرى والتاريخ ولكنه لم يف بوعده ، ولا أعلم السبب فى عدم الوفاء • أهو النسيان أو شيىء آخر فى نفسه • ثم سار الرجل والمرأة من خلفه ونحن فى مكاننا ننظر اليهما ، وبعد أن سارا مسافة • رأيناهما وقد أوقفهما ضابط انجليزى ، ولما طال موقفهما أسرع اليهما (هربرت) وأفهم الضابط بالامر فتركهما يواصلانى سيرهما ورجع هربرت • وعدنا جميعا الى البيت الذى كنا به ، وبعد راحة قليلة غادرنا ذلك المكان لمواصلة عملنا فى جهات أخرى •

ركبنا السيارة واتجهنا الى (جبل منصور) غربا حيث أن الواجهة الألمانية قد ارتدت الى الوراء وأصبحت فى الفحص ، ذهبنا الى هذا الجبل لملاقات أحد الأخوان . كنا قد أرسلناه الى ماوراء واجهة المحور . وكان موعدا للقاء به قد قرب . وصلنا الجبل وبعد انتظار ساعتين تحت ظلال اشجار (الصنوبر) التى تكسو ذلك الجبل . وصل الأخ المنتظر وهو فيما أتذكر (شوشان) من غريان وبعد اخذ مالديه من الاخبار والمعلومات انصرف الى منزله للراحة . وأرسلنا شخصا آخر ثم عدنا الى (دار الباى) فى صباح اليوم الموالى عسى أن نجد خبرا عن (فاطمة وعلى) فوجدناهما قد عادا الى البيت ، وسبب العودة هو انهما حينما وصلا الى آخر نقطة فى الواجهة الانجليزية اعترضهما ضابط انجليزى وأوقفهما وأرد أن يفهم أمرهما . ولكنه وجد نفسه أمام عربى من البادية شكلا وموضوعا لايفهم شيئا من اللغة الغربية . وكانت مشكلة .

ولقد استحال عليهما التفاهم الا بالاشارة ، ولكن الاشارة لاتغنى شيئا فى مثل هاتيك الظروف الدقيقة ، وفى أخطر مكان من ميدان الحرب ، ولقد طال بينهما الأخذ والرد بالاشارة دون أن يفهم أحدهما الآخر ، ولقد اشتد بينهما الجدل وعيل صبر الضابط الانجليزى واحتد فى كلامه الى حد مخيف ، وهنا شعرت (فاطمة) وهى تسمع مايدور بين الرجلين وتفهم مايقال من الطرفين . شعرت بخطورة الموقف ، فاضطرت الى التدخل بينهما لافهام الانجليزى أقوال زوجها باللغة الانجليزية وكانت المفاجأة المحيرة . بهت الضابط وتوقف عن الكلام مع على . امرأة بدوية فى كامل مظهرها زوجة لرجل بدوى يدل مظهره على سذاجة وفقر وجهل عميق تتكلم اللغة الانجليزية بطلاقة وبلغة سليمة أنه لأمر محير .

وأخيرا كشف ادوار شدياك السر عن نفسه وأظهر حقيقته وأوضح الأمر . وعندها منعهما من مواصلة سيرهما قائلا انهما سيهلكان حتما ودون ما نتيجة ولذا أمرهما بالرجوع وأنه لافائدة من المحاولة ولا يسمح لهما بالمرور . فرجعا ليلا الى ذلك البيت .

الفرنسيون يطلبون حضورى فاعتذرت

واستشهاد محمد شكرى كويدير

وفى جولة فى الناحية الغربية من الواجهة ذهبنا الى الكريب ومن الصدف أن طلبنى الفرنسيون الذين هم فى (الكاف) فى شبه حكومة كما أسلفنا طلبوا حضورى الى الكاف « تليفونيا » عن طريق محطة (الكريب) بعد ساعة من وصولنا وكان الذى طلبنى هو (المسيو : جوسران) وقد طلب حضورى لديهم لأعمال يقول انها ضرورية ومستعجلة وأمام هذا الطلب ، ونظرا الى ارتباطنا مع الانجليز فلم أر بدا من مصارحته بالحقيقة • فقلت لاأستطيع الحضور لديكم فى الوقت الحاضر •

(ولقد تساءل (جوسران) هل هناك مانع •• ؟ قلت : أقول الحق أنتم تعلمون أن الانجليز قد احتلوا بلادنا وأصبحوا أسياد الموقف فيها وقد جاؤنا وطلبوا منا العمل معهم •) وقد ارتبطنا بهم فعلا من عدة أيام واننا فى عمل متواصل ليس لى أى وقت للحضور بالكاف • وأنتم تعلمون من خلال مفاهماتنا الشفوية المتعددة قبل اعلان ايطاليا الحرب ، ومن خلال ماقدمناه تحريريا للجهات المختصة أن عملنا معكم أو مع غيركم لانرجو من ورائه أى كسب شخصى مادى كان أو معنوى وانما كان عملنا دائما لحرية بلادنا واستقلالها • وفى اعتقادى مادمتم حلفاء فان عملنا سواء كان معكم أو معالانجليز فهو لفائدة الجميع • وصدقنى يامسيو (جوسران) اننا نتمنى لفرانسا من الاعماق الفوز والانتصار على الأعداء حتى تتمكن من اعادة مجدها وعزتها وتعيدون للشعب الفرنسى النبيل حريته فى بلاده •

والجدير بالذكر والملاحظة هو اننى فهمت فيما بعد أن الفرنسيين قد استاؤوا من انقطاعنا عنهم • ذلك انه بعد انتهاء الحرب من البلاد التونسية ودخولنا الى تونس وبعد مدة رأيت أن أتصل بالاستاذ (سالو) وقد تقدم أن أوضحت بأنه كان على رأس المكتب الخاص باتصالاتنا لمدة طويلة • ومن هنا فان معرفتنا كانت قوية راسخة اتصلت به فى موضوع خاص للاستعانة به •

توكلت على الله ورحت اليه وبعد التحية قلت له اعتقد انك لم تنس بأننا قد عملنا معا وان كانت النتيجة قد جاءت غير ماكنا ننتظره • وتلك مشيئة الله والمستقبل خير فأجابنى بهدوء مع شيىء من البرود بقوله : « نستشعر » هكذا بهذه العبارة بالضبط ثم أردف قائلا أأنت مازلت هنا لم ترجع الى طرابلس حتى بعد أن احتلها الانجليز • ؟ ومن هنا شعرت بالجو وفهمت أن لافائدة فى طلب مساعدته فاكتفيت بالتحية ولم أفاتحه فيما جئته من أجله ، وانما قلت له : أنا الأن آخذ فى الاستعداد للسفر الى بلادى وجئت لأسلم عليك اذ ربما لاأتمكن من مقابلتك عند السفر ثم ودعته ولم أره بعد ذلك اليوم الى الآن •

قلت انني قد اعتذرت للفرنسيين عن الحضور الى الكاف . وفعلا لم أعد اليه بعد ذلك حتى انتهت الحرب من القطر التونسي . وواصلنا عملنا مع الجيش الثامن الانجليزي وقد أخذت الواجهة المحورية في الانحسار منكمشة الى الوراء . ونحن اليوم بمنطقة « اسمنجه » نتتبع خطوات هذه الواجهة في تقهقرها ، وفي هذه المنطقة أرسلنا أربعة من اخواننا للدخول الى ماوراء واجهة المحور أتذكر منهم ثلاثة هم الاخوان : محمد شكري كويدير - وعبد الله الصادق بعيو - وحميده علي المطماطي - والرابع ضاع عن ذاكرتي . اجتاز هؤلاء الاخوان الأربعة واجهة الحلفاء . وفيما كانوا بين الواجهتين في طريقهم الى اختراق واجهة المحور اذ نزلت بقربهم قنبلة مدفع آتية من جهة الالمان ، ولا أدري اذا كان قد انتبه لهم الجنود الالمان . أو هو من باب الصدفة ، وعند انفجار القنبلة أصيب الاخ المرحوم محمد شكري بشظية منها أصابته في رأسه وكانت اصابة خطيرة جدا .

ولقد كانت هذه الواقعة بالقرب من مزرعة « الحاج عياد ربانه الجربي » فنقل الاخوان زميلهم المصاب الى هذه المزرعة فاستقبلهم صاحبها المذكور وعماله وتسلموا منهم المصاب ، وقد قال لهم الحاج عياد : أتركوا زميلكم هنا نحن نعالجه فان كانت له بقية من حياة سوف تجدونه سالما ان شاء الله ، وان كانت الاخرى فنحن نقوم بالواجب لأنني أخشى أن ينتبه لوجودكم الالمان فينكل بنا وبكم . وهنا فقد ترك الاخوان زميلهم وواصلوا مهمتهم وفي طريق العودة مروا بالمزرعة ليقفوا عن حالة أخيهم فوجدوه قد توفي ودفن هناك رحمه الله . وعند رجوعهم الينا أخبرونا بالامر .



دخولنا تونس واجتماع فندق المجستيك
وقضـية الحاج عياد ربانه

وفى يوم ١٧ مايو من سنة ١٩٤٣ م دخلناتونس وقد انهزم المحور وانجلى عن الاراضى التونسية ، ولم يبق منه الا فلول فى « دخلت المعاويين » وهى أخـذت فى الاستسلام ومن بينها من يركبون البحر فى (فلائك) صـغيرة • وعلى ألواح عادية يتجهـون الى (صقليه) القريبة من شواطىء « الدخله (وعند دخولنا الى تونس قصـدنا رأسا الى فندق « المجستيك هوتيل» بشارع باريس بتونس ، وهناك عقدنا اجتماعا مع الضباط الانجليز ثلاثة وثلاثة ستة اشخاص وفيه طلبوا منا ان نتقـدم اليهم بطلباتنا مقـابل أعمالنا ومن الغد اجتمعنا ثلاثتنا : محمد عباس ـ محمد خليفة ـ أحمد زرام ـ حررنا مذكرة استعرضت اعمالنا معهم فى الشرق وفى الغرب وأوضحنا لهم بتأكيـد وبرهان ان مشاركتنا لم نكن نبغى من ورائها أى هـدف غير تحـرير بلادنا واستقلالها • وأن تقف بريطانيا فى جانب حقوقنا هذه حينما تنتهى الحرب وتتحرك السياسـة لتثبت ماتثبت وتحذف ماتحذف • على أن يكون موقفها بكل جد واخلاص ، كمـا وقفنا نحن الى جانب الحلفاء بكل ماأوتينا وبمنتهى الاخلاص •

ومن الغد وقبل أن نسلم المذكرة بلغنا أن « الحاج عيـاد ربانه الجربى » قـد ألقى عليه القبض من طرف الفرنسيين ونقل الى جهة ما • بتهمة تعاونه مع جيوش المحور • وانه يتوقع اعدامه ، وطلب منا التدخل بالسرعة الممكنة قبل فوات الأوان • فأسرعنا الى الضباط الانجليز وطلبنا منهم سرعة التدخل فى الموضوع لانقاذ حياة الرجل الذى أوى صاحبنا وعالجه ودفنه وأعاننا بذلك على أعمالنا ولو كان يتعاون مع المحور لذهبنا نحن كلنا ضحية فهى فرصة له مع الألمان • وأفهمناهم أن ليس للفرنسيين أى حجـة عليه فيما ادعوه ، ولكنهم اهتبلوا الفرصة وهى ظروف الحـــرب للانتقام من عناصر الحركة الوطنية ، وهو من العناصر الممولة لها •

ولقد أسرع الضـباط فى الوقت ونحن حاضرون فاتصـل (هربرت) بالقيادة • واتصلت هذه بدورها بالجهات الفرنسية وأطلق سراح الحاج عياد ، وبعد اتمام هذه الاعمال سلمنا المذكرة ، بقى الاخوان : ابن عباس وابن خليفة فى تونس ريثما يجـد كل منهما واسطة للعودة الى جهته ، اذ كانت المواصلات نادرة جدا •

أما أنا فقد عدت الى بيتى فى (الكرم) وهكذا فقد رجعت الى أهلى بعد هجرة ثانية دامت ستة أشهر • وبعد أيام لاأتذكر عـدتها ولـكنها على أى حال لاتتجاوز أصـابع اليدين • وعلى غير انتظار وصلنى السيدان : محمد عباس ـ ومحمد خليفة ـ والضابط (هوبرت) الى الكرم • وقال هذا الضابط اكراما لكم من أجـل موقفكم وعملـكم قد أمرتنا القيادة بأن نحملكم لزيارة بلدكم ونعيدكم الى هنا •

والواقع ان هذه كانت عندنا من الأمنيات الغالية . حيث نزور بلادنا وأهلينا بعد غياب عشرات السنين ، وبعد انهزام عدو كان هو سبب بلاء البلاد وشـقاء وتشتيت مجتمعنا أيدى سبا فتجولنا فى البلاد واعين بقايا ذلك العـدو تنظر الينا فهى نعمة من نعم الله علينا .



أول زيارة لوطننا بعد انهزام العدو

وفى يوم ١٥ من شهر مايو ١٩٤٣ م فيما اتذكر ركبنا سيارة يسوقها الضابط (هربرت) واقلعت بنا من تونس دون توقف حتى وصلنا مدينة (صبراته) وكان وصولنا اليها يوم جمعة وقد طلبنا من الضباط • الوقوف بهذه المدينة • لكى نتصل بالمواطنين فيها لنأخذ فكرة عن وجود البلاد من خارج المدينة نظرا الى أن كلام وتفكير سكان الأرياف فى كل الدنيا أقرب الى الحقيقةالواقعية لانهم يتكلمون علىالطبيعة بدون تزويق عكس ماعليه سكان المدن الكبرى •

وقفنا بصبراته حوالى ساعة وقد اجتمع بنا الكثير من الاخوان ولكنهم كانوا على استعجال اذ انهم يتهيئون لأداء صلاة الجمعة حتى ان أحدهم قال لنا ألا تذهبوا معنا للجمعة حتى نجتمع بكم بعد ذلك اجتماعا مطولا ونحدثكم أكثر • فأجابه الأخ محمد عباس نحن مسافرون ولا جمعة على مسافر والان فى طريقنا الى طرابلس وسنعود أليكم للاجتماع بكم فى يوم اخر لنسمع ماعندكم ان شاء الله •

وفى تلك الحصة القليلة من الوقت اطلعونا على اثار فعلة نكراء هى من الغرابة بمكان • أفراد من المواطنين أطلعونا على أثار كى بالنار فى أيديهم • قالوا ان مدير الناحية اسمه (محمد اليعقوبى) كان يقبض على كل من يتحرش بالايطاليين أو يحاول نهب أرزاقهم أعنى أرزاق الدولة المنهزمة وليس الافراد او يتظاهر بأى عداء لايطاليا • يقبض عليه ويجعل له علامة فى يده هى ذلك (الكى بالنار) على أمل عودة ايطاليا لتكافيه على اخلاصه لها ـ وتقدم مواطنيه الى المحاكمة والقصاص والحجة التى لايمكن التنصل منها هى ذلك الكى •

ولعلى السبب الذى جعله يفعل ذلك هو أن هذه الحكومة عند انهزامها ظهرت للمواطنين بمظهر الناصح المحب فدفعت لهم رواتب ثلاثة اشهر مقدما قائلة لهم أنها ستعود بعد هذه المدة وأوصتهم بالمحافظة على الايطاليين فى هذه الفترة • وكنتيجة للماضى الرهيب فى حكمها أخذ بعض الناس كلامها هذا حقيقة مسلمة • وعلى هذا الاساس تصرف السيد (محمد اليعقوبى) مدير ناحية صبراته فى ذلك العهد • وهذا الرجل قد توفى فى أواخر العهد الماضى من الحكم الملكى المنهار جزاه الله بما يستحق فهو أعلم به •

واصلنا سفرنا الى طرابلس فوصلناها فى وقت متأخر من النهار وقد وقفت بنا السيارة أمام (بنك روما سابقا) : مصرف الامة اليوم • وكنا ثلاثة (محمد محمد عباس ـ محمد خليفه عامر ـ أحمد زارم خليفه) نزلنا من السيارة ووقفنا ننظر الى البلاد كيف تغيرت والى امتداد شارع عمر المختار وميدان الشهداء وكيف توارت المدينة القديمة وراء مبانى هذا الشارع الطويل المرتفعة بالنسبة للقديم ، وهى مناظر حديثة بالنسبة لنا لم يعرفها احد من قبل ذلك اليوم فأصبحنا فى تلك اللحظة (مع الفارق) فى موقف يشبه موقف اصحاب الكهف •

ولقد وجدنا الشوارع خاوية على عروشها فقليلا ماترى مـارا . ذلك أن الناس لايزالون خارج العاصمة بسبب ظروف الحرب . وبينما نحن واقفين فى دهشتناطبقا لما يقال لكل قادم دهشه . اذ مر بنا رجل أبيض اللون طويل القامة خصب الجسم فى أول أيام الكهولة اذ ذاك فيما يبدو يرتدى اللباس العربى المحلى وكان يسير على عجل فى اتجاه ميدان الشهداء . مر هذا الرجل من حذونا وبعد أن تجاوزنا بخطـوات . وقف والتفت الينا . ثم نظر الى بصورة خاصة نظرة فيها شىء من الاهتمام والتعرف . وقد بادلته نفس النظرة فتهىء لى كاننى اعرفه من قبل . فتقدم الينا وقال أأنت أحمد زارم قلت نعم فسلم علينا وحينئذ عرفته أنه « الحاج محمـد يونس الكريكشى » عرفته فى تونس ولم يكن بيننا أكثر من سنة أو سبع سنوات ، ولقد كان هذا الرجل من اهـم مصادرنا عن ظروف الوطن وتصرفات الايطاليين . ولكنها دهشة التقادم .

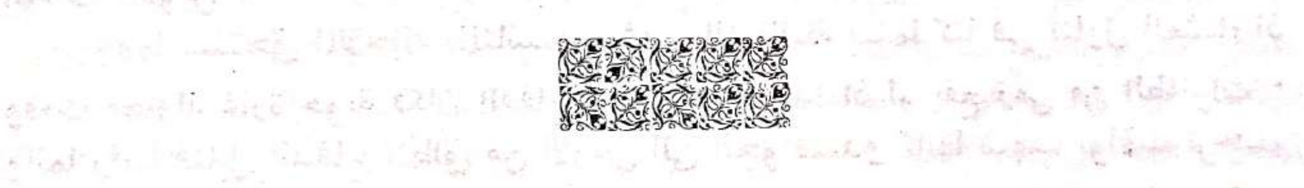
ولقد ودعنا الحاج محمد الكريكشى وواصـل سيره وفى هذه اللحظـة وصـل الضابط هربرت الذى ذهب فى مهمة له . وعند عودته قال انه سيذهب الى المعسـكر ويلتقى بنا فى غد وفى نفس المكان . وعند ذلك قال الاخ محمد خليفة رحمه الله . انه يظن بأنه يعرف منزل (الحاج اسماعيل المبروك) فدخلنا من باب الحـرية ولـكن لم يهتد اليه فأخذنا نسأل من نلقاه حتى وصلنا . ومن حسن الصدف ان وجـدنا الحاج اسماعيل وقد بتنا تلك الليلة بمنزله ، وكانت أول ليـلة لنا فى طرابلس بعـد ذلك الغياب الطويل .

ومما يستحق الملاحظة بالمناسبة ، ففى تلك الليلة بينما كنا فى تناول العشاء اذ وقعت محاولة غارة جوية فكان الدفاع الجوى قويا جدا اذ لم يقع رمى من الطائرات . وأنما رأينا قنابل الدفاع تنطلق من الارض الى الجو فتبدو كأنها شهب ثواقب ترجـم اخوان الشياطين ولم تدم المحاولة طويلا . ومن الغـد اتصـلنا بالحاكم العسـكرى الانجليزى واسمه (لوش . أو . لاش) وهو أول حاكم عسكرى انجليزى . وكان مقره مبنى وزارة الداخلية اليوم وقد بسطنا له موضوع أهالى صبراته ومعاملة مدير الناحية لهم وطالبنا بايقافه عن العمل .

ولقد استغرقت زيارتنا لطرابلس خمسة عشرة يوما . وفى خلالها عقدنا اجتماعا فى « مكتب الفنون والصنائع الاسلامية » ولقد حضر فى هذا الاجتماع اذ ذاك جمـع من الاخوان لا أتذكر منهم اليوم الا خمســة فقط هم : مصطفى ميزران وكان مـديرا للمكتب رحمه الله ـ ومحمد الحاج يونس الكريكشى وكان رئيسا الجمعية الخيرية ـ وأحمد وعلى الفقيه حسن ـ وأحمد الحصائرى ـ وقد تداولنا فى هذا الاجتماع فيما ينبغى ان يطالب به الشعب دائما وعدم الاصغاء الى اى قول من اى جهة غير الاستقلال الكامل الناجز .

وفى هذه المدة ونحن بطرابلس وقعت امامنا حادثتـــان طريفتـــان جـديرتان بالتسجيل . لذا رأيت أن أذكرهما هنا ـ فأحداهما تذكر كموعظة حتى لاينسى الناس

اليوم . ولا يجهل ناس اتغد وما بعده تصرفات الاستعمار ومكـر الاجـانب واذلالهم للشعوب ومرارة التسلط الاجنبي ، والثانية حتى يعلم الناس في الحـال والاستقبال أن عاقبة العقوق الوطني شر مستطير على أصحـابه ـ وخسران مبين وللاخـرة أكثر شرا وأشد خسرانا . ففي خلال الخمسة عشر يوما التى أقمناها في طرابلس في هـذه الزيارة كان من بين من استضافنا اثنين هما : الحاج سالم اندير رحمه الله . والحاج محمد الكريكشي ، ذكرت هذين الاثنين دون غيرهما لان الحادثتين المشار اليهما ترتبطان بضيافتهما .



حادثتان لطيفتان

ففى يوم من تلك الايام الخمسة عشرة التى اقمناها فى طرابلس كان الغداء عند المرحوم « الحاج سالم اندير » فى « سانيته » بشارع الجرابه بسكره • وفى الوقت المحدد أخذنا عربة (كروسه) وكان صاحبها شاب ايطالى وكان واقفا بميدان :(الوسام الذهبى) سابقا • وبهذه المناسبة وللتاريخ أود قبل كتابة صورة الحادثة التى هى الموضوع الأساسى • ان اوضح وضع ذلك الحى وما كان عليه فى سنة ١٩٤٣ م فلقد كان هذا الميدان معبدا بصورة بدائية وابتدا منه تماما الى سانية اندير كانت كل تلك المسافة مكسوة باشجار الهندى فى شبه سياج على جانبى الطريق يمينا وشمالا دون أى فاصل الا الحدود التقليدية بين «سانية واخرى» ولكن هذه الحدود الفاصلة بين السوانى لايعرفها المار لاتصالها ببعضها ولا تتضح الا من الداخل •

وتطل على هذين السياجين من الوراء أشجار متشابكة مختلفة الالوان كثيرة الافنان • ولا أثر للمبانى فيها الا تلك المساكن التقليدية داخل كل (سانية) سكنا لصاحبها تحجبها عن أعين السائر فى الطريق تلك الاشجار • أما الطريق التى تمر بين هذين السياجين من أشجار الهندى ابتدأ من الميدان نفسه الى سانية اندير تراب هو أقرب الى الرمل المتحرك منه الى التراب الراسب • تغوص فيه رجل لانسان فضلا عن العربات والحيوان • ركبنا (الكروسه) ثلاثتنا والضابط • وعندما ركبنا امتقع وجه الايطالى صاحب العربة وظهرت عليه علائم الامتعاض وعدم الرضا بكل وضوح • وقال أنه لايستطيع السير فى هذه الطريق الرملية • ولم يحرك عربته بل وقف فى مكانه •

وسبب استنكافه هذا هو أن الاحتلال الانجليزى لايزال حديثا والايطاليون فى دوامة من أثر الهزيمة وغموض مستقبلهم • وهم لايزالون من جهة أخرى فى أحلامهم الاولى بأنهم أسياد البلاد • كما أنطلت عليهم الحيلة التى استعملتها حكومتهم عند انهزامها كما انطلت على الكثير من مواطنينا العرب فصدقوا ماقالته من أنها ستعود بعد ثلاثة أشهر • قلنا استنكف الايطالى ولم يحرك عربته وتعلل بالرمل • وعندها مال الاخ محمد بن خليفة عليه رحمة الله ، على الضابط هربرت • وأسر له بأن الايطالى لم يكن سبب وقوفه صعوبة الطريق كما يقول وانما فعل ذلك مستنكفا أن يركب معه العرب وعندما فهم الضابط • صاح على الايطالى صيحة شديدة قائلا له : « انت موش كويس انت لسه بتفكر طليانى نمره بتعك» وعندها خشى الايطالى العاقبة وسير عربته حتى أوصلتنا للمكان •

الحادثة الثانية

أما الحادثة الثانية ففى يوم آخر من تلك الايام الخوالى كان الغداء عند « الحاج محمد يونس الكريكشى » وقد كان مسكنه اذ ذاك فى حى (أبى مشماشه) ولقد حضر للغداء معنا من طريق الصدفة شخص من المواطنين الذين أضروا بالوطن وناصروا الاستعمار الايطالى عمليا وأخلصوا له • وله سمعة سيئة عند المواطنين وهو اليوم فى عالم الاموات يقاسى ماقدمت يداه • جزاه الله بما يستحق والله به اعلم وهو (•••)

وبعد خروجنا من محل مضيفنا الحاج محمد جميعا اتجه هذا الشخص الى شانه واتجهنا نحن الثلاثة جميعا مع مضيفنا فى طريقنا الى الميدان . وبعد ان توارى الشخص تساءل الاخ محمد بن خليفه رحمه الله عن هذا الرجل من يكون .. ؟ حيث لم تسبق له معرفة به شخصيا ، فقال له الحاج الكريكشي هذا (...) فتأسف محمد بن خليفه وظهرت عليه علائم الغضب ، وقد وجه لومه ضمنيا وفى أدب الى مضيفنا الحاج محمد الكريكشى اذ انه اقسم بمحرج الايمان ان لو عرف ان هذا هو (فلان) لترك الغداء وغادر المحل ولا يقابله وهذه هى صفة اللوم .



العودة من طرابلس الى تونس

وبعد الخمسة عشرة يوما التى أمضيناها فى طرابلس عدنا الى تونس . وبدانا نرقب تطورات الاحداث وتصرفات الحلفاء واتجاهاتهم فيما يبينونه لمستقبل المستعمرات الايطالية والتى بلادنا هى احداها ، ولقد بدأت التكهنات والمناورات على أساس من المساعى المختلفة تتضارب وتتناقض حول مصير هذه المستعمرات ، ولا يمر يوم الا والاذاعات ووكالات الاخبار والصحف تاتى باخبار جديدة تناقض بعضها البعض .

ولقد كانت جمعيتنا فى هذه الظروف الجاهمة على اقصى ما يكون من القلق والخوف من ألاعيب الاستعمار الذى بدأ يأخذ شكلا جديدا حينما أخذت تنكمش الحرب بسرعة ، وأفكار المستعمرين تتجه بصورة أوضح نحو المغانم ، ولقد كانت الجمعية تسجل بكل يقظة وانتباه كل مايترامى اليها من الاخبار فى موضوع المستعمرات الايطالية ، وفى هذا الجو الغامض المتلبد يبدو أن المساعى الثنائية بدأت ترفع رأسها بوضوح بين ايطاليا وبريطانيا بهدف تقسيم ليبيا واحتفاظ بريطانيا باقليم ((برقة)) وارجاع الحكم الايطالى « لطرابلس » وترك اقليم فزان لفرنسا لدمجه فى الجزائر

ومع هذه البوادر التى اخذت تتراء فى افق سياسة الحلفاء فقد كتبت جريدة ((النهضة)) التونسية اليومية مقالا بقلم الاستاذ محمد ((بالفتح)) المرزوقى مستندا فى كلامه الى معلومات ومصادر لا تخلو من الصحة ، وقد قال الاستاذ المرزوقى فيما كتبه : ((ان مساعى حثيثة وخطيرة تبذل فى الخفاء لتقسيم ليبيا . فعلى الاخوان الطرابلسيين ان ينتبهوا الى ما يدور فى الظلام)) وعلى اثر هذه المعلومات اجتمعت الجمعية ودرست كل ما تجمع لديها حول الموضوع . ونتج عن ذلك أن قررت بالاجماع العمل بسرعة على ارسال أحد أعضائها ليدخل الوطن بطريقة ما . ذلك لان الترخيص لدخول ليبيا غير ممكن فى جهاتنا فى ذلك الظرف . ونحن نريد الوقوف على مايدور فى داخل البلاد من أفكار ومواقف المواطنين أنفسهم حتى يمكن لنا دراسة ما نتحصل عليه لنتخذ على ضوءه موقفنا .

ذلك لان الظروف فى تغير . والاوضاع قد تنقلب عما كانت عليه قبل الهدنة الالمانية الفرنسية ومن المعلوم أن ((الكرات تغير الاتفاقات)) ونحن كما هو معروف كانت اتصالاتنا ومفاهماتنا مع الفرنسيين وقد عرفوا اتجاهاتنا وأهدافنا وتسلموا مطالبنا . كما اننا عرفنا نحن اتجاهاتهم وما يبيتونه . فهم يستعدون للفوز بما يريدون . ونحن نستعد لمجابهة ما نتوقعه منهم والله جلت قدرته وتعالت حكمته يوفق من يشاء .

وكما أشرت فان الهدنة الالمانية الفرنسية لسنة ١٩٤٠ م نسفت كل ما كان قبلها من اتفاقات وتعهدات وقلبت الاوضاع بدءا على عقب بالنسبة لكل ما يتصل بفرنسا من حلفائها . فلابد والحالة هذه من ظهور آراء جديدة ومطامع حديثة نتيجة لانهيار الجيش الفرنسى . رغم ظهور الجنرال « ديجول » بما لديه من قوة يمثل الوجود الفرنسى فى صفوف الحلفاء . الا أنهم اعتبروه عالة عليهم لا يستحق

ما اتفــق عليه مـــع فرنسا قبل الحرب فاخذوا يضعونه فى تحركاتهم الحربية والسياسية ومغانمهم الارضية فى درجة ثانوية على الاكثر .

وكما أن الخلاف الذى نشب بين المهاجرين الليبيين فى مصر جعلنـا نفـكر فى تجديد طريق سيرنا نحن ايضا . لان «السيد ادريس» ومـن انضـم لرائيه من جهة وفريق من الزعماء هم : عون سوف الطاهر المريض ـ احمد التشتيوى رحمهم الله ومن انضم لرايهم من جهة أخرى . نشب هذا الخلاف بسبب تباين النظريات فى طريقة مشاركةالمهاجرين الليبيين فى الحرب بجانب الحلفاء من أجل تحرير الوطن

فالسيد ادريس يرى الاندفاع فى الحرب مع الحلفاء على طـريق الانجليز بدون قيد ولا شرط ولا تحفظات ثقة منه فى الانجليز ـ بينمـا الزعماء الآخـرون يرون لا مشاركة ولا تضحية بالمواطنين فى حرب ضروس الا بضمانات رسمية من طرف الانجليز لمستقبل الوطن وذلك لعدم توفر الثقة لديهم فى الانجليز بناء على المـاضى القريب والبعيد . وحقيقة الاتجاهات اذ ذاك كانت غامضة الا عن عناصر محدودة فى الشرق وفى الغرب لعلها تعلم شيئا من الأسرار فى الموضوع .

قلنا عن ذلك الخلاف الخطير الذى كادت أن تتكلم فيه لغة الرصاص بين المجتمعين وأوشك أن تتطـاير الارواح من اجسادها لولا عنـــاية الله التى حفت القوم والطافه التى عمتهم . فلقد قال لى الأستاذ ((عبد الرحمن دقدق)) فى احدى رسائله الى وأنا فى تونس ، وهو اذ ذاك طالب يدرس فى الازهر وعلى اتصال بعناصر الحـــركة الوطنية فى مصر ، فلقد قال فى رسالته ((... ولقد وصل التوتر بين الفريقـين المجتمعين حده الخطير فى مكان « كذا » شـوهدت فيه الايدى على مقابض المسدسات ولولا وصول قطار السكة الحديدية الذى فرق بين الجموع المتوترة لحدثت مقتـلة فظيعة ولـكن الله ســـلم ..))

ثم ان موقف (اللجنة الطرابلسية) فى مصر هى الاخرى وعلى رأسـها الشيخ ((الطاهر الزاوى) مفتى الجمهـورية العربية الليبية اليـوم . الذى وصـلتنى منـه عدة رسائل ، وكانت مواضـيع رسائله كلها تحـذر من تمكين (السيد ادريس) من الحكم فى البلاد بحجة انه غير صالح لحكم البلاد اطلاقا لانه رجل سلبى ضعيف الارادة لايمكن أن يرجى منه خير للوطن .

وبعد هذا هناك ((جمعية الدفاع عن طرابلس وبرقة)) فى الشام وعلى راسها المغفور له ((بشير السعداوى)) .. وهذا يرى عدم مقاومة ادريس علنا لان ذلك يجعله يرتمى فى احضـــان الانجليز اكثر ممـا هو عليـــه الآن ، بل ولا يتـــورع حتى فى تقسـيم البلاد ومن ورائه الانجليز . وفى ذلك البـلاء المبين . ولذلك يرى رئيس هذه الجمعية أن نعمل عـلى انقاذ البلاد من خطر الاستعمار والوصـــول الى استقلالها باى طريقة . ولنترك الـكلام على ادريس ما أمكن الى أن تحصل البـلاد على استقلالها ويصبح الحكم للشعب وحينئذ تكون الكلمة للشـعب فى شـــكل الحكم وغيره بالطريقة التى تضمن مصالحه وحقوقه .

فلهذه العوامل مجتمعة وغيرها التى سيكون لها تأثيرها على سير قضية الوطن حتما يجب علينا أن نسعى حثيثا وراء معرفة تطوراتها ودراستها دراسة دقيقة بالنسبة لنا نحن فى تونس لكى نتمكن من معرفة الاتجاه الصحيح الذى يجب أن نسير معه ، خصوصا وقد كانت الاتصالات بيننا وبين اخواننا فى الشرق منقطعة فى كامل مدة الحرب • واصبحنا لاندرى فى خلال هذه المدة اذا كانت قد أتت على الاتجاهات السابقة عوامل وأسباب خلقتها ظروف الحرب فتغيرت تماما

فلهذه الاسباب كلها قررت الجمعية تكليف سكرتيرها ((احمد زارم)) بالدخول الى طرابلس بالطريقة التى يختارها • وتنفيذا لذلك أخذت أفكر فى الطريقة التى يمكن استعمالها لاجتياز الحدود فاخترت طريقة التاجر المهرب • وهذه عملية مألوفة كثيرا فى الحدود بين البلدين ولها أنصار وعملاء فعمدت الى شراء مائة كيلو غرام « من الشاشيه : طاقية » من تونس وأرسلتها الى بنقردان حيث سلمت الى شخص معين والتحقت بها بعد ثلاثة أيام •

نزلت فى بنقردان واتصلت بالأخ « أحمد صكح المسراتى » وهو من سكان « بنقردان » ومن خبراء هذا الفن من التجارة • اتفق هذا الأخ مع أحد أفراد « السبابيس » من مجموعة ارصاد الحدود التونسية والقاطنين (بقصر الشوشة) باستمرار اتفق معه لكى يتولى نقلى مع بضاعتى الى الحدود الليبية مقابل أجر معين وفى ليلة مظلمة وبعد العشاء وضعت البضاعة على (حمار) وغادرنا بنقردان على الأرجل وصلنا الى (قصر الشوشة) فى وقت متأخر وبتنا بمحل سكناه حذو (القصر) •

وفى الصباح الباكر قدم لى صاحبى فطور الصبح وهو يتكون من آنية بها ((زميطة)) وطبق من « الجراد اليابس » وعقبهما الشاهى الاحمر • ولست اذكر هذا الفطور تعريضا • كلا والله ذلك لانه شىء طريف وغريب عند شباب اليوم • أما فى الماضى فان هذه الانواع من الاكل مألوفة ومعروفة هنا وهناك •

وبعد اتمام الفطور خرجنا من المحل ووقفنا فى مكان مرتفع وأشار على بالطريق التى ينبغى أن نسلكها بعيدا عن الطريق الرئيسى حتى أصل الى الحدود الليبية والمسافة بين قصر الشوشة ((ورأس جدير)) حوالى ثمانية كيلو متر تقريبا • وقد قال لى أن شخصا ليبيا يدعى « الشيخ أحمد شلغم » يوجد قرب الحد داخل الاراضى الليبية عنده ((قيطون : خيمة)) يقصده الناس فانتظر عنده وستصلك بضاعتك ليلا ان شاء الله •

ولقد انطلقت من هناك مخترقا تلك الوهاد التى تنتشر فيها قليل من الابل والحمير ترعى هنا وهناك • انطلقت فى اتجاه الحدود الليبية متنكبا الطريق الرسمى حتى وصلت الى المبنى ((برأس أجدير)) والمسافة بين هذا المبنى الليبى وخيمة الشيخ أحمد حوالى اثنين ك.م داخل الاراضى الليبية دون أن يكلمنى أحد. وصلت الخيمة وفى الليل وصلت بضاعتى • ومن الغد أجر لى الشيخ أحمد شلغم جملا حمل بضاعتى وانطلقنا انا والجمل وصاحبه بعد الظهر وقطعنا المسافة ستون

ك . م مشيا على الاقدام وصلنا اخر الليل الى مكان يدعى ((الشطبان)) الى الجنوب من مدينة « زوارة)) حيث ان صاحب الجمل من سكانها ، بت تلك الليلة غائصا فى كومة من التبن داخل محل كبير معد لخزنه .

وفى الصباح الباكر قصدت مدينة ((زوارة)) واتصلت بالحاج عبد السلام ابو سهمين واعلمته بوجود البضاعة ومكانها . ولقد قام الحاج عبد السلام ابو سهمين بجميع الاجراءات الخاصة بالترخيص للبضاعة ثم ارسلت الى طرابلس وسلمت للحاج محمد الكريكشى . وبعد ليلتين عند الحاج عبد السلام فى زواره خرجت معه الى باديتها حيث كانت كل عائلته تنتجع فى مكان اسمه « العقيلة » وهناك اجتمعت بمجموعة من الاخوان الزواريين وسمعت الكثير من احاديثهم البريئة في مختلف الشئون اذ كانت احاديثهم فيما بينهم وعلى الطبيعة لا تزويق ولا تنميق . وقد خرجت معهم يوما للصيد على ظهور الخيل . ولقد كانت ايام جميلة ـ على الرغم من وضعى الشاذ . فلقد كنت فى شكل المساكين وزى المعدمين . لباس رث وحذاء مهلهل وعيون تنظر وفاه مغلق وفى سكون الغريب وهدوء الساذج وموقف المجهول من الجميع . الا الحاج عبد السلام ابو سهمين .

حكاية طريفة

وفى خلال تلك الايام التى تربو عن الخمسة فى بادية ((زوارة)) وهى أيام جميلة ـ أقول جميلة رغم ماعليه مظهرى المصطنع ذلك المظهر الذى جعل منى شخص لايهتم به ولا ينظر اليه الا كسائل رمت به الحاجة الضرورية . وفى تلك الحالة تذكرت قول الشاعر العربى عندما قال :ـ

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا

تجاهلت حتى قيل انى جاهل ..

خصوصا عندما تحركت فى يوم من تلك الايام فى الحاج « خالد ابو سهمين)) شقيق الحاج عبد السلام غريزة حب الاطلاع واكتشاف المجهول . فلقد سأل الاول الثانى بطريقة خاصة قائلا له : « لمن هذا اللى جايبه معاك » .. ؟ فقال له الحاج عبد السلام هذا صاحبى ـ فنظر له الحاج خالد نظرة فيها عتاب وقال له : (مالقيتش من اتصاحب فى الدنيا غير هالشكل)) فاجابه الحاج عبد السلام بلهجة كلها جد بقوله : « موش شغلك)) .

وبعد رجوعى الى الوطن فى سنة ١٩٤٨ وقيام « المؤتمر الوطنى العام)) وقد كنت فيه الشخص الثانى بعد وفاة المرحوم الطاهر المريض من الناحية العملية . وقد كنا فى يوم من الايام من سنة ١٩٥٠ فيما اتذكر مجموعة من الاخوان فى محل تجارة الحاج خالد ابو سهمين فى شارع الرشيد بطرابلس وبينما نحن فى تبادل الكلام فى موضوع الوقت اذ قاطعنا الحاج خالد . قائلا : « بالله سامحونى يا جماعة)) فسكت الجميع وعندها وجه كلامه الى وقال : « اسألك بالله انت اللى جيتنا هاك العام امجرتل زى الدرويش .. ؟)) قلت لا ادرى أعرف أنت . فقال : والله لولا اننى عرفت ثم تاكدت من الغير ما انصدق اللى انت هو ، واخذ يحكى للجماعة القصة كلها .

المــوقف المفاجىء :ـ

بعد تلك الايام فى البادية عدنا الى مدينة زوارة .. ومن الغد خرجنا الى ميدان السوق استعدادا لركوب السيارة للسـفر الى طرابلس وبعدما ركبت وركب الناس انصرف الحاج عبد السلام لشأنه وبينما السيارة مكتظة وهى مزمعة التحرك صعـد اليها ضابط انجليزى وأخذ يتفرس فى الوجـوه بدقة واهتمـام . ودون ما سـبب معروف .. ودون جميع من فى السيارة تقـدم الى الضابط وأخـذ يتفرس فى وجهى « فقلت فى نفسى ياساتر لا تكشف » وبدأ يسألنى .. انت اتيا من تونس . . ؟ قلت نعم قال متى قدمت .. ؟ قلت منذ عام مضى . وقال ما اسمك .. ؟ قلت : أحمد دون ان اذكر اللقب قال (كبيلة بتعك ..؟) قلت : من الرحيبـات . قال أين ذاهب ..؟ قلت الى طرابلس .. قال ماذا تفعل فى طرابلس .. ؟ قلت لاعود الى الرحيبات من هناك لعدم وجود الواسطة من هنا .

ولقد حرت فى الامر لمـاذا يقصدنى دون الجميع ولكننى رغـم المفاجأة تجلدت وأجبته على كل السـؤالات بصورة طبيعية ولهجة عادية . وبعـدما انتهى الضـابط ونزل من السـيارة قال لى رجـل من الركاب الذين هـم فى السيارة : لا يهمك أمره فانه يبحث عن شخص ارتكب جريمة واختفى . من أيام ماضية . وبعد أن نزل الضابط أقلعت بنا السيارة وصلنا الى طرابلس وفى نفس اليوم اتصلت بالحاج محمد الكريكشى وعلمت منه بوصول البضاعة سالمة .

كيف وجدت الجو فى ليبيا

بقيت فى طرابلس عدة ايام اتصلت من خلالها بالعديد من الاخوان من مختلف الطبقات والجهات وسمعت الكثير من الاقوال والتكهنات والاراء وعلمت بل ولمست أن السموم الاستعمارية آخذة فى الانتشار مركزة جهودها بصورة خاصة على الجزء الشرقى من الوطن حتى لقد أصبح الاتجاه فى الجزء الغربى عكسه فى الجزء الشرقى فالاختلافات أساسية ليست فى الوسيلة ولكنها فى الجوهر والغاية

ولقد يتضح جليا من التصرفات الجارية وكل الامور أن الحالة السائدة تنذر بخطر مخيف على مستقبل الوطن . فلقد كانت الأدلة قائمة والحجج واضحة على ذلك التخوف . فالاجراءات والمعاملات على الصعيد الرسمى وشبه الرسمى كانت غير طبيعية بل هى استفزازية متنمرة ولقد كادت أن تنتشر تلك التصرفات حتى فى عامة الشعب البرىء ، فالحدود بين الجهتين قائمة وتكاد تكون مغلقة والعراقيل قائمة فى كل مسافة . والمعاملة فيها جافة بل مثيرة وأحيانا شديدة فلاأثر للاخوة فيها .

وأصوات الوحدويين المخلصين فى الجزء الشرقى آخذة فى الاختفاء بسبب الرغبة او الرهبة ومنها من نكص على عقبيه علنا ارضاء للمستعمر وعملائه ولم يبق الا أفذاذ يتظاهرون بأرائهم رغم الضغط المسلط عليهم بمختلف الطرق ، وأصبح اجتياز الحدود المصرية مثلا أخف أتعابا واحسن معاملة من الحدود التى أقامها الاستعمار الانجليزى بين أجزاء البلاد . والحدود التونسية أقل اشكالا وأكثر تسامحا من حدودنا الداخلية المصطنعة . والبضائع يمنع انتقالها من الشرق الى الغرب من نفس الوطن . والنقود المتداولة فى جزء من الوطن غير المستعملة فى الجزء الاخر .. والمحتل واحد .

هذه هى الحالة والاوضاع فى الوطن اذ ذاك ، وهذه هى السموم الاستعمارية التى أخذت تتحرك وتغزو النفوس وتسيطر على الضمائر الخربة على طريق العملاء الذين يقدمون مصلحتهم الخاصة ذات العمر المحدود جدا على مصلحة الوطن والمواطنين الدائمة حرصا على الوصول الى الكراسى التى يلوح لهم بها المستعمر أكثر من حرصهم على مصلحة وطنهم ومواطنيهم فضلا عن مصلحة أمتهم كأمة لغوية ودينية وعرقية ومصلحية تجمعهم بها كل هذه الوشائج ولكنهم جعلوها وراء ظهورهم

عناصر معدودة حاصرت العاملين المخلصين لخير الوطن هنا وهناك فافسدت الجو وأضاعت حقيقة الاستقلال . مع أن المعروف لدى الجميع وماعرفته أنا شخصيا أن الشعب فى كل أنحاء الوطن شعب طيب الاعراق سليم الوجدان طاهر الضمير تجيش فى نفسه عواطف الاخوة والمحبة . ولكن خبث الاستعمار الانجليزى واستخذاء عناصر غير قليلة من شعبنا أقول بكل أسف : من شعبنا ، هذه العناصر باعت الضمائر (وهى الغالية التى لاتباع) بثمن لايساوى رغيف من الخبز المر

«او الخبز المسموم على حد تعبير الاخوان الجزائريين فى مناسبة وقعت أبان ثورتهم المظفرة» وهذا الثمن على تفاهته سيدفع لهم من عرق شعبهم وخيرات بلادهم وليس من أموال الاستعمار هذه العناصر المتردية فى حضيــــض الطمع وهاوية المذلة والتى آلفت من قبل تحمل الاذى والرقاد على القذى كادت أن تقضى على تلك الاوصاف الجميـــلة الكامنة فى جوهر هذا الشعب العريق فى عروبته المتمسك باسلامه بواسطة حراب الاستعمار هذه العناصر المتردية فى حضيض الطمع وهاوية المذلة والتى آلفت من الاموات جزاهم الله جميعا بما يستحقون فهو أعلم بهم وبما يستحقون .

العودة الى تونس واجتماع الجمعية

هذه هى المهمة التى جئت الى طرابلس من اجلها ، وبعد الوقوف على ما تقدم ذكره من الاحوال السائدة فى الوطن عدت الى تونس احمل الى الاخوان هذه المعلومات التى تمثل بوادر مخيفة تنتج عنها مشاكل عويصة وخطيرة على مستقبل الشعب . وبعد أيام من وصولى أعددت تقريرا عن كل مارأيته وسمعته واستنتجته وعلى أثر ذلك اجتمعت الجمعية لدراسة ما تضمنه التقرير . وما تجمع لديها من الاخبار . ولقد اجتمعت فى شهر يونية من سنة ١٩٤٦ م وبعد استعراض الاوضاع والمداولة قرر المجتمعون شيئين اثنين وهما :

١ ـ رفع مذكرة الى قيادة الحلفاء بشأن ماوصلت اليه الحالة فىالوطن الليبى

٢ ـ تشكيل وفد لمقابلة السفارة الامريكية بتونس بشأن مستقبل بلادنا .

حرر التقرير وترجم الى اللغة الفرنسية وأرسلت صورتين منه احداها للقائد الامريكى وأخرى للقائد الانجليزى فى الجزائر . ومن جملة ما حواه التقرير المطالبة بسحب الجيوش من كافة البلاد الليبية الا ما هو ضرورى لحفظ الامن وأشار التقرير الى بعض الاسباب الموجبة لهذا الطلب منها الفساد الذى حدث ويحدث فى البلاد من طرف الجنود .

وضرب مثلا على ذلك وهو أن ابواب البيوت قد انتزعت من أماكنها من طرف الجنود ووصلت الى تونس وبيعت هناك . ولقد شاهدنا ذلك مشاهدة العين وهذا نوع من التخريب يدل على وقوع أشياء أخرى . كما أن كثيرا من الحوادث وقعت وتقع بين الشعب والجيش بسبب الخمرة ونشوة الانتصار وكثرة الجيوش . فلهذه الاسباب وغيرها وللابقاء على راحة البلاد وعلى سمعة الحلفاء واجتنابا للمنغصات التى قد تتطور الى كراهية متزايدة تؤدى الى تصادم بين الجيش والعناصر الغير مسئولة . وقد تؤدى هذه الى اضطرابات عامة تشمل الشعب بأكمله .

لذلك نطالب بالحاح العمل على سحب المزيد من الجيش .. ولقد أرسل التقرير ولكننا لم نتلق عليه أى جواب من الطرفين .. كما تشكل وفد من أربعة أعضاء هم فيما أتذكر ـ محمد عباس ـ محمد بن خليفة ـ نور الدين شميلة ـ أحمد زارم ـ وقد اتصل هذا الوفد بالسفارة الامريكية بتونس للدخول معها فى أحاديث حول مستقبل الوطن الليبى واستطلاع ماعسى أن يبدر من خلال المحادثات

وفى شهر أكتوبر ١٩٤٦ فيما أتذكر استقبل هذا الوفد من طرف السفارة الامريكية بتونس وقد كان حديثنا مع السفارة فى هذا الاجتماع يدور كله حول مستقبل المستعمرات الايطالية ثم تركز الكلام بصورة خاصة فى موضوع اشاعة اعادة الحكم الايطالى الى ليبيا وعلى التحديد اقليم طرابلس الغرب الذى كانت تحوم حوله مطامع ايطاليا واضحة كل الوضوح وفى هذه المقابلة شرحنا للسفارة موقفنا بجانب الحلفاء ومشاركتنا الفعلية لهم فى الحرب وان مشاركتنا هذه وان كانت بالنسبة للموقف ولقوات الحلفاء والمحور تعتبر شيئا ضئيلا جدا الا انه من الناحية

المعنوية . ومن ناحية البرهان على صدق عزيمتنا واندفاعنا فى اخلاص وتصميم لا تترك مجالا لشك فى موقفنا .

لذلك كله فان الواجب الادبى والانسانى يفرضان على الحلفاء معاملة شعبنا بقدر الثقة التى برهن عليها فى جانبهم . وفى استطاعتنا ان نؤكد بأن شعبنا سوف لم ولن يرضى بعودة النفوذ الايطالى الى بلاده على أى مستوى كان وبأى أسم سمى واننا نرى انه من الواجب علينا لمصلحتنا ولمصلحة الجميع ان نصارحكم فى الوقت المناسب وهو الان . نصارحكم بان جميع منضماتنا فى الخارج وجميع عناصر شعبنا فى الداخل والخارج قد عولت بكل جد وتصميم على مقاومة اى محاولة تعمل على ارجاع النفوذ الايطالى مهما كانت التضحيات والنتائج التى تترتب على ذلك .

وفى هذه الحالة فاننا ندرك جيدا مدى الاتعاب والاضرار الفادحة التى سوف يتعرض لها شعبنا ولكن هذه الاتعاب والاضرار فبقدر ماهى صفحة بيضاء ناطقة بالفخر والاعتزاز فى منعطف من منعطفات تاريخنا توحى الى أجيالنا المقبلة والعالم أجمع ما لشعبنا من حب الفدى وكرم التضحية فى سبيل العزة والكرامة والحرية فهى فى الوقت نفسه ستكون نقطة سوداء حالكة فى تاريخ الحلفاء . ان هم وافقوا على عودة الاستعمار الايطالى او تساهلوا فيه ويسجل عليهم التاريخ بأنهم قابلوا الحسنة بالسيئة .

وفى آخر المحادثات قال لنا السفير الامريكى انه سيبلغ كلامنا هذا كاملا وبكل أمانة الى جهات الاختصاص .

وفى خلال هذه السنة . سنة ١٩٤٦ م كان قد عاد الاخوان : محمد محمد عباس ـ ومحمد خليفة ـ الى الوطن نهائياً .

مقابلتي للوفــد الامــريكي

في لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية

وفي أواخر سنة ١٩٤٧ م فيما أتذكر وعلى غير انتظار تلقيت من موزع البريد « كانت » هي استدعاء من طرف السفارة الامريكية بتونس ، وكان الاستدعاء باسمي الخاص دونما اشارة للجمعية . ذهبت الى السفارة المذكورة في الوقت المحدد وصلت السفارة فوجدت مجموعة من بينها وجهان لم اعرفهما من قبل في مجموعة هذه السفارة . وقد عرفت أحدهما فيما بعد عند حلول هذه اللجنة في ليبيا سنة ١٩٤٨ . انه رئيس الوفد الامريكي في لجنة الاستفتاء الرباعية الدولية . كما أن السؤالات التي دارت بيننا كانت نفس الصفة والمعاني التي استعملت في ليبيا من طرف اللجنة المذكورة . الا أن مادار بيننا في السفارة بتونس كان اكثر عمقا وأوسع صفة . . وفيما يلي نص السؤالات والاجوبة بالضبط : ـ

س ـ في نظركم من هي الشخصية التي تختارونها تحكم بلادكم سواء أكان ذلك ملكا أم رئيسا ؟

ج ـ مسألة اختيار الشخصية الحاكمة أو شكل الحكم فهذان أمران لا يمكن لشخص واحد أن يختارهما خصوصا من كان مثلي بعيدا عن الوطن ولا يعرف له اتجاها في الوقت الحاضر . . ولذلك فانني لا أستطيع الاجابة على هذا السؤال .

س ـ أليس لكم منظمات سياسية وعلى اتصال ببعضكم ولكم برامج عن واتجاهات لمستقبل بلادكم تسيرون عليها وتعملون لتحقيقها منذ أمد بعيد . ؟

ج ـ هذا صحيح ولكن ظروف الحرب حالت بيننا وقد انقطعت أخبارنا عن بعضنا الا قليلا . . والحرب من شانها تغيير كل شيء ونحن الان ننتظر فرصة الاتصال ببعضنا لتصحيح أوضاعنا طبقا للظروف والمستقبل .

س ـ هناك أربعة أوضاع نود منك أن تختار واحدا منها وهي : وصاية فردية ـ وصاية ثنائية ـ ووصاية جماعية ـ وصاية دولية . .؟

ج ـ نحن نريد الاستقلال ولا نرضى بغيره ولا نختار عليه أى وضع اخر . كفانا ما قاسيناه من الويلات سنين طويلة .

س ـ واذا لم يكن الاستقلال فماذا تختار من هذه الاربعة أوضاع .؟

ج ـ ففي هذه الحالة للقوى أن يفعل ما يشاء . وللضعيف أن يتدبر أمره ويفكر في مستقبله ويتخذ طريقة متوكلا على ربه وكفى .

س ـ لا . . نحن لا نعني عدم الحصول على الاستقلال ولكنه مجرد فرض لكي نعرف التفاضل بين هذه الاوضاع بالترتيب الاول فالاول الخ . . مع اعتبارنا انكم مصرون على الاستقلال ولا ترضون به بديلا فهل من الممكن أن تبين لنا ذلك .؟

ج ـ أقول لكم ذلك ولكن كفكرة شخصية .. ومع ذلك لا تأخذوها على حجة فى هذا الامر .. فقال : طيب . قلت : الوصاية الفردية اختار مصر ـ واذا كانت جماعية أختار الجامعة العربية .. وهى مجموعة من الدول ـ واذا كانت دولية فاختار هيئة الأمم المتحدة مباشرة .

س ـ عندما تكلمت على الوصاية الفردية فلماذا اخترت «مصر» دون غيرها واذا لم تكن مصر فأى دوله غيرها تختار . ؟

ج ـ لم يمكن لى ما اختار بعد هذا اذا كان الامر اختياريا .

س ـ هناك ثلاث دول وهى : دول الحلفاء فلماذا لا تختار منها . ؟

ج ـ هذه دول استعمارية ونحن مللنا من الاستعمار . ولا استطيع أن أفرق بينها ولا أختار منها فهى فى نظرى فى درجة واحدة .

س ـ اذن لماذا اخترت مصر ؟

وهنا عند هذا السؤال وقفت قليلا افكر ماذا أقول .. فبادرنى مترجم السفارة بقوله : (قل لأنهم مسلمون) وعلى الفور قلت لا .. ليس هذا هو الدافع فلو كان هذا هو الدافع لاخترت تركيا وهى أمة مسلمة وأكثر تقدما من مصر . ولكننى اخترت مصر من أجل آمالنا واحدة وعوائدنا واحدة وأراضينا مختلطة .. وفوق كل ذلك . مسألة التعليم فالذى نستطيع ان نتعلمه بأية لغة أجنبية فى عشر سنوات يمكن أن نتعلمه بلغتنا فى ست سنوات مثلا وهذه هى الدوافع الحقيقية لاختيارى مصر .

وبعد ذلك ولما كان قد عاد الاخوان ((محمد عباس ـ ومحمد خليفة)) الى الوطن نهائيا كما تقدم فقد أصبحت الجمعية فى نقص واضح خصوصا وان الاخوين المذكورين هما عنصران قويان فيها ولما كانت الحالة فى الوطن كما تقدم وصفها والتى يستنتج منها بل يتضح تماما وجود مساع استعمارية على غاية من الخطورة .. مساع تعمل حثيثا وبطريقة غير مباشرة لتفتيت شمل الشعب وتقسيم البلاد بتأليب المواطنين على بعضهم ليتاح للاجنبى جو السيطرة على الجميع .

آخر اجتماع للجمعية وفيه

وقع تبديل اسمها « الوحدة الليبية »

نظرا الى ماتقدم فقد رأوا أعضاء الجمعية الدعوة الى اجتماع عاجل لبحث الأوضاع وتحديد الموقف وتسديد النقص الذى حدث بسبب عودة الاخوان الى الوطن ، ولقد اجتمعت الجمعية فى أواخر سنة ١٩٤٧ م وفى هذا الاجتماع تقرر تغيير اسم الجمعية من ((جمعية التوادد والتعاضد بين المهاجرين المسلمين)) . الى « جمعية الوحدة الليبية)) وفى هذا الاسم جواب غير مباشر او هو معارضة غير صريحة على تلك المساعى والحركات الاستعمارية التى تهدف الى تقسيم البلاد للفوز بقسم منها يختاره الغالب لنفسه ثم التكرم بالقسم الثانى على عدوه الذى كان يحاربه . !!

فهذه المساعى الاستعمارية قد أوجدت من بين الشعب عناصر ذات عقول مريضة رضيت بمثل تلك الخيانة العظمى .. وجعلت منها تربة صالحة لنمو مساعيها الرهيبة .. فانحطت ضمائرها الى حضيض المهانة ومرغت فى الوحل ..

وفى هذا الاجتماع اختير الاستاذ ((محمد غالب الكيب العلاقى)) رئيسا للجمعية والاخ « عمر مالك)) أمينا لماليتها .. والاستاذ ((محمد غالب)) رحمه الله شخصية وطنية صادقة مخلصة وعلى جانب من الثقافة العربية وخريج المدرسة الحربية »باستانبول« وله مباد باللغتين الايطالية والفرنسية وهو ضابط برتبة ملازم ثانى .. وقد كان من ضباط الجهاد . ولما تغلب العتاد الايطالى على المجاهدين هاجر الى تونس وبقى بها حتى انهزام ايطاليا . ثم عاد الى الوطن وعاش بين أهله عدة سنوات وتوفى فى بلده ((صبراتة)) رحمه الله .

وبعد هذا التجديد فى هيكل الجمعية سارت فى عملها مترصدة أخبار التحركات السياسية الدولية فى موضوع مستقبل المستعمرات الايطالية بصورة رئيسية . وفى مارس سنة ١٩٤٧ فيما أتذكر وصلتنا برقية من (القاهرة) تفيد أن هيئة تشكلت فى مصر قوامها زعماء ليبيون مهاجرون وقد أطلق عليها اسم : ((هيئة تحرير ليبيا)) برئاسة المغفور له « البشير السعداوى)) وعضوية كل من الطاهر المريض - واحمد الشتيوى السويحلى - ومنصور بن قدارة - رحمهم الله جميعا .. ولقد كان هذا التشكيل بمعرفة ومساعدة الجامعة العربية والحكومة المصرية ..

وفى نفس الوقت الذى وصلنا فيه خبر تشكيل هذه الهيئة اجتمعت هيئة جمعيتنا فى تونس وبعد دراسة الموضوع من كل جوانبه واستعراض العناصر التى تشكلت منها ((هيئة تحرير ليبيا)) على ضوء الماضى قرر المجتمعون الموافقة عليها وتأييدها .. وأبرقنا بذلك اليها . وفى يناير من سنة ١٩٤٨ م تأكد لدينا من مصادر موثوق بها . بأن لجنة رباعية دولية للاستفتاء ستحل قريبا فى ليبيا لاستفتاء السكان فى اختيار تقرير مصيرهم .

وبعد أيام من هذه المعلومات سافر ((الأخ عمر مالك)) من تونس الى طرابلس ملتحقا بالاخوان الذين سبقوه الى الوطن وفى اول يوم من شهر يناير من سنة ١٩٤٨م غادرت أنا تونس ملتحقا بالاخوان فى ليبيا ولقد كان هذا التسلل فى العودة الى الوطن باتفاق هيئة الجمعية حتى يصل عدة أفراد منا الى ليبيا قبل وصول اللجنة الدولية اليها .. وذلك للوقوف على الحالة فى البلاد وتطورات الافكار وتعزيز جانب العناصر الوطنية المخلصة لتهيئة أفكار الشعب لمقابلة لجنة الاستفتاء الرباعية بما يجب أن تقابل به من المطالب فى عبارات منسقة ومحدودة حتى لايقع التلاعب بمستقبل بلادنا وانحرافها نحو أهداف الاستعمار بواسطة تلك العناصر المستخذيه التى بدأت تزرع سمومها حسبما يوحى اليها بين عامة الشعب .

ركبت السيارة من تونس ووصلت بنا الى حيث ملتقى أرضين عربيتين ـ طرابلس ـ وتونس ـ وفى رأس اجدير بالضبط حيث الحد الفاصل بين هذين البلدين وقفت بنا السيارة لاجراء العمليات الجمركية .. وفى نفس اللحظة وقفت السيارة القادمة من طرابلس وكانت مشحونة بالركاب وهى فى طريقها الى تونس . فنظرت اليها فاذا بالأخ (عمر مالك) داخلها بين المتجهين الى تونس فكانت مفاجأة بالنسبة لى عمر مالك الذى عاد الى الوطن من أمد قريب على أمل البقاء فيه والعمل فيما عاد من أجله .. اذ به يعود الى تونس .. !!

فاندفعت نحوه فى حيرة وقلق وسألته من خارج السيارة : « ايه الحكاية ياعمر ؟ » فأجابنى بجملة مقتضبة : « ها هو لنكليز طردونا ياسيدى » فقلت فى نفسى هذه بداية الصراع وأرجو الله الاعانة والتوفيق .. وبعد اتمام الاجراءات الجمركية تحركت بنا السيارة .. وصلنا طرابلس وبعد أيام من وجودى فيها عرفت تعدد الاحزاب بصورة غير مرضية حتى لقد توجست خيفة فى نفسى من ذلك لان التعدد تشتم منه رائحة الانانية قاتلها الله .. وحب الظهور ولو شكليا وليس هذا وحسب ولكن ..
ولكن يفهم منه أيضا أن الذين يقدمون على ذلك التعدد فى ظروف كتلك الظروف يتضح جليا انهم لايشعرون بخطورة الموقف وثقل المسئولية .. أو كأنهم يقصدون من عملهم ذلك أنهم يقولون للمحتل ها نحن هنا فلا تنسى وجودنا .. ولهذه الاسباب كلها صممت على البقاء مستقلا عن الاحزاب .. كل الأحزاب .. وأكون معينا بكل جد واخلاص لأى عمل وطنى مخلص أيا كان مصدره حسب فهمى واجتهادى .

وفعلا بقيت مدة لاأنتمى لأى جهة من تلك الجهات الحزبية التى بلغ تعدادها سبعة أحزاب فى اقليم طرابلس الذى لا يتجاوز عدد سكانه مليون نسمة اذ ذاك هذا خلاف ما يوجد منها فى اقليمى ـ برقة ـ وفزان ـ وفى بحر المدة التى قضيتها فى طرابلس قبل مجيء ((هيئة تحرير ليبيا)) أخذت فى الاتصال ببعض جهات الدواخل فى مناسبات الاسواق وغيرها لكى أعرف مايدور على مايدور على ألسنة المواطنين على الطبيعة هذه هى أعمالى فى تلك المدة الاولى .

وبما انني حديث العهد بالبلاد فمعارفي من الناس فيها كانت قليلة ، لذلك فقد كنت كثير التردد على الحاج محمد يونس الدريكشي في مكتبه بسوق الربع لتمضية الوقت .. ولقد كان يجذبني اليه سببان اثنان هما :

أولا ـ هو انني كنت أعرفه من قبل اذ قد تعرفت اليه منذ سنة ١٩٣٦ م في تونس .. والشيء الثاني هو ما عرفته فيه من الاحساس الوطني والشعور القومي من قبل لايزال كما كان في رأيه وتفكيره عندما جئت الى طرابلس سنة ١٩٤٨ م فلذلك اطمئننت له ومع ذلك فهو يجلس معه ويتردد عليه الكثير من المواطنين من مختلف النزعات الفكرية والاتجاهات السياسية والمبادىء الحزبية ولقد وجدت في ذلك فرصة مناسبة للتعرف على الكثير من شباب ذلك الزمن والاطلاع على الافكار .. ولا غرو فان غيابنا عن البلاد كان يمتد الى ربع قرن وهذا جيل جديد .

انتسابى الى الجبهة الوطنية المتحدة بطرابلس

ففى يوم من أيام وجودى فى طرابلس من تلك الايام الخوالى بينما كنت كعادتى جالسا بمكتب ((الحاج محمد الكريكشى)) واذا برجل لا أعرفه وقف أمامنا وأفشى السلام .. ثم ناولنى ورقة مطوية وبدون ظرف .. ثم انصرف الرجل لشأنه ولما فتحت الورقة فوجدتها مرسلة من قبل المرحوم « الطاهر أحمد المريض » وفيها يطلب منى موافاته فى الحال الى مركز ((الجبهة الوطنية المتحدة)) بشارع عمر المختار لامر هام .

ولقد ترددت كثيرا أن أذهب اليه ولم يكن ذلك لشخصه كلا . وانما قد توقعت بأنه سيطلب منى الانتساب الى الجبهة .. وأنا كما ذكرت عولت على عدم الانضمام لأى جهة حزبية وليس هذا الموقف أى التردد فى اجابة طلب الطاهر المريض ناشئا عن أسباب تعدد الاحزاب كما ذكرت من قبل وحسب .. وانما هناك أشياء أخرى هى أكبر مانعا لدى . وهذه الاشياء هى وجود عناصر معينة معروفة لا يمكن لى العمل معها ولا الاطمئنان لها بالنظر الى ماضيها وحاضرها وما تهدف اليه فى سرها .

من أجل ذلك ترددت كثيرا فى الذهاب اليه كما قلت غير أن الحاج محمد الكريكشى خالفنى فى الموقف اذ طلب منى تلبية النداء قائلا : ان الواجب يفرض عليك الاتصال به ومقابلته .. وحتى لو كان الامر كما تبادر اليك فهو ليس بمانع .. فان القبول وعدمه لم يكن مرتبطا بالمقابلة .. ولقد اقتنعت بهذا الرأى وتوجهت الى « مركز الجبهة الوطنية المتحدة » بشارع عمر المختار بناية بن زقلام .. وفيها وجدت الطاهر المريض ـ ومحمد ابو الاسعاد العالم ـ رحمهما الله .. واحمد عون سوف .

جلسنا فى أحد مكاتب الجبهة .. وبعد مقدمة من الكلام عن أحوال الاخوان فى تونس وأوضاعهم .. فاتحونى برغبتهم فى انتسابى الى الجبهة معهم ـ أو هى هيئة التحرير التى حلت محل الجبهة .. فأجبتهم : بأننى مع كل عامل مخلص ولكننى عزمت على البقاء خارج الاحزاب الا أن الجماعة لم يقنعهم كلامى هذا وطالبوا بالحاح قبولى الانتساب بطريقة رسمية ولقد استمر الاخذ والرد .. فقال المرحوم الطاهر المريض : أظن أن لك شيئا فى نفسك ولا تريد مصارحتنا به ولعله هو المانع الوحيد فقلت لا ـ لا شىء ..

سكت قليلا يفكر ثم التفت الى يمينه حيث كان يجلس « المفتى » وقال هل تسمح لنا يافضيلة الشيخ انت واحمد بك بالانفراد لحظة .. ونهض الشيخ المفتى ـ وأحمد عون سوف ـ وانتقلا الى مكتب آخر .. ثم نهض الطاهر المريض وأوصد الباب وعاد فاستقر مكانه وطلب منى ابداء الاسباب المانعة فقلت ان هذه الاسباب تهمنى أنا وفى اخراجها احراج للغير ، وهى قد لاتهم غيرى مادام هذا الغير لايشعر بها تلقائيا ولذلك فأنا لاأود التصريح بها .

وعلى هذا أرجو أن تتركونى بعيدا عن جو الاحزاب .. وأنا على كل حال معكم وتحت طلبكم ما دمتم ... فقال الطاهر ليس هذا الذى أريده منك « يافلان » فأنا أريد ان توضح لى الاسباب المانعة لك من الانتقاء معنا داخل نظام الجبهة « والحديث بالامانات » وعسى أن يكون ما تفكر فيه هو مجرد ظنون . أو اعتمادا على أقوال كاذبة أو مواطن جاهل .. فقلت له : لقد أحرجتنى يا طاهر بك كلامى سوف يغضب بعض الناس وقد يغضبك انت نفسك فقال تكلم بصراحة فقلت أقول الحق فأنا مع احترامى لجماعة الجبهة كأشخاص الا اننى أرى بينهم عناصر مختلفة الاهداف متعاكسة الغايات وما تخفيه نفوسهم أفظع . انهم مزيج من العناصر تشكل خطرا على مستقبل البلاد .. ولقد زاد الطين بله وجود عنصر من هذه العناصر هو أشد عداوة لنا ولقوميتنا ذلك هو : اليهودى « زاكينو حبيب » الذى يحتل مكانه بين عناصر الجبهة كعضو بارز فيها .

أفى مثل هذا الجو .. وهذا الخليط المريب تطلب منى يا طاهر بك . أن أعمل .. ؟ ! أقول الحق أننى لا أستطيع العمل مع مزيج لا أطمئن اليه وجو لا ثقة لى فيه . . ولا أنسجم معه . . منذ فهمت الوضع وأنا أفكر ما هو السر فى هذا التكوين . وما هو السر فى سكوتكم عليه ورضائكم به . الامر الذى يجعلنى أشك حتى فيمن أحسن الظن فيه .. وعندئذ وضع يده على جبهته وأطرق برأسه هنيهة ثم رفعه .. وقال : انك والله لقد أصبت فيما قلت .. غير انه من الحكمة والانصاف لا ينبغى لك أن تسىء الظن بالكل « فالحكم على الشىء فرع من تصوره » وصدقنى اننى منذ مدة وأنا أفكر فى الامر غير أن الفرصة لم تسنح بعد .

ومن جهة أخرى يجب أن لاتنسى اننا لما عدنا الى ارض الوطن وجدنا هذه الجبهة قائمة على هذه العناصر نفسها ولذلك فلا نستطيع والحالة هذه تصفيتها الا بعد المخالطة ومعرفة جوانب القوة والضعف فيها حتى نعرف من اين نبدأ . أما الآن وقد مرت هذه المرحلة واتضح لدينا كل شىء فنحن على استعداد للتصفية . . ولهذا نود ان تدخل معنا انت وغيرك من الاخوان المخلصين لكى نستطيع ان نتحرك فى قوة واطمئنان لمجابهة العناصر المنحرفة .

هذا واننى أعاهدك اذا قبلت فاننى قبل مضى أسبوع واحد من انسحابى سأرسل الى هـذه العناصر التى تعنيها اقالاتها من الجبهة .. وأنا اذ أعاهدك بذلك فاننى أعنى ماأقول .. وعلى هـذا الأساس قبلت طلبهـم بخصوص ثلاثة عنـاصر معينيـن وفعلا فلقد أبر الطاهر المريض بوعـده . ففى اليوم الرابع من انسحـابى أرسلت الاقالات الى العناصر المقصودة ولنترك ذكر الاسمـاء حتى يحين وقتـه .. وعـلى كل أقول بأنها قد بقيت بيننا عناصر كثيرة موبوءة ولكنها دقيقة فى نفاقها وخبثها تتصيد الفرص للظهور على المسرح .

وبعـد هـذه التصفية بمدة علمنا بوصول سفير ايطاليا فى دمشق الى طرابلس واجتماعه ببعض الشخصيات ثم غادر طـرابلس .. وبعد ذلك بفترة غير طويلة تشكل فى طرابلس حزب أطـلق على نفسه ((حزب الاستقلال)) وما كان من الجبهة الوطنية ـ أو هيئة تحرير ليبيا ـ « اذ انهما قد اندمجتا فى بعضـــهما » الا أن وزعت من عناصرها أفراد على المساجد ليلقى كل منهم بيـانا بشأن تشكيل حزب الاستـقلال وشرح ظروفه وملابسـاته وذلك على اثر صلاة الجمعة .. ولقد كنت أنا من بين تلك العناصر .. وكان نصيبى « جامع السنوسية » بشارع عمر المختار ـ ومن المفارقات التى تذكر للتاريخ هو اننى لما صعدت على المنبر بعد صلاة الجمعة وطلبت من المصلين الانتظار والاستماع وتكلمت فى الموضوع بكلمات مختصرة ولكنها قوية . وعند الانتهاء من كلمتى سمعت أحد المصلين فى الخلف يقول : ((هالتونسى بخرب البلاد !)) .

اعلان المؤتمر الوطني العام
وانصهار الاحزاب فيه

بعد مـدة لا تتجاوز الشهر باى حال من قيام ((حزب الاستقلال)) مضت هذه الفترة فى اتصـالات الزعيم السعداوى برؤساء الاحـزاب لتقريب وجهـات النظـر واقناعهم بالانضمام الى بعضهم لتوحيد الجهود نظرا للخطر المحدق بسبب تصـارع المصالح الاجنبية ومساعى الوفود السياسية ومواقف العناصر « الوطنية » التى ترفض على حبلـين وتلعب فى ميدانين بل أكثر من ميدانين ويخيل لها أنها تضحك عـلى الطرفين وهدفها أن تكون مع الغالب أى كان ولا يهمها مع مصالحهـا الخاصة وطن ولا وطنيون ٠

ولقد نجحت مساعى السعداوى الى حد اذ قد انصهرت الأحـزاب كلها تكتلت وأصبحت تحت عنوان (المؤتمر الوطنى العام) ولم يشذ عن ذلك الاتحاد الا حـزبان اثنان ٠ اتفقا من قبيل الصدف فى عدم الانضمام ٠ علما بأنهما يختلفان فى الجوهر ٠ اختلاف فى الهدف وفى الاتجاه وهذان الحزبان هما : « حزب الكتلة الوطنية » « وحزب الاستقلال » ٠ فالكتلة الوطنية فيما يبدو لى ان السبب فى موقفها ذاك وعليه عولت فى تقييمى للموقف ٠ هو أن سبب عدم انضمامها يرجع الىأمرين اثنين : الاول هوالطموح الجامح فى بعض عناصرها الى تزعم الشعب وقيادته دون شريك لها فى ذلك ولا ناصح ولا معين الا اذا كان تابعا لها ، وهو طموح يفتقر الى أسسأساسية صلبة قوية تحفظه من الانزلاق ٠ وارادة وعزم قويين تمكناه من الصـمود والاصرار أمام مختلف الزوابع التى تصطنعها الجهات المضادة للاطاحة بالخصم ٠ فهى زوابع مختلفة تبدو لينة الملمس جميلة المنظر مغرية المنطق ولكنها قضى مبرم ٠

الثانى كراهية هذا الحزب (الكتلة) للملك ادريس السابق فالكتلة من أجل ابعاد (ادريس) عن حكم البلاد تضحى بالوحـدة الوطنية ٠ أى انها تضحى باقليم (برقه) وانفصاله عن طرابلس دون تردد ٠ وتركه لأدريس ومؤيديه من العناصر الضالعة ومن ورائهم الانجليز الذين يزودونهم بالافكار ويعدونهم بالكراسى ليتمكنوا هم من غـرس نفوذهم وحكم البلاد فى ذلك الجزء من الوطن دون أن يكون للجـزء الثانى الذى هـو أكثر عددا وأحكم نضالا وأعمق تفكيرا أى حق فى الدفاع عن ذلك النصف الذى يصبح حاجزا قاتلا بين شرقى الامة وغربيها ٠ واذا ماوقع ذلك فاننا نكون قد ارتكبنا جريمة فظيعة لايغتفرها لناالتاريخ فىحق الامة العربية وضدأنفسنا أيضا وهذا هو الهدفالذى يسعى له الاستعمار الانجليزى ويهدف اليه ٠ ومن هنا يلوح لى ان نظرية (حزبالكتلة) هذه (فهى وان كانت على حسن نية وسلامة طوية ما فى ذلك من شك) فهى كما يبدو واضحا نظرية قصيرة المدى محدودة الزمن فقيرة من بعد النظر ٠ فهى لاتجعـل فى حسابها ماسوف يحمله المستقبل فى طياته من الاحداث الخطيرة فى حالة الانفصال ٠

أما حزب الاستقلال فهو حزب الاستقلال المعروف، فان اهدافه وعناصره وظروف تشكيله معروفة لدى الجميع فى ذلك العهد • فهذا الحزب هو عبارة عن مجموعة لاتتقيد بمبدأ • وانما هى تحركها نوازع الانتهازية وتجمعها المطامع المادية ويدفعها حب السلطة وعشق الكراسى • فهى تسير الى هذه المغريات بأى طريق يفتــح لها • وبأى ثمن يطلب منها •

ان هذه المجموعة تتصل بجميع الجهات الأجنبية تفتش عن الابتسامة وتبحث عن الرضا والقبول • وهى غير ثابتة فى جهة معينة ، ولـكنها تميل حيث يميل الريح ، فهذه المجموعة شاخصة بأبصارها وأسماعها وبكل يقظة وانتباه الى كفة ميزان الصراع السياسى فى ذلك المعترك المحتدم بين الاستعمار واستعمار آخر وبينهما وبين الوطنيين فكل مالاح لها رجحان جبهة من الجبهات المتصارعة أسرعت فى خفــة وسرعة وتملق الى الالتصاق بهذه الجبهة لكى تجلسها على كراسى مزعزعة وضــعت على جثــة آمال الشعب التى شاركوا فى اغتيالها •

فلقد كانت هذه المجموعة المسماة « بحزب الاســتقلال » فى أول الأمر ذات ميــول ايطالية بصورة واضحة • وقد أغرقت نفسها بالوعود والتعهــدات من أنها فى امكانها أن توجه الشعب الليبى نحو ايطاليا لكى تعود لحكم البلاد • ولقد تمكنت بهذه العهود بأن استدرجت حكومة ايطاليا حتى عمدت هذه الى تخصيص مبالغ ضخمة من الأموال لغرض الدعاية لاستمالة الشعب الليبى وجعلت مركزا فى طـرابلس تحت شــخصية ايطالية معروفة (جلمبيرتو) وقد أخذت هذه المجموعة وغيرها تتظاهر لهذه الشخصية بقوائم وهمية من الانصار ، وهى بذلك تبتز تلك الأمــوال المرصــودة • ولقد عمــل (حزب الاستقلال) كثيرا لفائدة ايطاليا • ولكنه فشل فشلا ذريعا ذلك لأن الشعب منتبه الى تلك المؤامرة ولقد ضاعت تلك الامــوال المرصــودة سدى وكانت النهــاية المحتومة لتلك الشخصية الايطالية هى الانتحار الشنيع بعدما نضبت الأموال وخابت الآمال وخرجت ايطاليا وعملاؤها بيد فارغة وأخر لاشيىء فيها •

ولما انهار مركز ايطاليا فى هذا الصراع المتأجج بين المستعمرين مع بعضهم • وبينهم وبين الليبيين بعد هذا شعرت مجموعة حزب الاستقلال بأنه لا أمل لها فى رجــوع ايطاليا الى ليبيا وتأكدت من نضوب المعين المادى • وفهمت ان الـكراسى والوصول اليها عن طريق ايطاليا أمر مستحيل • وفى هذه الأثناء أعطت ظهرها لايطاليا وولت ووجهها نحو الاسترلينى •

وحيث أنني ذكرت هذا فمن الحقيقة والانصاف وتصحيحا للتاريخ يجب على أن أقول : ان هذه المجموعة الآنفة الذكر ليست وحدها فى ميدان المساعى الخبيثة والمطامع الأشعبية ليست وحدها فى هذا الميدان بل عندما انتقلت من الاتجاه الايطالى وأعطت وجهها نحو (جون بول) فقد سابقتها فيئات عديدة من المنافقين أولئك الذين يتظاهرون بالانتماء الى المؤتمر الوطنى العام ٠ ٠ وهم يروحون ويغدون على مقره فى وضح النهار حفاظا على الصلة فيما اذا فاز الوطنيون ليكونوا هم فى الطليعة ، وهم لايدرون ان عيون الشعب كانت لهم بالمرصاد فحركاتهم مكتشفة ومسجلة وأسماؤهم معروفة ٠ منذ ماكانوا يتسللون بالليل وفى ظلامه الدامس الحالك الى مركز البسمات الساخرة والوعود المغرية فى احدى دور شارع ميزران وغيرها من الأماكن المعروفة ليعطوا ماالتقطاوه ـ ويتلقوا جديد التوجيهات ٠ من ذلك المارد الذى يوعدهم ٠٠٠ وما يوعدهم ٠٠٠ الا غرورا ٠

جولة دعائية فى مديريات
محافظة غريان

ففى شهر فبراير من سنة ١٩٥٢ وقد كانت الانتخابات الاولى لأول مجلس نواب فى ليبيا قريبة الوقوع ، تلك الانتخابات التى سفكت فيها دماء طاهرة زكية وشردت فيها عناصر مخلصة أبية وسجن فيها أحرار المواطنين وأهين فيها الشعب بأكمله الا العناصر الموالية للوضع الضالعة مع الأجنبى تلك العناصر التى ظنت فى مخيلتها الفاسدة وتفكيرها العقيم. أن الليل سيدوم • وأن الظلام سيسود وأن الفجر لن يبزغ • وأن الصبح لن يشرق • وعلى أساس من هذا التفكير اليائس من •• اتخذوا مواقفهم الشائنة وعملهم المخرب الفظيع •

قلنا كانت الانتخابات لأول مجلس نواب فى ليبيا قريبة الوقوع • ولذلك قمنا من طرابلس فى جولة دعائية فى محافظة غريان • وفى سيارة (جيب) تابعة للمؤتمر الوطنى ـ وكان يسوقها شاب جرىء عنيف فى القيادة اتجهنا نحو الجبل • وصلنا قرب العزيزية • فى أرض حمراء غير مزروعة اذ ذاك بشيىء تقع على شمال الذاهب الى العزيزية من طرابلس • فى هذا المكان بالذات وجدنا أربعة أشخاص لازلت أتذكر منهم ثلاثة وضاع من ذاكرتى رابعهم • والثلاثة هم : (•••) و (•••) و(••) وقد أوقفوا سيارتهم بجانب الطريق وتوزعوا فى تلك الارض الحمراء ـ وكان أحدهم عنده بندقية من نوع (افلوبر) وهو يتصيد العصافير •

وحالما رأيتهم عرفتهم • ولما كان الشاب سائق السيارة عنيفا فى قيادته كما قلت فقد طفرت بنا السيارة حتى تجاوزنا سيارة الجماعة بمسافة • وعندها هتفت بالشاب السائق « قف • قف » فلما وقف قلت ارجع حيث سيارة الجماعة • فعاد خلفيا وبقوة مزعجة حتى وقف حذو السيارة • أما الجماعة فلما شاهدوا رجوعنا عادوا كلهم الى حيث سيارتهم • نزلنا نحن من سيارتنا وبعد تبادل التحية معهم جرى بيننا كلام كثير • وأنا أختصر منه مايلى :

سألنى أحدهم قائلا : الى أين •••؟

قلت : الى الجبل

قال : ماذا ستفعل هناك •••؟

قلت : لدعاية الانتخابات

قال : لمن تدعو لنفسك أم لغيرك •••؟

قلت : للمؤتمر وأتباعه

قال : هل عندك سلاح •••؟

قلت : طبعا عندى سلاح

قال : أرينيه

قلت : لا • أما هذا لايمكن

قال : لماذا ؟ هاأنا أطلعك على سلاحى وأخرج المسدس ثم أخرج الرخصة •

قلت : أنا ليس لدى رخصة

وقال : وهذه الرخصة

قال : لماذا لاتجعل رخصة مثلى •••؟

قلت : أنت يابك من المقربين وأنا من المغضوب عليهم من طرف السلطة

وعندئذ نظر الى وقال هذا من رأيك

قلت : أجل أعرف ذلك جيدا وأنا به راض

والى هنا تقدم آخر وهو (•••) وقال : أترك عليك هذه الأتعاب واترك الجبل وأريح نفسك خير لك وتعالى الى طرابلس رشح فيها نفسك وأنا أضـــمن لك دائرة تفوز فيها بالتزكية • وقد أقسم بالايمان المحرجة أن لايزاحمنى فيها أحـد • فقلت له أنا لاأرشح الا فى الجبل • ولا أكون الا عن طريق المؤتمر ولا يغرينى النجاح بالتزكية فأنا أسير على المبدأ والفوز والفشل بيد الله ، ثم ان الدعاية التى أقـوم بها ليست لى أنا شخصـيا وانما هى للمؤتمر وأتباعه ، وبعـد هذه المحاورة المختصرة جـدا ركبنا سيارتنا وتركناهم هناك وواصلنا سيرنا الى غريان •

وصلنا غريان وقفت السيارة أمام محطة بنزين للتزود منها • واذا بجندى بوليس عربى وحينما نزلت من السـيارة تقـدم منى وقال بأدب واحترام تسـمح تجى معى للمـركز اذا لم يكن لديك مانع • قلت لماذا •••؟ قال لاأدرى الضـابط الانجليزى يطلبك • قلت نذهب بالسيارة أم على الأرجل • قال بالسيارة أحسن • وصلنا المركز وصعدنا الى مكتب الضابط الانجليزى وحينما وصلت أمامه حييته برفـع اليد وكان مطرقا فلم يجب على التحية •

وبدلا من رد التحية بادرنى بالسؤال التالى : هل عندك سلاح ••؟ قلت لا • فنهض من مكانه وأخذ يفتشنى فلم يجد شيئا • وبعد ذلك قال : فين السيارة •• ؟ فأجابه الجندى هى أمام المركز ، فنهض الضابط واتبعناه ، وأخذ يفتش السـيارة فلم يجـد شيئا (والواقع ان مسدسا فى مكان ما • من السيارة • ولكن الله أسدل ستره) وعدنا الى المـكتب وأخذ يسألنى بشيء من الشـدة أنت رايح فين ••؟ قلت كل هـذه المحافظة • قال على شان ايه ••؟ قلت على شان الانتخابات • قال : أنت بتدعو لمين••؟ قلت للمؤتمر ، قال ده يعنى السعداوى ، قلت لا • للمؤتمر ـ السعداوى لايترشح • وهكذا فقد كانت أسألته كثيرة ولكنها تافهة •

ثم عاد الى موضوع السلاح وقال : أحسن تقول السلاح بتاعك فين • قلت انا يأفندى ذاهب الى الدعاية ولست ذاهبا للحرب فماذا افعل بالسلاح • وهنا اطرق برأسه قليلا ثم قال : لكن الذى قال لى لايكذب ، قلت أنا لم أقل لك أحد يكذب ولكن هاأنا أمامك والسيارة عندك

والى هنا قال لى : روح فى شغلك أنا لازم أكون وراءك • فاهم ؟!

واتماما لهذه القصة أود أن أقول أن هذا الموقف المصحوب بتلك الاشارة من الضابط وهى قوله : « الذى قال لى لايكذب » جعلنى أشك كثيرا فى تلك الجماعة التى وجدناها فى طريق العزيزية • ولقد شككت بصورة خاصة فى صاحب المسدس بالذات • غير أننى بعد عودتى من الابعاد فى يناير ١٩٦١ م التقيت بالرجل المشار اليه ، وقدكان اللقاء فى ظرف ووضع بالنسبة له لايخشى فيهما أحدا التقيت به وأعدت له الحكاية • وقد قلت له هل أنت الذى فعلت «كيت وكيت» الآن وقد مضى كل شيء أسألك بالله أن تصدقنى • ولكنه نفى ذلك نفيا باتا وعند الله تلتقى الخصوم •

موظف يحـاول الاغـراء

لقد انتهينا من اجراءات ضابط البوليس بغريان وواصـلنا السـير مع الطـريق الرئيسية المتجهة الى الجهة الغربية ، وعلى سمت احدى المديريات ، وأغلب الظن بين مديريتى الزنتان والرجبان التقينا صدفة بأحد حكام تلك المحافظة (ولا شك عندى انه كان فى جولة معاكسه لمساعى المؤتمر الوطنى العام) فوقف ووقفنـا ونزلنـا وبعـد السلام التقليدى أخذنى هذا الحاكم الموظف وهو السيد «٠٠٠» أخذنى على حده بعيدا عن تجمع المجموعتين ، وقال لى : الى متى وانت تجرى وتتعب ألا ترى أن النـاس كلها تعمل من أجل مصالحها ، وأنت صاحب عائلة فلماذا لاتفكر فى مصـلحتك ومستقبل أولادك كغيرك من الناس ، وأنا لو لم يهمنى أمـرك ماقلت لك هـذا الـكلام ولا أقوله لغيرك ٠

قلت : أتظن أننى لاأفـكر فى مصـلحتى ٠٠؟ كـلا فهى أول مايهمنى ولـكننى لم أجدها ٠ واننى أعتقد انها تصرفات الاقدار ، ولعـلى وقتها لم يحن بعد ٠ وقـد نشط الرجل عند سماعه هذا الكلام ، وقال لى اختر المـركز الذى تريده ـ اقترح أى مركز فى الحكومة وأنا أضمنه لك ٠٠٠ فأظهرت استعدادى وأجبته وأنا أبتسم بقولى : وهل أمر البلاد عندك حتى تستطيع أن تضمن لى ماأريد ، فقال : ولـكننى أمرت وأخـذت التأكيدات التامة وأنا مكلف ٠ وهنا رجعت الى الجد وقلت له اسمع ياأخى فمع شكرى لك وتقديرى لعواطفك نحوى ٠ فأنا كل حياتى وعملى فى الهجرة وقفا على هذه القضية واليوم سنوات فى هذا الصراع داخل البلاد تاركا عائلتى فى الخـارج ، ويعلم الله بما قاسيته وأقاسيه أترى بعد هذا كله يهمنى الحصول اليوم على مـركز أو وظيف مهما سمت ٠٠؟

أو هل تظن أن مثل هذه الاغراءات تصرفنى عن العمل لفائدة وطنى وحـرية بلادى وتبعدنى عن اخوانى ٠ وقد عملنا معا فى الخارج والداخل وتعاهدنا على العمل المخلص الى أن نلقى وجه الله مهما اشتدت علينا الظروف ٠ وكيفما تكون النتيجة ٠ فلا يمكن لى والحالة هذه بأى حال من الأحوال أن أتخلى من أجل مصلحة خاصة وتافهة تحصل اليوم وتطير غدا ٠

هذا وأقول لك الحق فأنا تسيطر على فكرة قد تكون عند غيرى شـاذة أو فاسـدة تماما ، ولكننى أومن بها وأعيش وأعمل على أسـاسها ، ولا أدرى أكان ذلك من حسن حظى أو من سوءه ٠

وهذه الفكرة هو أنه اذا وفق الله العاملين المخلصين لخير الوطن واستقلت البلاد ، فانا ارضى بأى مستوى من العيش ويكفينى أن أكون مستورا فى حياتى أكلا ولباسـا

وسكنا وذمة وذلك لاعتقادى أن الحياة ليست كلها مادية ، وهذا دليل على اننا حينما كنا نعمل لاستقلال البلاد لم يكن ذلك لرغبة فى مراكـز وزارية ولا وظائف ادارية • ولا لرغبة مادية ، فأنتم الذين ستتولون حكم البلاد نظرا لما لـكم من الخبرة والمعرفة بأوضاع البلاد •

وكل مانرجوه منكم هو اعانتنا بعدم الخضوع المشين للاجنبى المحتـل خضــوعا يجعله يستخف بالجميع ويحاربنا ببعضنا فيسيطر علينا ونصـبح خرجنا من سـيد ودخلنا تحت سيد آخر بعد هذا الكلام الطويل جاء الجواب من صاحبى • جواب قاطع حاسم لم يترك لى مجالا للكلام بعده ، فلقد قال : اسمع يافلان • أنا أخضع للانجليزى فيما يريده ويطلبه وأنا بدورى أخضع لنفسى ستون واحدا من الذين هم تحت حكمى فيما أريده •؟! منهم هكذا كان الجـواب بعد تهـذيب العبارات وتلطيف المعنى : والى هنا افترقنا وســار هو ومجموعته مشرقا وسرت ومجمـوعتى مغـربا ليقوم كـل منا بواجباته التى رضى بها مذهبا له •

الجـولة النهائيـة

قبيل الانتخابات بأيام قليلة طلب المرحوم البشير السعداوى ان أقوم معه بجـولة واسعة لحث المواطنين على الاستعداد والصمود وهى آخـر جـولة للدعاية • ذلك أن وجود السعداوى فى الجولة واتصاله الشـــخصى يبعث فى المواطنين روح الايمـان بالموقف ويزودهم بطاقة اكبر من الثبات والصمود فى مجابهـة وتحدى تيار الدعايات والتهديدات والاغراءات التى يقوم بها الاجنبى ويشيعها بواسطة بعض الموظفين وأذناب الادارة والمتصيدين للمراكز والمفتشين عن الحضوة والدرجات واللاهثين وراء المادة •

ركبنا سيارة السعداوى الخاصة واتجهنا نحـو الجبـل ، وقد تجولنا فى بعض المديريات التى كان يجب الاتصال بها اكثر من غيرها • ثم عدنا الى عاصـمة المحافظة قصدنا الفندق • وبعد تناول الغداء وفى فترة الراحة وفى غمـرة من الحـديث بينى وبينه • قلت : يابشير بك عندى مشروع يدور فى رأسى منذ مدة أود أنأعرضه عليك لترى فيه رأيك فقال هات ماعندك فنحن فى أمس الحاجة للمشاريع •

قلت أنا احس بخذلان بعض الاخوان لنا من مدة والواقع ان أكثرهم ليســوا من عناصر المقاومة وانما هم من عناصر الطمـــع والانتهازية • ومما زاد الطين بله تلك الجريدة التى خلقها الانجليز ويمونها وليس لها من العرب الا الاسم فهى مدعمة بجميع الامكانيات وبكل أسف فقد تجاهلت حقوق الوطـن والمواطنين وتهاوت الى الحضيض وداست على الضمير ولقد كانت أكثر امعانا وأشد ضررا على الحركة الوطنية وأشـد عداوة لعناصرها من الاستعمار نفسه وعلى موهبة كبيرة من خلق الاشاعات المفسـدة وبراعة فائقة فى اختلاق الأراجيف والاقوال الزائفة وبالجملة فقد كانت مجــردة من كل احساس وطنى • وشعور قومى الا وهى جريدة (•••) لصاحبها الاسـتاذ القدير (•••)

وهكذا فقد سلط الانجليز على الحركة الوطنيـة عناصر من جنسها عملا بالقـول القائل : (الشجرة لايقطعها الا جزء منها) والانجليز أصحاب مكر ودهاء • فأنا أشعر والحالة هذه بخطر كبير • لذلك فاننى أرى بعد اتمام هـذه الجولة أن نختـــار أى مجموعة من القبائل عرفت بالحميــــة والعزة والشـــهامة وأن نبقى بها حتى تنتهى الانتخابات وتتضح النتيجة • وفى اعتقادى أن موقفا كهذا سيكون له تأثيره فى مجرى الانتخابات • وسوف يحسب له الانجليز ألف حساب • واذا ماجرت الأمور عـلى غير مايجب أن تكون ، نستطيع أن نهدد الموقف بصورة مؤثرة •

ولقد سكت المرحوم بشير زهاء عشر دقائق ثم قال يا (فلان) الأفضـل أن نعود الى طرابلس فالشعب كله معنا والأحسن أن نكون معه حتى نتصـل بالناس ويتصلوا

بنا وقد يحتاجوا الينا فلا يجدوننا فيظنون بنا الظنون ويهتبل العملاء الفرصة فيطلقون الاشاعات فتنهار عزائم المواطنين ونكون نحن السبب فى ذلك .

نهضنا من هناك وانحدرنا من (أبى غيلان) الى (سوانى بنى آدم) ومنها اتجهنا الى « فندق بنغشير » حيث أخذنا طريق (ترهونه) ومنها الى (القصبات : مسلاته) ثم واصلنا السير الى (مسراته) مرورا (بالخمس) (وزليتن) وبعد اتصالات سريعة عدنا فى طريقنا الى (الخمس) التى وصلناها حوالى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل قصدنا رأسا الى منزل رجل الخمس الاول فى عصره المجاهد المخلص الحاج عمر النعاس رحمه الله .

طرقنا الباب فخرج لنا الحاج عمر نفسه ورحب بنا وعندها قال له السعداوى رحمه الله (وهما صديقان من عهد الصغر) لقد أزعجناك ياحاج عمر فلا تؤاخذنا فان ظروفنا هى التى أجبرتنا (وأنت خبير بمثل هذه الظروف) فأجابه بقوله : (أنا عارف مادمت أنت حى يابشير أنا مانرتاحش) فأنا وأنتم فى سبيل الله .

بتنا تلك الليلة فى منزل الحاج عمر وفى الغد وبعد اتصالات فى الخمس عدنا الى طرابلس ، وقد كان هذا اليوم هو يوم ١٦ فبراير ١٩٥٢م ومن الغد ذهبت الى زيارة (الشيخ المفتى السابق محمد أبو الاسعاد العالم) رحمه الله جلست معه حصة فى أحاديث حول الوضع ثم نهض وغاب عنى قليلا ثم عاد وناولنى مبلغ عشرين ألف فرنك (مال) وهى عملة أوجدتها الادارة البريطانية على أنقاض العملة الايطالية واختفت باختفاء الادارة البريطانية قانونيا .

ناولنى هذا المبلغ دون أن أطلبه أو أشكو له الحال جزاه الله عنى خيرا قلت : لماذا هذا يافضيلة الشيخ ...؟ فقال لعلك ناقص مصروف فأخذتها منه . وبعد حديث زهاء ربع ساعة قال لى هل أنت تريد أن تكون معى أو مع السعداوى .. ؟

ولقد استرعت انتباهى هذه الجملة ، فقلت ماهذا الكلام يافضيلة الشيخ ..؟ هذا كلام لم أسمعه منك من قبل ! ألسنا كلنا جميعا وعلى مبدأ واحد ..؟ فقال : كان ذلك فيما مضى أما الآن فلا . قلت فلماذا هذا التبدل المزعج ..؟ فقال : أن البشير لايريد أن يسمع كلامنا ، ونحن أعرف منه بأوضاع البلاد واهلها فالناس تجرى تحتنا ولا نستطيع أن نترك لهم الميدان . والبشير بسيرته هذه سيضيع علينا المصلحة ، وعلى كل فأنت اذا كنت بجانبى فانك ستربح قريبا واذا كنت مع البشير فسوف تخسر أنت والبشير وأنت اختار لنفسك ، فقلت أن أمرا كهذا لايمكن أن يكون الجواب عليه ارتجاليا ، فقال : طيب عندك الى غد ومن هنا افترقنا .

الانتخابات المشئومة (فبراير ١٩٥٢م)

لم أرجع من غد ذلك اليوم الذى تقابلت فيه مع الشيخ المفتى • وفى الواقع اننى قد تعمدت ذلك التخلف حيث أننى فهمت واقتنعت أن الرجـل قد ترك الصف نهائيا ولا ينتظر أن يعود اليه بعـد ذلك الكلام الذى سـمعته منه • وقد أخبرت البشير بذلك فى حينه •

وفى اليوم الموالى وهو يوم ١٩٥٢/٢/١٩م وقعت الانتخابات • تلك الانتخـابات المشئومة التى أزهقت فيها الـكثير من الارواح ، وتضررت فيها كثير من العنـاصر • فترملت نساء وتيتمت أطفال • والذى يؤلم النفس « ويجب اثباته فى التاريخ وفضـح الأسماء فى الوقت المناسب » ان الكثير من مواطنينا الموظفين والمسئولين فى الحكومة اذ ذاك فى العاصمة وفى الدواخل كانوا فى تلك المناسبة الأليمة ينظرون من الشرفات فى مكاتبهم ومن نوافذها الى اخوانهم يتساقطون صرعى هنا وهناك بين قتيل وجريح فى سبيل وطن الجميع وحرية الجميع وآلاف من أحرار الشعب يساقون الى السجون وهم ينظرون بعين الرضا ، بل كل شيىء يقع بطلب منهم وباسمهم • وعليهـم يحمل الجرم الاكبر والنصـيب الأوفر من تلك المآسى ، وقعت تلك المصـائب على رؤوس الشعب ولم يحدث ان استقال أحد احتجاجا على مايجرى ، ولا قال أحد منهم اللهم أن هذا منكر قولا علنا • نعم بدون شك أن بعض العناصر من الموظفين والمسئولين يتألمون وغير راضين • ولكنهم لم يجراؤا أن يفعلوا شيئا •

فلقد وقعت مجازر رهيبة وبصـورة خاصـة فى كل من مسراته ـ والزاويه ـ وصبراته ـ وفندق بنغشير ـ وسوانى بنى آدم ـ وجنزور ـ وترهونه • وصبراته وأنا حينما أذكر هذه الاماكن • لاأعنى أن الجهات الاخرى كانت سليمة كلا بل فيها معارك وضحايا • ولكن كانت فى الاماكن المذكورة المعارك أعنف والضحايا أكثر والضغط أشد وان المكلفين بالعمليات فى هذه الاماكن كانوا أكثر اجراما من غيرهم الا من رحم ربك ، ولقد اتضح لدينا اليوم نحن الذين عشنا تلك الظروف ان أولئك الذين أجرموا فى حق الوطن والمواطنين معا • قد لاقوا أكثر تسامحا وأخف حكما من غيرهم • ولعل ذلك كان بسبب عناصر وطنية نظيفة ، ان كان ذلك أقول : ألا قاتل الله وطنيـة تنهـار بسبب الصداقة والقرابة والمحسوبية •

وفى هذا اليوم يوم الانتخابات كنت فى ساعة مبكرة فى مقر المؤتمر انتظارا لبدء التصويت ، ولقد بدأ فى الساعة الثامنة من ذلك الصباح ، وفى حوالى الساعة العاشرة بدأت التليفونات تصل من كل الجهات وبدون انقطاع مخبرة بأحداث ومآسى تذوب لها القلوب كمـدا ، ولما تكاثرت الضحايا فى كـل مكان اتصلت هاتفيـا بالمرحـوم

السعداوى وأعدت له ماوصلنى من الاخبار فتأوه وقال : « لقد اشتد الامر وليس لنا اليوم الا عناية الله » وفى حوالى الساعة الثانية ضهرا التحقت به فى بيته فى «قرقارش» وأخذنا فى استعراض الحالة . وفى حوالى الساعة الرابعة بعد الضهر دق جرس الهاتف واذا بأحد الاخوان يقول : ان جماهير الشعب متجمعة حول مقر المؤتمر والبوليس يتحرش والموقف ينذر باضطرابات خطيرة فاسرعوا بتلافى الموقف ، وهنا قال لى البشير: فمن المستحسن يافلان ان تذهب الى المواطنين وتحاول صرفهم بطريقة ما ، حتى لايزداد الخرق اتساعا والمأساة سوءا حتى تتبين الامور على أساسها ونتخذ طريقنا .

نهضت فى الحال ولما وصلت مقر المؤتمر وجدت الجماهير فى هيجان شديد وتحد خطير والجو ملتهبا فى انتظار نتيجة الانتخابات التى كانوا لايشكون فى أنها ستكون فى صالح الشعب (هى حقيقة ثابتة لو كان هناك قليل من العدل) صعدت الى شرفة المؤتمر المطلة على تجمع الجماهير الثائرة الصاخبة ومنها قلت : المعركة لاتزال فى بدايتها والجو غامض . ويبدو أن فى الأمر ريبة وأن أخبار الدواخل مقلقة . لذلك يرجى من الجميع التفرق كل الى شأنه حتى تتضح الأمور وعندئذ نعلن موقفنا للجميع وسوف لانألوا جهدا فى مقاومة الظلم والاستبداد .

وعلى أثر هذه الكلمة تفرقت الجماهير . عدت أنا الى (قرقاش) وأخذنا نفكر فى الأمر ثم عدت الى غرفتى فى « فندق طرابلس الغرب » ولقد بات كل منا تلك الليلة فى قلق شديد . وفى صباح اليوم التالى نشرت الجرائد نتيجة الانتخابات وأعلنت عن أسماء الأشخاص الذين اختارتهم السلطات المسئولة فى حكومة شكلية وادارة فعلية أجنبية ، ولم تأخذ من مرشحى المؤتمر الا سبعة أشخاص خمسة من العاصمة . وواحد من الفرناج وآخر فى الزاوية ، لذر الرماد فى العيون . ومن هنا من هذا اليوم انطلقت المظاهرات فاجتاحت طرابلس وغيرها ولقد كانت المظاهرات على غاية من الشدة والعنف .

ولقد دوى فى هذه المظاهرات صوت الرصاص . فرددت صداه أجواء البلاد فى كل مكان وهو يخطف أرواح المواطنين المتظاهرين ضد الظلم الفادح والاستبداد العنيف والتزوير المفضوح . ولقد استمر الشعب فى تحدى كل الصعاب مستخفا بكل التهديدات والتنكيل رافضا جميع الاغراءات مستخفا بأولئك العملاء الذين يعملون بخسة ونذالة فى اخضاع شعبهم للعبودية المزدوجة . ولقد توالت هذه المظاهرات لمدة ثلاثة أيام كانت فى خلالها تزداد قوة وعنفا من ساعة لأخرى رغم سقوط الضحايا فى كل مكان واكتضاض السجون بالمواطنين وهكذا كانت المظاهرات فى الايام التى حضرتها شخصيا . وهى ثلاثة أيام .

ولقد توالى القاء القبض على العناصر الوطنية المتحركة وجيء بها من كل أنحاء البلاد لقد امتلأت السجون بهم نتيجة لتلك التصرفات التى لاتمت للقانون ولا للعقل ولا للمنطق ولا حتى الانسانية بأى صلة ، ولكن أنى لعناصر منحرفة أو استعمار جشع أن يعرفوا هذه المحاسن •

ولقد قال واحد من هؤلاء الأذناب الذين يعبدون الاستعمار قال فى مناسبة حديث : (لو كنت أنا أحكم لعلقت السعداوى وجماعته فى ميدان الشهداء خمسة عشر يوماليتفرج عليهم الشعب) قال ذلك ليسمع الانجليز كلامه فيرضون عليه ويبتسمون له • وهذا القائل هو : (•••) وهو لايزال حرا طليقا حى يرزق وفى نعمه اكتسبها •••!

هذا نموذج من العناصر التى أتت بها السلطة الحاكمة بعدما تعهدوا لها بواسطة أصدقائهم من عملاء الدرجة الاولى كى يفرضوا على شعبهم ماتطلبه هذه السلطة الأجنبية ، لتجلسهم على كراسى ملوثة بدماء الضحايا ودموع اليتامى ودماء نحيب الأرامل من مواطنيهم فأصبحوا عملاء لها خاضعين تأكل بأيديهم ماتشاء وتمسح خبثها فى وجوههم التى يقابلون بها شعبهم بلا خوف من الله ولا حياء من عباد الله ، هذا الخضوع المشين من أجل ابتسامة خادعة ولقمة هزيلة من العيش المسموم ، ومن مال شعبهم الذى باعوه •

وكنتيجة لزيادة التظاهرات وغضب الشعب وسخطه فقد أعلنت حالة الطوارىء ومنع التجول من الساعة الخامسة مساءا حتى السابعة صباحا ، وفى عشية يوم ٣١/٢/١٩٥٢م ذهبت ا لىمنزل المرحوم السعداوى وجلست معه حصة طويلة فى استعراض الحالة وما ينبغى لنا اتخاذه تجاهها حتى ذهب من الليل أوله ، ولما هممت بالرجوع الى طرابلس اعترضنى السعداوى قائلا : الآن وقد ذهب من الليل أكثره والانجليز وغيرهم يتربصون لهفواتنا فالأحسن أن تكمل الليل هنا وفى الصباح نذهب معا فأجبته لذلك ، ولما كان التعب قد أخذ منى مأخذه فقد رحت فى نوم عميق وفى الساعة الرابعة صباحا تقريبا منيوم ٢٢/٢/١٩٥٢م انتبهت فىانزعاج على صدىصوت مزعج مرعب لكأنه صدى انفجار قنبلة انفجرت بالقرب منى •

وليس إنفجار القنابل فى ذلك الوقت بالشيىء الغريب عنا • والواقع أن ذلك الصوت كان صدى تحطيم أبواب المساكن التى نحن بها ، ولقد كان المقتحمون من الجيش الانجليزى وضباط من البوليس العربى الوطنى بطريقة مفاجئة ارهابية مزعجة ، وما كدت أرفع رأسى حتى وقف أمامى ضابطان أحدهما انجليزى والثانى عربى شاهران السلاح وأصبعيهما على الزناد ، ولما رأيتهما قلت : ماذا حدث •• ؟ فصاح بى الانجليزى بقوله « أوعى » قلت ماذا تريد •• ؟

قال : « انت موش فاهم الناس بتموت » قلت : وهل أنا القاتل ٠٠؟ فصاح الانجليزى بقوة وحدة « ده كل على شانك أوعى » فنهضت من مكانى وخرجت من الحجرة الى وسط « الفيلا » فوجدت مجموعة من الضباط من الجنسين يجوسون خلال المنزل كأنهم يفتشون عن أشياء مسروقة أو انسان مجرم اختفى هناك ، ويدخلون ويخرجون من غرفة لأخرى ٠

وفى لحظة قصيرة انتهى كل شيىء وأخذوا كل واحد منا فى سيارة منفردا ومع كل واحد ضابطان عربى وانجليزى ٠ هذا الوضع بالنسبة لى ولا بد أن يكون الآخرون كذلك بانفراد ٠ أما نوع السيارات فلم أتبينها أهى مصفحات أو غيرها لأن الجو حالك بظلامين اثنين يخيمان على النفس والعيون ظلام ليالى الشتاء المكفهرة بالسحب الكثيفة المتراكمة مع طقس شديد البرودة جدا فى ذلك الصباح ، وظلام نفسانى انفعالى نتيجة لتلك المظالم المسلطة علينا من الأجانب ومن اخواننا أيضا ٠ وصدق قول الشاعر حين يقول : « وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ٠٠٠ الخ »

تحركت بنا السيارات ، ولما كان الظلام حالك جدا فلم أتبين اتجاهنا فسألت الضابط العربى الذى كان بجانبى الى أين ٠٠ ؟ فقال : لاأدرى ٠ وبعد حوالى نصف ساعة وصلنا الى مطار طرابلس الدولى ٠ وفى المطار أرادوا أن يركبونى الطائرة مع الاخوان : : البشير ـ ونورى ـ ومحمد خليفة شعبان) الى مصر غير اننى أظهرت لهم امتناعى بحجة اننى ليبى أصلا وقانونا ، وان المادة ١٨ من الدستور لاتبيح لكم اخراجى من البلاد ، واذا كانت لديكم على أى مآخذ فحاكمونى ٠

وحينما أخذوا الاخوان المذكورين الى الطائرة ٠ جلست أرضا ورفضت الذهاب الى الطائرة ، فتركونى فى مكانى ، وبعدما ركب الاخوان وأقلعت الطائرة أعادونى وكانت العودة الى السجن « سجن باب منغشر » ولقد حمدت الموقف وشكرت الله على المآل اذ حسبته انتصارا لى حيث لم يقع اخراجى من البلاد ٠ وفى السجن جىء لى بكتب قديمة غير ذات موضوع فطلبت مجلات وجرائد جديدة فقيل لى هذه ممنوعة ٠

ولقد صادف أن البوليس الذى وضعوه لحراستى على السطح شاب أعرفه بل هو من بلدى وكنت أطمئن اليه سلمته ورقة مكتوبة رجوته أن يسلمها للسيد أحمد أبو عرقوب لتنفيذ خطة معينة ٠ فيها هذه العبارة « نفذ عملية سرت » ولكن حامل الرسالة أفادنى من الغد بأن أبا عرقوب قد اختفى ولا وجود له فى المجتمع ولا يعرف مصيره ٠ وفى اليوم الثالث من وجودى فى السجن نودى على الى مكتب مساعد مدير السجن وهو ضابط بوليس عربى فأعلمنى بأن هناك قضية ضدى بسبب حضورى مظاهرات يوم ١٩٥٢/٢/٢٢م وما قبلها باعتبار اننى هيجت الجماهير فقبلت هذا مسرورا وحسبته تعزيزا للانتصار الذى توهمته من قبل ٠

وقد نمى الى أن السجن قد امتلأ بالمواطنين • وعندما أخـذت أفـكر كيف السبيل لأرى هؤلاء الناس ، وفى اليوم الموالى طلبت الطبيب بحجة حدوث آلام طارئية أحس بها فى معدتى • وفى حوالى الساعة العاشرة من اليـوم الذى بعـده جاءنى جندى بوليس وأخذنىعلى الطبيب • وفى الطريق رأيت جموعا كثيرة من الاخوان • وقـد رأيت من بينهم (محمد محمد عباس) (والحاج عمر النعاس) رحمـه الله • وهـذا فى حـوالى الثمانين من عمره أو أكثر قليلا • والاستاذ مصطفى بعيو وغيرهم • وبعد الكشفعدت الى مكانى •

التراجع عن محاكمتي

اتضح من بعض المعلومات والقياسات بأن تراجع السلطة عن محاكمتي سببه هو أن الاخوان الذين هم فى الحكم اذ ذاك هم الذين طالبوا الادارة البريطانية بابعادى خارج البلاد بدلا من محاكمتي . أما الاسباب التى دعتهم الى هذا الموقف هو انهم قد تواهموا ان وجودى داخل البلاد حتى وان كنت فى السجن قد يسبب لهم أتعابا بسبب استمرار الأمل وروح المقاومة فى نفوس الشعب . كما انهم يعتقدون انه عند انتهاء مدة السجن وخروجى منه قد تتجدد الاضطرابات .

وهو تفكير لايخلو من واقعية ذلك أن الشعب كان فى هاتيك الظروف على اشد حالات الانفعال والهيجان والكراهية لتلك الألاعيب . وهو واع لما يراد به . الا أنه قد فقد القيادة ، فلو أن تلك العناصر التى كانت تتزاحم على الظهور وتتصدر اجتماعات الهدوء والراحة لو انها واصلت المسيرة بالشعب لسقط بيد الانجليز وعملائه . فلقد كانت حكومة ذلك العهد الموالية للأجنبى على قاب قوسين من السقوط نتيجة غضب الشعب وسخطه . ولكن بهروب العناصر المتزاحمة على الزعامة من مسئوليتها فى قيادة الحركة الى النهاية وابعاد العناصر المسئولة الاولى حصلت الضربة القاضية على آمال الشعب . وفاز الضائعون . ولكن الى حين .

ان العناصر التى بنيت عليها قولى فى التحول عن محاكمتي الى ابعادى وقولى أن ذلك كان بطلب واصرار من عناصر الحكم الشكلى الضالعة . أولا نمى الى من بعض المصادر العليمة فى هذا الشأن انهم طلبوا ذلك

ثانيا : فعندما كانوا يفكرون فى ابعادنا بالجملة . قد اعترضتهم ـ أو نصحتهم شخصية انجليزية بعدم ابعاد السعداوى وتركه فى البلاد كسلاح فى يد حكومة البلاد تهدد به عند وقوع أى خلاف بينها وبين الادارة البريطانية ، ولكن أولئك الذين لايهمهم الا جلوسهم على الكراسى ورضا الأجنبى وغرس نفوذه ليحميهم أولئك (سامحهم الله فيما يخصنى شخصيا) هم الذين رفضوا واصروا على الابعاد قائلين ان السعداوى يحمل جواز سفر سعودى . وقد أعادها عنصر منهم أمام محكمة الشعب فى عهد الثورة عندما سئل لماذا أبعدتم السعداوى . فاضطرب وغاب عنه التفكير فقال لأنه يحمل جواز سفر أجنبى أى سعودى . وغاب عنه ايضا ولعله من رهبة المحكمة غاب عنه أن قوله هذا حجة عليه وليست له . لأن المرحوم (منصور بن قداره) كان وزيرا الى أواخر أيام حياته وهو يحمل جواز سفر اردنى . فلو سئل عنه لماذا كان وزيرا اظن انه سيقول كما قال فى الاول « لانه يحمل جواز سفر أجنبى أعنى أردنى » والعذر رهبة المحكمة .

وهكذا فقد بدأ للحكومة «الوطنية» اذ ذاك أن الابعاد أفضل وسيلة لاستقرارها وأضمن طريقة لراحتها وبقائها على كراسى الحكم أطول مدة ممكنة . ولهذه الاسباب الآنفة الذكر بعد اعلامى رسميا بواسطة مساعد مدير السجن فاذا هم فى يوم من تلك الأيام دون مقدمات ولا مايدل على التراجع جاءنى جندى بوليس عربى وقال لى تعالى معى اتبعته حتى مدخل السجن .

وأمام المدخل وجدت سيارة واقفة ولما تأملت فى داخلها رأيت أمتعتى التى فى الفندق كلها داخل السيارة . وفهمت من ذلك أن فى الأمر ابعاد . بقى لى أن أعرف الى أين سيكون هذا الابعاد وفى أى منطقة من مناطق ليبيا ، وما ظننت قط أن الابعاد سيكون خارج ليبيا اعتمادا على جدالى واحتجاجى بالمادة ١٨ من الدستور وبارجاعهم اياى من المطار حتى لقد توهمت بأننى قد انتصرت وانهم قد اقتنعوا بالحجة .

ركبت السيارة التى بها أمتعتى مع الانجليزى حتى وصلنا أمام (سيدى عيسى) أدخلنى الانجليزى فى حجرة بها كرسى وطاولة وجلست انتظارا لما ستجرى به الأقدار . وغاب عنى الضابط قليلا وعاد . فوقف أمامى ، ثم قال هل عندك فلوس..؟ قلت : نعم وأخرجت كل ماعندى ووضعته على الطاولة فقال : أن تريد ان تترك فلوسك ..؟ قلت لماذا أترك فلوسى عند الناس ..؟ قال اذا تريد . قلت طيب ولكن يودى أن أعرف لماذا .؟ ولما لم يجبنى قلت له هل فى المسألة اعدام ..؟ قال : لا ، قلت اذن عرفنى لماذا أترك فلوسى فسكت .

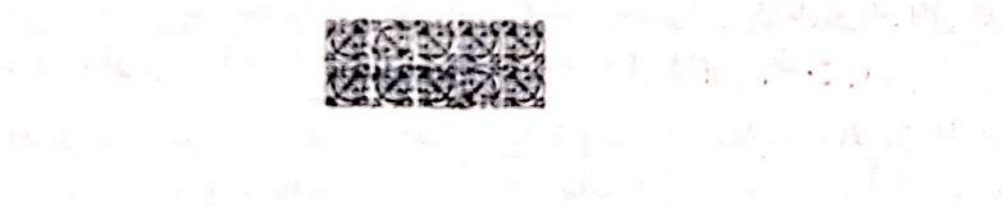
وهنا قلت هل ستخرجونى من البلاد قال أيوه . قلت ألم أقل لكم اننى ليبى وان الدستور الذى وضعتموه لنا أنتم لايسمح لكم باخراجى من بلادى فلماذا لاتحترموا الدستور ..؟ فأجابنى بشيىء من الحدة : «ده موش شغلى» فقلت اذن حول لى الفلوس على البلاد التى تريدون نقلى اليها فقال ــ موش ممكن ظروف حرب تحويل الفلوس صعب ــ قلت عجبا للانجليز صدق من قال : (الانجليز يقتلون الانسان ويمشون فى جنازته) وبما أنه يتكلم العربية ويفهمها قال : ازاى بتقول كده . قلت طبعا ياأفندى لم يصعب عليكم اخراج الانسان من بلاده وتبقو أنتم فيها . ويصعب عليكم تحويل الفلوس من بلد لآخر ..؟!

وهنا بهت الرجل وقال بغضب واضح : «ده موش احنا أمر حكومة بتعاكم» ومد يده وأخذ الفلوس فقلت اسمع ياأفندى خلص الفندق ايجار الغرفة وجيب لى فاتورة . وخلص المطعم الذى كان يرسل لى الاكل فى الحبس وحول الباقى ، سمع منى هذا وأخذ الفلوس وراح . وجاءنى بتحويل على تونس وهنا اتضح لى الاتجاه تماما .

ركبنا وتحركت بنا السيارة من سيدى عيسى بدون توقف الى أن وصلت (زواره) فقصدت بنا مركز البوليس ونزل الانجليزى لاتمام الاجراءات . وبنزول الضابط

الانجليزى دخل احد المواطنين وهو رجل طويل القامة ذو لحية سوداء كثيفة يرتدى اللباس الوطنى (حولى) وفى آخر أيام الشباب ومبدأ الكهولة حينئذاك حسبما يبدو لى وأظن ظنا قريبا من اليقين ان هذا المواطن هو السيد «...» وقال بصوت مرتفع وكأنه يريد أن يسمعنى كلامه . وهو يوجه كلامه الى الضابط الانجليزى قائلا : (موش قلتلك احنا ناس باهيين مانشوشوش على الحكومة) وكم تأسفت وتمنيت أن لاأسمعها من مواطن .

وقد دخل هذا المواطن حيث دخل الانجليزى الى المركز ، وبعد لحظة خرج الانجليزى وتحركت بنا السيارة التى وصلت الى قصر (الشوشه) وهذا القصر يقع بعد الحد الفاصل بين الاراضى الليبية والتونسية بحوالى ثمانية كيلو متر داخل الأراضى التونسية ، وحذوه يقع الحاجز العمودى القاطع للطريق والذى يكون عادة فى كل الحدود ليقف عنده المسافرون الذين يجتازون الحدود من بلد لآخر .



فى الأراضى التونســية

وصلت السيارة الى (العاءود) ووقفت وكان حذو العامود(سبابيس) فقال له الانجليزى افتح وأجاب (السـبابيس) لحظـة لأخبر (الباشاوش) وذهب السبابيس يهرول مسرعا نحو القصر والقصر قريب جدا من المكان • ولكن الانجليزى لم ينتظر فاقتحم (العامود) بسيارته فطيره جانبا ومـرت دون توقف حتى وصـلنا (بنقردان) فى حدود الساعة الواحدة والنصف ظهرا تقريبـا وقد قصـد بنا (البيرو) مكتب الحاكم الفرنسى • ولما دخلنا المـكتب وجدت الحاكم الفرنسى شـخصا مالطيـا متجنسا بالجنسية الفرنسية أعرفه جيدا • اذ كان يسكن بالمنطقة التى أسكن بها(حلق الواد) وعندما وقفنا أمامه سلم له الانجليزى رسالة وتكلم معه ماشـاء • وعندها قلت للمالطى والانجليزى واقف يسمع اذا تريد منى أى شيىء فتكلم مع الانجليزى قبـل ذهــابه •

تركنى الضابط وعاد من حيث أتى • وبعـد ذهابه بحوالى نصف سـاعة سألنى المالطى قائلا : أنت طرابلسى أم تونسى ••؟ فقلت له لاأدرى • فقال : كيف لاتعرف نفسك من أى بلد أنت •• ؟ قلت من أين لى أن أعرف • وهذه ليبيا أطردتنى ــ وهذه تونس تتردد فى قبولى وتتجاهلنى • وليس معى أى أوراق تثبت أو تدل على هويتى•؟ قال : وأنا كيف أفعل الآن معك ••؟ قلت له : انت حر فى تصرفاتك أما أنا ليس لك على ألا ثلاثة أشـياء أستطيع ان أوجيبك عليها وأوطيعك فيها ولاشىء غير ذلك • قال وماهى •؟ قلت هى : اذا تريد اعادتى الى طرابلس أقبـل شاكرا • واذا تريد نقلى الى تونس أقبل حيث لا خيار لى • واذا أردت أن تبقينى هنا أقبل وأمرى لله •

ثم نودى على أفراد من البوليس وطلب تجهيز سيارة ونقلى الى (قابس) الا أن أفراد البوليس امتنعوا قائلين انهم لايستطيعون الذهاب فى ذلك الوقت • ولهـذا الامتناع سبب وجيه جدا ، ذلك ان المقاومة التونسية ضد الاحتلال الفرنسى كانت قد بدأت من أشهر مضت عن ذلك التاريخ ولقد كانت هذه الحركة على درجة كبيرة من النشـاط والخطورة والانتشار • وكان من نظامها المعمول به أنها تركن للهـدوء والانزواء كـل يوم من شروق الشمس الى منتصـف النهار فتجد الحـالة عادية والناس فى قضـاء أمورهم • ثم تنطلق بعد الضهر وكامل الليل حيث يخيم على كل شـبر من (المملـكة التونسية اذ ذاك) والخطر يهدد كل من تحرك من الطرفين •

هكذا كانت الحالة يوميا كامل مدة المقاومة ، فعند انطلاق الحركة يصبح الانسان اذا خرج من بيته لايعرف أهو يعود اليه يومها او بعد أيام أو لايعود نهائيا • ولهــذا

السبب امتنع أفراد البوليس من الذهاب فى ذلك الوقت • وبعد أخذ ورد بينهم فى الموضوع تقرر تأجيل الأمر الى غد ذلك اليوم • وعندها أدخلونى فى غـرفة من غرف (بنقردان) العتيقة وجيء لى بحصير فقط ولا شيء غير ذلك •

ولقد علم أفراد من الوطنيين فى بنقـردان من بينهـم آل (قريصيعه) حاولوا الاتصال بى ولكنهم منعوا ، الا شخص واحد ليبى من غريان جاءنى ليـلا وجلس معى حصة ثم انصرف • وفى صباح اليوم التالى جيء بسيارة اركبونيها مع جنديين بوليس وسارت بنا الى قابس حيث وصلناها فى نفس اليوم • وقصـدت بنا مركز البوليس (الكوميسارية) فسلمونى الى هذا المركز وقد مكثت به مايزيد عن خمسين ساعة •

ويالها من أيام وليالى • أيام قابس ولياليها • كامل المدة المذكورة وأنا جالس على مقعد (بنك) من الخشب دونما أكل ولا غسيل • أما الحلاقة وأما تغيير الملابس فهذا أمر لاأفكر فيه ولاأطمع به فى تلك الظروف ، ولقد كانت تلك الايام والليالى أثقل على نفسى من الرصاص • فلقد كانت البلاد فى هاتيك الظروف الرهيبة مسرحا لحوادث نشرت الخوف والهلع بين الناس اذ كانت الاخبار المزعجة تتراءى فى كل لحظة فكل داخل يأتى بخبر جديد •

انفجارات متوالية ، هذا خزان نسف وانفجار فى مكتب نسـف محطة اغتيـال شخص وهلم جر وهكذا كانت الحال طوال النهار فيما بعـد الضهر وكامل الليـل • وأعوان الامن فى ذلك المركز لايستقر لهم قرار وهم بين خارج وداخل • وأنا جالس على ذلك المقعد أودع الخارج وأستقبل الداخل بنظراتى البائسه ولم يسألنى أحد منهم من أين ولا عن سبب وجودى بينهم أو احتياجاتى •

وفى اليوم الأخير وعندما عضنى الجـوع بنابه المؤلم الحاد ، وضغط الضـماء بكماشته الكالحة على كبدى فقد عيل صبرى وراحت كبريائى • ولم يبـق فى قوس الصبر منزع نهضت من مكانى حانقا الى مكتب كان قريبا منى وقد كان به ثلاثة أفراد من البوليس فيما أتذكر وقد قلت لهم بشيىء من التأثر : أنا من يومين وليلتين هنـا أمامكم لم أذق فى خلالها طعاما ولا حتى الماء •

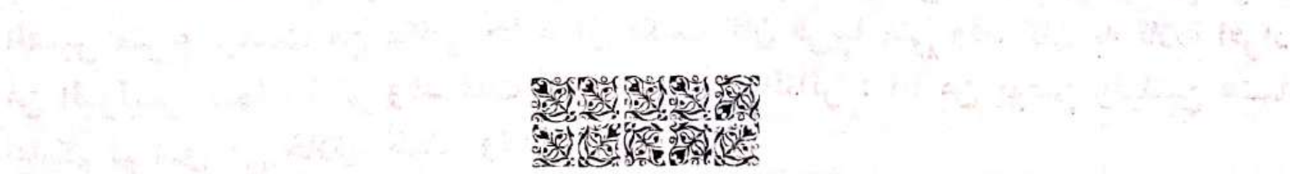
(والحقيقة ان الماء غير مفقود ولكن كما يقـولون (الماء سـلطان لاينزل الا عـلى الفراش) والفراش هو المفقود بالنسبة لى •) فلم لم تسألوننى ولم تفكروا فى أمرى • ولم تسألونى عن سبب وجودى بينكم وعن احتياجاتى وأنتم ترون حالتى • وكم كانت خيبة الأمل مرة وشديدة الوقع على نفسى حينما أجابنى أحدهم بقـوله : نحن لانعلم عنك شيئا فالذين أتوا بك هم المسئولون عنك •

وبهذا الجواب لم يبق أمل فى مساعدتهم فقلت لهم اذن أستطيع الخروج للتفتيش عن غداء وأعود اليكم ، فقالوا لانسمح بذلك حتى يأتى الذين جاءوا بك ، وهنا اشـتد

بى الغضب فقلت لهم : هل أنتم مسلمون ..؟ فقال أحـدهم أفى ذلك شـك • قلت كبير • واردفت قولى هذا بسرعة « ألا تعلموا أن الله عذب امرأة أدخلها النار من أجل قطة حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تاكل من حشائش الارض..؟» وأنا كما ترون من بنى آدم ومع ذلك أخوكم مسلم تعاملوننى هكذا •

قلت هذا وعدت الى مكانى • وبينما أنا أفكر بعد سماعى ذلك الجواب اليائس • اذ التحق بى أحدهم وجلس حذوى وقال : سامحنا ياخويا انت ترى الحالة التى نحن فيها • أتدرى انه بيننا من لم ير أولاده من يومين وثلاثة • وبعد حديث عن هذه الحالة السائدة هناك قال لى : أين قبض عليك ولماذا ومتى ..؟ فقلت أنا لم يقبضوا على بل سلمونى الانجليز للفرنسيين وأنا من طرابلس أبعدتنى سلطات البلاد ، وهنا أطرق برأسه قليلا يفكر • ثم قال لعلك من جماعة السـعداوى .. ؟ فقلت من صـميمها • فقال : كنا سمعنا أخباركم فى الراديو ولكن سمعنا من جهة أخرى انهـم أخرجوكم الى مصر ، قلت صحيح ابعدوا الجماعة الى مصر • وأنا وحدى جاؤا بى الى تونس •

وبعد أن تحادث معى قليلا تركنى وخرج ثم عاد بعد قليل ومعه شىء من الأكل الخفيف ، وفى منتصف النهار نفسه جاءنى بشىء من الأكل (السوقى) وقبل المغرب بقليل من هذا اليوم نقلنى جندى بوليس من هذا المركز وسلمنى الى مركز الجندرمة فى نفس البلاد ، وفى نفس الوقت أدخلونى (الجندرمة) فى مخزن واسع الأرجاء جدا ملآن باللوح فى أشكال مختلفة من كراسى وطاولات وسلاليم وأشـياء أخرى كثيرة • وأمضيت تلك الليلة فى ذلك المخزن •



مع الجندرمه من قابس الى صفاقس

قلت أمضيت تلك الليلة فى ذلك المخزن تحت رقابة الجندرمة • وفى حوالى الساعة التاسعة صباحا جاء الجندرمه وفتحوا الباب ووضعوا فى يدى الحديد المتصل بسلسلة يمسك بها أحد أفراد الجندرمه • قلت فى نفسى لعلهم اعتبرونى خطأ من عناصر المقاومة التونسية والا لماذا يضعوا الحديد فى يدى كأننى مرتكب جريمة • لذا فقد قلت لهم لماذا هذا الحديد فى يدى وأنا لم أرتكب شيئا عندكم ••؟

ولقد أجابنى الماسك بسلسلتى بقوله : لاتخف ليس لنا عليك شيىء وانما هذا نظام الجندرمه لايقع بأيدينا أحد وننقله من مكان لآخر ولو خطوة واحدة الا فى الحديد بصرف النظر عن كونه مذنبا أو غير مذنب ، سرت معهم حتى مدخل المخزن واذا بسيارة كبيرة واقفة وبها مجموعة من الاخوان التونسيين ولما دخلت السيارة رأيت أولئك الاخوان كلهم فى الحديد مثلى وكلهم مقبوض عليهم فى حوادث المقاومة •

تحركت بنا السيارة فى اتجاه صفاقس بصحبة أفراد من الجندرمة • وحينما وصلنا الى صفاقس وقفت السيار أمام (الكوميسارية) : مركز البوليس • أنزلونى فى هذا المركز وقد أدخلونى فى أحد المكاتب • أما الاخوان التونسيون فقد واصلت السيارة سيرها بهم الى جهة ما ، دخلت المركز وجلست على كرسى فى زاوية دن المكتب •

ولقد أجابنى الماسك بسلسلتى بقوله : لاتخف ليس لنا عليك شيىء وانما هذا ولا داعى الى أن أقول انهم مسلمين لان منطقة المغرب ابتداء من حدود ليبيا الشرقية الى مياه المحيط فى المغرب اذا قيل لهم عربى عرفوا انه مسلم ـ قلت وجدت أربعة من أفراد البوليس جالسين حول طاولة يلعبون الورق (كارطه) فجلست منفردا فى انتظار ماستجرى به الأقدار • وبعد راحة قليلة تقدمت الى أولئك الاخوان وبعد التحية طلبت منهم أن يأتونى (بكأس من الحليب وربع خبزة) فلم يجاوبنى أحد منهم فالححت فى طلبى ووضعت الفلوس أمامهم وقلت لهم ارسلوا من يأتينى بطلبى وأعطوه أجره الذى يطلبه •

وهنا أجابنى أحدهم بقوله ممنوع دخول القهوة للمركز ، ولكننى لم أقتنع بهذا الجواب • وماذا أفعل وأنا أحس بآلام الجوع الا أن أزيد فى الالحاح حتى شغلتهم عن لعب الورق • وهنا قال لى أحدهم : انتظر قليلا سوف يأتى بائع الشاهى وخذ منه ، قلت سبحان الله ماهذا التناقض اعلموا طيب فأنا من وجبتين لم أطعم فسكتوا عنى وعادوا الى لعب الورق ولم يتأثروا بكلامى •

رجعت الى مكانى وجلست مفوضا امرى الى الله ، وبعد لحظة بينما أنا أفكر فى تصرفات الأقدار • اذ دخل شاب (مفتش بوليس) وهذا الشاب ليبى الأصل أى انه ينحدر من أم وأب ليبيين هاجرا من ليبيا • اما هو فقد ولد فى تونس وهو يجاورنى فى المسكن فى (الكرم) بيتى وبيته متلاصقان اسمه (رحومه ضو) وتشاء الصدف أن يكون عمله فى ذلك الوقت فى (صفاقس) وفى نفس المركز حينما دخل هـذا الشاب وقف لحظة يتامل من هذا الجالس الغريب حيث لم يتمكن من معرفتى بسرعة نظـرا لحالة التغير التى كنت عليها ، فمنذ دخولى الحبس فى طرابلس لم احلـق لحيتى ولا رأسى ، ولم أغير ثيابى • مع توالى أيام الجوع والحالة النفسية التى أنا عليها بسبب ماوقع وما أنا عليه •

فكل هذه العوامل كان لها وقعها الشديد وتاثيرها الأشـد • ومع ذلك فمنـذ مايزيد على الأربعة سنوات مضت لم نتقابل فيها ، لذلك كله وقف لحظة يتأمـل • ثم تقدم الى وقال (عمى أحمد) قلت نعم ، قال : ماهذه الحالة ••؟ قلت : انها حالة الحرب يابنى ، وما أدراك ما الحرب ، فقال لقد سمعنا بكم فى الاذاعة •

وبعد ذلك سألته هل صحيح دخول القهوة هنا ممنوع ••؟ فقال لا من قال لك هذا ••؟ قلت هؤلاء الاخوان رجوتهم أن يأتونى (بكأس من الحليب وشىء من الخبز) فقالوا ممنوع • وقال فى شىء من الانفعال والجماعة يسمعون : لم يكن ممنـوعا أبدا ولكن هؤلاء الجماعة ، لعب الكارطه عندهم خير من مسلم قال هـذا وانصرف دون كلام آخر •

وبعد انصرافه رأيت الجماعة الذين يلعبون (الكارطه) ينظرون الى بعضهم وقال أحدهم (لازم يعرفه من قبل • وأجابه آخر : لازم أكون بنعمه موش غير يعرفه ماهو حتى هو طرابلسى) ولم يغب الشاب رحومه طويلا حتى عاد وبيده نصـف ليتر من الحليب وقطعتان من (البريوش) نوع من الخبز وعندها طلبت اليه أن يستأذن لى من (الكوميسار) كى احلق وجهى اذا كان ممكنا فذهب لتوه وجاء بعـد قليل ليقول لى أنك ستسافر الى تونس ولم يبق من الوقت لوصول (لاتوراى) الا ربع ساعة ، وهـذه مدة لاتكفى •

فى الطـــريق الى تونس

وفعلا لم أنتظر الا قليلا حتى جاء جندى بوليس وأخذنى على محطـــة « لارتال » وهناك سلمنى الى جندى بوليس يهودى • وهذا صحبنى الى سوسه • ومنها سلمنى بدوره الى بوليس عربى الذى رافقنى الى تونس • أما (اليهودى)) فقد ذهب من سوسه الى القيروان حسبما قال لى البوليس العربى • وقد وصلنا الى تونس ليلا • ومن المحطة أخذونى الى المكتب الثانى «دوزيام بيرو» وهـذا اسمه بالفرنسية وهو يقع فى نهج (البروفانس) ورئيس هذا المكتب رجل فرنسى • قصير القامة نحيف الجسم يعرف العربية الدارجة بطلاقة اسمه (روبير)

ولقد وجدت فى هذا المكتب اثنين من البوليـس العـرب أعرفهما من قبـل هما السيدان : (محمد طبقه وابنه أحمد طبقه) • ومحمد طبقه هذا شخصية معروفة فى عالم البوليس لدى الاوساط التونسية • وبعد وضـع ادباشى فى زاوية من المـكتب قادونى الى حبس الكوميسار المركزى أو « كوميسار فندق الفول » كما يسمـونه فى تونس • وأدخلونى فى حجرة مربعة الشكل سعتها ستة أمتار فى هذا العرض تقريبا وفى هـذه الحجـرة مكان فى عـرض ميتر واحـد وطول اثنين ميتـر تقريبـا محجوزة بحائط ارتفاعه ميتر تقريبا مخصص لقضاء الحاجة البشرية • ولقد وجـدت هذه الحجرة مكتظة بالناس الى حد لايتصوره الامن رآها بعينه ، تضـم هذه الحجـرة خليطا تتمثل فيه جميع الطبقات من أعلاها علما ومالا وفكرا وزيا ، الى أسفلها ، جهـلا وفقرا وسذاجة وهنداما •

وحينما دخلت هـذه الغرفة لم أجد مكانا لأجلس فيه • ولقد بقيت واقفـا زهاء ساعة حتى جاء أفراد من البوليس وأخرجوا مجموعة لنقلها الى مكان ما • وحينئذ تمكنت من الحصول على مكان جلست فيه • وهـؤلاء الناس يقع القبض عليهـم فى الشوارع بالمناسبة وبدون مناسبة ويودعونهم هناك رهن التحرى والتحقيق يحشرونهم فى تلك الغرفة حتى اذا ضاقت بهم تنقل مجموعة منهم الى جهة أخرى • ولا تلبث حتى يأتوا بمجموعة أخرى من شوارع المدينة فتصبح الحجرة مكتظة كما كانت وهكذا دواليـك ليلا ونهارا قصد التأثير على المقاومة الشعبية • ولـكن المقاومـة كانت تزداد صمـودا وقوة وعنفا •

والشىء الملفت للنظر هو أن جميع أولئك الناس لاترى بينهم حـزينا ولا خائفا ولا حتى متأسفا بل تراهم ينظـرون من فجـوات فى باب الغرفة للقـادم والغادى ويشتمون أفراد البوليس عند مرورهم ويهددونهم بالطرد فى المستقبل • والحجرة فى اكتضاضها ودويها كخلية النحل فتراهم يرقصون ويغنون ليلا ونهارا كأنهم فى حفلات

صاخبة متواصلة لا انقطاع ولا فتور • فهذه الجموع الكثيرة والمتجددة باستمرار تجد بينها لابس الثياب الحريرية • وبدل الملف • والبدل الفرنجية الرفيعة وبدل العمل • وبالجملة تجد بينهم المتعلمين والمثقفين والتجار والصناع والجهلة والمصلين والسكيرين والعقلاء والمعربدين وعمال البناء والمجارى والكناسين والشحاتين •

وكل هذه الانواع فى انسجام بديع واتفاق فى آرائهم وصمود رائع واستخفاف بتلك التصرفات الاستعمارية • وحينما أقول طبقات الشعب التونسى أعنى بذلك كل عربى يوجد بالقطر التونسى فى ذلك الوقت • ذلك لأنالاستعمار لايفرق بين عربى وعربى آخر • ولو كان من مشرق الشمس او من مغربها • والواقع ان الفرنسيين قد اهتدوا الى حقيقة واقعية • ذلك ان العرب أنفسهم كأفراد أو شعوب ذلك هو واقعهم • فهم لايستطيعون الوقوف متفرجين حياديين من أى جهة كانوا تجاه معركة وطنية تحريرية تضطرم أوارها بين الاستعمار من جهة وبين حركة تحريرية عربية من جهة أخرى • وهى حركة فى حقيقتها كجزء من حركة قومية أوسع وأشمل من الاقليمية المنكمشة •

ولذلك فان هذه الدوافع الطبيعية التى تختلج فى نفوس العرب • كل العرب (كشعوب) أذابت الشعور بالاقليمية • وجعلت اعتبارها والاعتماد عليها فى مثل هذه الظروف والمواقف أمرا مستحيلا • بل خيانة عظمى • واثباتا لهذا القول ، أقول : انك ترى بين تلك الجموع المحشورة فى غرفة الحبس الآنفة الذكر • ترى المغربى والجزائرى والليبى والتونسى وأى عربى يوجد بالبلاد التونسية • وعلى أثر ذكر هذا الشعور القوى الذى يعتمل فى نفوس الشعوب العربية ، واثباتا لما تقدم • أود أن أذكر موقفا واحدا لأحد الاخوان الجزائريين كمثل حى وتأكيدا ملموسا •

رجل جزائرى بسيط عامل يومى من عمال البناء العاديين يتكلم العربية باللهجة الجزائرية بصعوبة جىء به فى احدى الدفعات التى يأتون بها الى ذلك المحشر • وقد كان من عادة المحبوسين السابقين كل مادخل عليهم جديد استقبلوه بوابل من الأسئلة: أين قبض عليك • وماذا فعلت • وهل قبض عليك وحدك أم مع آخرون ومن هو البوليس الذى قبض عليك ، وغير ذلك من الأسئلة •

وعندما وصل الأخ الجزائرى المشار اليه آنفا مع مجموعة من الاخوان استقبلوه السابقون بسؤالاتهم تلك فقال : كنت عائد الى بيتى عند انتهاء عملى وحينما وصلت الى نهج « كذا » طوقونى البوليس والجندرمة مع آخرين وأخذوا يفتشوننا ويطلبون منا بطاقاتنا الشخصية : « كارت دى دانديتى » ليتعرفوا على أشخاصنا • ولما اطلعوا على بطاقتى أعادوها لى وقالوا لى : أنت جزائرى فرنسى انطلق لشأنك • قال : فقلت لهم : (أنا عربى موش فرنسى نبغى الروح مع اخوانى العرب وين مابتدوهم هذه

هى عباراته بالضبط ولم تبرح ذاكرتى منذ نطق بها وسمعتها • وبمجرد سماعى هذه العبارات من ذلك الرجل البسيط ارتفعت معنوياتى ونسيت كل ماقاسيته وتهيء لى كأنما أزمة العالم العربى قد بدأت فى الانفراج • وهذه القصة قد وقعت قبل قيام الثورة الجزائرية كما هو واضح من تاريخ الحادث •

رجل بسيط يحمل فى يده (قفة) صغيرة فيها أكله فى محل عمله ، عامل بناء بسيط عادى يحمل بين جنبيه هذه الروح المتمردة والاحساسات العربية الطاغية على كل الاعتبارات والشعور الاسلامى الفياض كلها أدلة ناطقة على الروح المتوثبة للاتحاد والعمل التى تغمر الشعوب العربية طرا ، هذا موقف سمعته بأذنى ورأيته بعينى والآن وبعد الانتهاء من هذه القصة العارضة أعواد الى الموضوع فأقول :

بقيت فى هذا الحبس ستة أيام بلياليها • وفى كل يوم يأتينى جندى بوليس صباحا لأذهب معه الى «المكتب الثانى» للتحقيق معى • وكل التحقيقات كانت مجرد سؤالات عن الاشخاص • فلان الليبى مع من ؟ فلان ماهو اتجاهه •؟ فلانجليزى ماهو عمله ؟ وهلم جر حتى اليوم السابع • وفى هذا اليوم عندما أرادوا اعادتى الى حبس الكوميسارية امتنعت فى عصبية وتصميم •

وبعد جدال عنيف تتخلله عبارات تهديدية أجابونى على طلبى على شرط أن أتردد على ذلك المكتب يوميا حتى ينظروا فى الامر • فقبلت منهم • ثم حذرونى بشدة من الاتصال بالصحافة أو الكتابة فيها وعدم الاختلاط بالتونسيين فى الاجتماعات وقبلت كل ذلك أيضا ، وعدت الى مسكنى (بالكرم) الذى لم أره منذ أربع سنوات مضت ولقد نفذت شروطهم فى التردد عليهم •

وفى يوم من أيام هذا التردد كان «المسيو • روبير » رئيس هذا المكتب يتحادث معى فى هدوء وانشراح وهو سريع الخاطر كثير الاهتمام بما أقوله له • وكان يسئلنى كيف بدأت الانتخابات وكيف حولت النتيجة الى صالح الادارة •• ؟ وكيف أبعدوكم ؟ ومن هم المبعدون كلهم وو ••• ولقد تبادر الى من شكل هذا الحديث أنها كانت أحاديث استدراجية علهم يستنتجون من كلامى مايدل على مايظنونه فى ابعادى الى تونس •

وكما تبادر الى أيضا فى خلال الأحاديث ان أوجه لوما على موقف فرنسا فى شخص مندوبها فى مجلس هيئة الأمم بليبيا وان كان فى غير أوانه • فقد قلت له : (ان مندوب فرنسا كان دائما فى جانب الانجليز وهو موقف ماكنا ننتظره من فرنسا • ولذلك فنحن كليبيين نعتبر فرنسا شريكة عن قصد فى ظلمنا بموقفها فى جانب الانجليز واهدارها لحقوقنا دون أن تكون لها فائدة فى ذلك •

ففى اعتقادنا ان فرانسا لو اهتدت الى الوقوف فى جانبنا لخففت علينا من وقع الكارثة على الأقل • كارثة النفوذ أو التسلط الاستعمارى المزدوج • فلو فعلت ذلك لكان لها فيه شرف • ومصلحة لمستقبلها • فالشرف هو أن تقف بجانب الحق وأن تناصر الضعيف ، أما المصلحة هى اطمئنانها لمجاورتنا لأننا نحن شعب صغير وضعيف فلا خطر عليها منا • ونحن فى حاجة الى خبراتها وتجارتها • كما انها فى حاجة الى أسواقنا وما لدينا من مواد الخام •

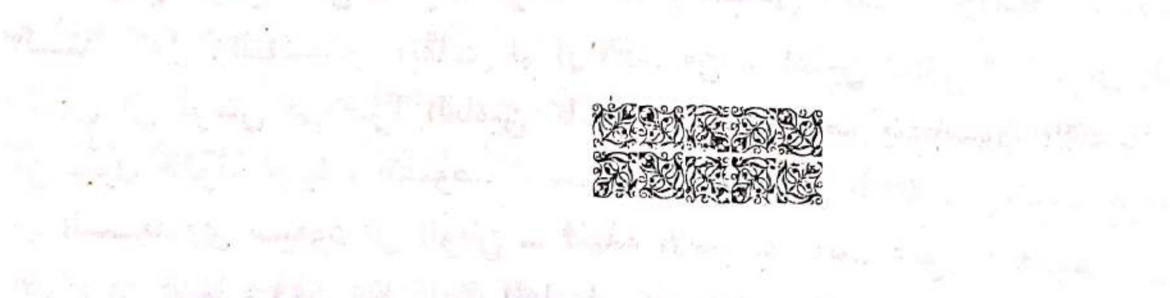
قلت هذا الكلام وكان (المسيو روبير) ينصت اليه فى عناية واهتمام واضحين • وعند الانتهاء أجابنى « المسيو • روبير » بعدما تنفس بقوة بقوله : (لسنا نحن الذين اخترنا ذلك الموقف ولكنه الدولار • الدولار هو الذى يريد ذلك • فلو كان الاختيار لنا • كنا نود أن تكون ايطاليا هى التى تجاورنا ؟!) هكذا كانت عباراته بالتحديد تماما • وما كدت أسمع منه هذه الجملة حتى قلت فى نفسى دفع الله ماكان أعظم •

وبعد أيام شعرت بوجود مراقبة تتبعنى وتحصى حركاتى واتجاهاتى باستمرار وعلى غاية من السرية والتحفظ • ولقد تضايقت من تلك الحالة • وأخذت أفكر فى الطريقة التى تمكننى من معرفة أسباب هذه الحركة ، وبعد أيام التجيت الى أحد معارفى من الفرنسيين وهو من الشخصيات ذات الدراية والاتصال • التجيت الى هذه الشخصية وصارحتها بأننى أشعر بتتبع لتحركاتى لاأعرف لها من سبب • ولكننى تأكدت من وجودها • هذا فى الوقت الذى أعتقد أن فرانسا تعرفنى جيدا فما بالها اليوم تتجاهلنى • وعلى كل فالذى يهمنى من هذا الامر هو أننى أخشى أن يكون أحدا قد أبلغها عنى أخبارا زائفة • ان المتزلفين الذين لايتورعون عن أى عمل فى سبيل مصالحهم الشخصية كثيرون •

هذا ولقد جئتك خصيصا فى هذا الموضوع • فكر صاحبى قليلا ثم قال سوف ننظر فى الامر وعندما هممت بمغادرته • قال لى على كل غدا الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر تنتظرنى فى مقهى (الكوليزى) بشارع « جول فيرى • سابقا » « الحبيب بورقيبه حاليا » وبعد أن شكرته ودعته وانصرف كل منا لشأنه • وفى الساعة الرابعة وقبل الموعد المحدد بنصف ساعة من بعد ظهر اليوم الموالى كنت جالسا فى المقهى المتفق عليه تحت ذلك السقف المتنقل فى انتظار صاحبى وفى نفسى الكثير من الهواجس • ولقد كانت الدقائق عندى كأنها ساعات وفى الوقت المحدد بالضبط وصل صاحبى فنهضت اليه وبعد تبادل التحية أخذنا نتحدث فى غير موضوعنا بينما كنت فى أشد الشوق الى معرفة النتيجة التى جئت هناك من أجلها • ولكننى استعملت عدم الاهتمام •

ولما طال الحديث لم أتمالك أن سألته هل من جواب على موضوعى ٠٠ ؟ فاجاب بنعم ٠ ثم أردف قائلا ولكن قبل ذلك أود ان أنبهك الى شىء مهم جدا ٠ وهو انه نظرا الى الماضى فاننى أطمئن اليك ومع ذلك فلا أرى مانعا من أن أنبهك بأننى سأقول لك ماعلمته ويجب أن لاتعيده لأحد أى كان ٠ قلت : طبعا كن مطمئنا ٠ فقال : اسمع طيب الحكومة الفرنسية قد ساورتها الشكوك فى اعادتك الى تونس بعد أن ثبت هنا وهناك انك ليبى وان زملاءك أبعدوا الى مصر ، فهى بناء على هذا ترى فى ذلك سرا خطيرا والسياسة ذات وجوه لاتدوم على حال ٠

وهنا قلت له بتأثر واضح كيف ذلك وما هو هذا السر ياترى ٠ رجل مثلى طرد من بلاده مقهورا فى حقه فأصبح مغلوبا على أمره ٠ فابتسم قليلا وقال : انت تقول هكذا ومن حقك وواجبك أن تقوله ، ولكن الحكومة ترى ابعادك لايعدو عن كونه مسرحية الهدف منها تغطية الحقيقة المكلف بها لمصلحة الانجليز ٠ وليس فى السياسة غريب ٠ وعلى كل فأنا أنصحك بأن لاتهتم بهذا التتبع ولا تبدى قلقك لأحد وقريبا ينتهى كل شىء فهناك فى الجهة المختصة من كان موقفه فى صالحك ٠



انفرجت الأزمــة وتحــررت

وبعد حوالى شهرين انفرجت أزمتى المقلقــة بانتهاء ذلك التتبــع وذلك التردد المشروط فقد تحررت من كل القيود المرهقة المخيفة وأصبحت فى ظروف عادية ٠

وفى أوائل شهر يوليو من سنة ١٩٥٣ م ترامت الى الأخبار تقول أن المعاهــدة الليبية الانجليزية أو الامريكية (طال الزمن) ستعرض فى الشهر الداخل على مجلسى النواب والشيوخ لاقرارها ، وفى الواقع ان المعاهــدة كانت قائمة عمليا من قبــل وما تقديمها لمجلسى النواب والشيوخ لاقرارها الا اجراءات شكلية اقتضتها اعتبارات دولية وقانونية ، أما بالنســبة للشعب ليس الا لذر الرماد ٠ ٠ ٠ والشــعب يعرف ذلك ولكن ٠٠٠ وبالرغم من ذلك وبالرغم من اعتقادى أن العناصر الوطنية المعارضــة ٠ أو التى أعتقد انها ســتعارض هى أقلية ضــئيلة لاتستطيع أن توقف سير المؤامرة ٠ رغم ذلك رأيت من الواجب على ألا أترك الفرصــة تمر دون تذكير لتحميــــل المســئولية التاريخية على الذين لهم حق المعارضة والرفض وان نســجل للأجيال المقبلة تصرفات من قبلهم ٠

وفى الواقع أننى لاأعرف موعد اجتماع المجلس بالضبط والتحديد ذلك لأننى فى السنة الاولى والثانية من ابعادى لم أر أحداً من المواطنين فحتى الاخــوان الذين كانوا يفدون الى تونس فى فترة العامين كانوا على ماأحسست يتحاشون الاتصال بى خوفا من عيون حكومة ليبيا ، خصوصا كانت قد أذاعت بعض المحطات وكتبت جرائد الشرق أن الســعداوى سيعود الى الوطن ـ فلهذه الاسباب كانت عيون الحكومة وراء كل من يخرج من ليبيا ، ومن هنا كانت المعلومات الصحيحة مفقودة عندى فيما يختص باجتماع مجلس النواب ٠

ولذلك واعتمادا على تلك الاخبار التى ترامت الى من مصــــادر غير ذات دراية وخبرة بالموضوع فقد قمت بارسال برقيتين بتاريخ ١٩٥٣/٨/٥م احداهما للنائبين : الحاج مصطفى ميزان رحمه الله ، والحاج مصــطفى السراج باعتبــارهما نائبين عــلى الشعب حقا ولهما روح وطنية ٠ وهما من مرشحى «المؤتمر الوطنى العام» والبرقيــة الثانية للملك الســابق بوصفه المسئول الاول والقادر على تخفيف وطئة المعاهدة على الأقل حفظا لكرامة الدولة الفتية وحفاظا على حقوق الشعب اذا أراد ذلك ٠

نص البرقيتين

سيادة الملك ادريس المعظم ـ طرابلس •

المعاهدة الليبية الانجليزية والأمريكية ستقضى على الاستقلال وتلعب براحة الأجيال المقبلة • لذلك نناشدكم باسم العروبة والاسلام أن تنقذوا البلاد من شرورها ، وأن لنا فى حكمة جلالتكم وتاريخ أجدادكم مايطمئن قلوبنا ـ فى ٥/٨/١٩٥٣ م

==×==×==×==×==

النائب المحترم مصطفى ميزران ـ النائب المحترم مصطفى السراج

المهاجرون الليبيون بتونس يضعون ثقتهم فى وطنيتكم للقيام بما يجب من المساعى لرفض المعاهدة فان فيها ضياع الاستقلال وتأخر البلاد وان للشعب كلمته وللتاريخ حكمه ـ فى ٥/٨/١٩٥٣م

وبعد مضى الثلاثة أعوام تقريبا من يوم ابعادى ووجودى فى تونس اتصل بى الكثير من الاخوان ولقد هممت بذكر أسماء الاخوان الذين زارونى • والذين سمعت بوجودهم فى تونس فزرتهم أنا للسلام فقط • وبما أن بين هؤلاء وأولئك عناصر وقعت بينى وبينهم مواقف منها الكريم المشكور ومنها الخسيس المذموم • وبما ان ذكر أسماء المسيئين لم يحن وقته بعد فلذلك ضربت صفحا عن ذكر الاسماء من القسمين حتى لاأحرج الاخوان • وعلى كل فان الاسماء محفوظة ولن تضيع باذن الله حتى يحين وقتها •

أما الآن وفى هذه الظروف بالذات فان نشرها قد يعتبره الكثير والكثير جدا انه من باب الغمز والشماتة • وأننى حينما أقول هذا أقوله على معرفة واطلاع على نفسية الشعب التى يجتاحها تيار عاصف من العاطفة الجامحة التى طغت على كل الاعتبارات وغطت على كل الماضى بما فيه من اهمال وأخطاء وبيع الذمم ، واذا كانت هناك عناصر تود فضح الأشياء حتى فى غير وقتها فهى عناصر تعمل على دفع الانسان للوقوع فى الورطة مع الغير ثم هى تقف من بعيد متفرجة ضاحكة على الطرفين فهذه عناصر أرفض أن أعمل بآرائها •

الالتحاق بالمرحوم السعداوى في مصر

ففى شهر نوفمبر من سنة ١٩٥٦م فيما أتذكر او قبله بقليل وصلتنى رسالة من المغفور له البشير السعداوى يطلب منى الالتحاق به لأعمال هامة ، ولقد أخذت فى الاستعداد للسفر فاستخرجت وثيقة سفر من تونس (خاصة بالأجانب) وبينما كنت على أهبة السفر اذ وقع الاعتداء الثلاثى على مصر فوقفت جميع المواصلات من والى مصر بطبيعة الظرف ، وعلى أثر انتهاء ذلك الاعتداء بأيام معدودات . أخذت الوثيقة وذهبت الى السفارة الليبية فى تونس . ولقد كانت السفارة حديثة العهد حتى أنها لازالت لم تتخذ لنفسها مقرا لأعمالها وانما هى بدأت تباشر مهمتها فى فندق (التونزيان بالاص) بتونس .

ولقد كانت مجموعة السفارة تتكون من ثلاثة أشخاص هم : المرحوم عبد السلام البسيكرى وهو أول سفير لليبيا فى تونس . والشابان : (عبد القادر الورفلى) (وفرج التربى) ذهبت الى السفارة فى هذا الفندق فلم أجد المرحوم عبد السلام الذى كنت اعرفه ويعرفنى من أيام المؤتمر وجمعية عمر المختار ، وانما وجدت الشابين المذكورين . ولم تسبق لى معرفة بهما . كما انهما لايعرفاننى أيضا ولكنهما استقبلانى ببشاشة واستعداد .

والجدير بالذكر هو أننى قد غيرت اسمى فى الوثيقة بحذف اللقب المعروف به قصدا سألت الشابين عن السيد عبد السلام . فقالا ماذا تريد نحن نقوم بالواجب ، فقلت : أريد تأشيرة سفر الى مصر عن طريق ليبيا . وقد استعدا لاعطاء التأشيرة . ولكننى خوفا من أن يقعا فى مأزق حرج ، وربما خطير بسببى فقد أوضحت لهما وضعى . فراجع أحدهما القائمة السوداء وعاد يسألنى هل عندك اسم آخر ..؟ فقلت أجل وبينت لهما فاعتذرا عن عدم اعطاء التأشيرة . ولقد كانا على حق فى اعتذارهما ولا لوم عليهما .

وفى ما بعد ذلك اليوم قابلت المرحوم البسيكرى السفير على حده وخارج السفارة أى الفندق وبينت له حاجتى الملحة للسفر الى مصر عن طريق ليبيا لانها أقل كلفة . فقال : يافلان اظنك تتأكد لو أن الأمر بيدى لأعطيتك تأشيرة العودة الى ليبيا وليس المرور منها وحسب . ولكنك تعرف ، وأرجو أن لاتظن بى غير ماكنت عليه نحوى فشكرته ، ورحت رأسا الى سفارة ايطاليا وأخذت منها تأشيرة . وركبت الطائرة الى روما حيث بقيت بها يومين .

ولقد كانت الطائرة التى ركبت بها من تونس انجليزية لايسمح لها بالذهاب الى مصر وبعد يومين أخذت طائرة ايطالية من روما ، وقد كانت أباحت مصر للطيران الايطالى بالنزول فيها وطارت بنا رأسا الى القاهرة ، أقمت فى القاهرة عشرة أيام اتصلت خلالها بالمرحوم الدكتور (محمد فؤاد شكرى) ومنه علمت أن السعداوى قد انتقل الى سوريا فعولت على الالتحاق به فى سوريا ٠

وفى خلال الايام العشرة رأيت أن لاأسافر دون الاتصال بالجهات المصرية ٠ فقابلت المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر ٠ ولم تكن مقابلتى هذه الا لحظة للسلام ، ثم قابلت (على صبرى) وكان اذ ذاك شابا يبدو انه وديع قليل الكلام ٠ وبعد محادثة غير طويلة احالنى الى (فتحى الديب) وكان فيما علمت مختصا بالشئون العربية ولكنه يبدو لى انه غير مهتم ٠ ولم يكن فى مستوى السياسيين الذين يستطيعون التأثير على مخاطبيهم ٠ وأقول الحق اننى لم أستطع التفاهم معه وخرجت من مكتبه فى حالة نفسية غير التى دخلت بها ٠

وبعد هذه المقابلات ركبت الطائرة من القاهرة الى دمشق وفيها اتصلت بالمرحوم السعداوى فوجدت عنده تدابير وبرامج واستعدادات لحركة وطنية ليبية ٠ وبعد أيام من وصولى كتبنا مذكرة الى الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله أرسلت عن طريق السفارة المصرية بدمشق وبينما نحن فى انتظار رد المذكرة أصيب السعداوى بألم فى احدى رجليه تسبب له فى ملازمة الفراش وعلم شقيقه المرحوم (محمد نورى السعداوى) فجاءه من (ابيروت) وبعد أن أقام معه أياما وأجرى له عدة كشوف طبية ٠ وأخيرا مجلس طبى من أربعة أطباء وبعد كشف دقيق ومداولات قرر هذا المجلس أن لا معالجة مفيدة الا ببتر الرجل ٠ فرفض أخوه ذلك ونقله الى بيروت وبعد ثلاثة أيام فى بيروت أعلنت اذاعة لبنان انتقاله الى رحمة الله يوم ١٧ يناير ١٩٥٧م

وهكذا فلقد دامت اقامتى بدمشق شهرين اثنين ٠ وفى أوائل فبراير ١٩٥٧م عدت من دمشق الىالقاهرة ٠ وفى عودتى هذه قابلت مرة أخرى (الاستاذ على صبرى) ولم أقابل غيره ، وبعد عشرة أيام أخرى فى القاهرة عدت بالطائرة الى تونس عن طريق اليونان وايطاليا ٠

وفد المساعى الحميده

رغم اننى قلت سوف لاأذكر الأسماء فان تسلسل الحديث يضطرنى أحيانا الى ذكر بعضها بطريقة لاتحرج غيرهم . وهنا أذكر ثلاثة أشخاص يتكون منهم : (وفد المساعى الحميده ذلك انه حينما احتدم الخلاف الشديد المؤسف فى الشقيقة تونس بين الزعيم بورقيبه (الرئيس بورقيبه) والزعيم صالح بن يوسف رحمه الله تبادر للحكومة الليبية ان ترسل وفدا للمصالحة بين الطرفين المتنازعين . ولقد وصل هذا الوفد الى تونس وهو يتكون من المرحوم : (محمد ابو الاسعاد العالم مفتى ليبيا) (وعبد الحميد عطيه الديبانى) (وابن حليم) وهناك اتصلوا بالجانبين ، ولقد كان جواب الزعيم بورقيبة اذ ذاك هو مايلى : لما كنتم تنشدون الاصلاح بيننا فلماذا أخرجتم السعداوى .. ؟ وما هو الفرق بين هنا وهناك .. ؟ ولماذا لاتصلحوا أمركم قبل اصلاح غيركم .

أقول هذا علما بأننى لم أحضر اتصالاتهم ومداولاتهم (طبعا) ولم أجتمع بهم ولا بأى منهم مطلقا . ولكننى علمت هذا فى تونس وفى نفس الوقت من مصدر تونسى اظنه على معرفة واطلاع ، ولقد رجع الوفد من حيث أتى .. وانتهى الخلاف بتغلب الديوان السياسى بزعامة أبورقيبة (الرئيس ابورقيبة) على الأمانة العامة بزعامة المرحوم (صالح بن يوسف) وعلى اللجنة التنفيذية للحزب الدستورى التونسى بزعامة المرحوم (محمد محيى الدين القليبى) .

بعد انتهاء ذلك الصراع تشكلت الحكومة التونسية وأعلن الغاء الحكم الملكى فى تونس بواسطة الاذاعة التونسية يوم الخميس ٢٦ فى ذى الحجة ١٣٧٦ ه الموافق ٢٥ يوليه ١٩٥٧م هكذا وجدته مسجلا عندى .

وبعد قيام الحكم الجمهورى ساءت الحالة فى تونس من ناحيتين روحية واجتماعية فالناحية الروحية قد عمت الجميع كمسلمين ، وأما الناحية الاجتماعية فقد كانت خاصة بنا نحن الغير التونسيين ، ، اذ أصدرت الحكومة قرارا بمنع استخدام غير التونسيين الأمر الذى سد فى وجوه الجاليات المختلفة أبواب الرزق ومن هنا أصبحت الحياة صعبة والحالة مخيفة والمستقبل غير مريح .

ولكن والحق يقال فلقد وقفت الصحافة التونسية العربية والكتاب من الاخوان التونسيين وقفوا جميعا ضد هذا القرار وانتقدوه فى شبه هجوم وأنحو بلائمة على الحكومة لارتكابها هذا الشطط دون اعطاء مهلة كافية على الأقل حتى يتدبر الناس أمورهم فى فسحة من الوقت . ومن الجدير بالملاحظة والذكر ان المعارضة تركزت

بصورة رئيسية على الطرابلسيين أى : الليبيين الأمر الذى اضطر الحكومة الى تخفيف الوطأة فلقد أذيع تصريحا يقول : ان هذا القرار لايطبق على الطرابلسيين هذه الناحية الاجتماعية التى أشرت اليها .

أما الناحية الدينية فلقد استمر الامر بصورة مزعجة للمسلم ومما زاد الطين بله فلقد اغتنم الملحدون والمنحرفون والمغرورون الفرصة وأخذوا يعملون ويشجعون على هدم بعض قواعد الاسلام ، ونشرت بعض الصحف اعلانات تشير الى أبواب لمطاعم معينة لمن يريد الاختفاء عن أعين الناس فى أيام شهر رمضان . وأمام هذا التيار الذى لم يدوم طويلا أصبحت فى قلق شديد . فأنا لى أبناء صغار فى المدارس وأنا مسئول عن مستقبلهم قبل بلوغهم التكليف وتربيتهم طبقا للحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه) أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، هذا ماكنت أخشاه فى تلك الفترة ، اما أنا شخصيا فلاتؤثر على هذه الطوارىء العارضة التى لابد لها من نهاية طال أمدها أو قصر . (ومن شب على شىء شاب عليه) ولكن الاولاد الصغار اذا انحرفوا صغارا فرجوعهم كبارا شبه المستحيل . وهم أمانة الله عند والديهم .

أنا فى هذا الاضطراب الفكرى نتيجة للاوضاع المذكورة . اذ وصل الى تونس الأخ (الهادى المشيرقى) فى أواخر سنة ١٩٥٦ م فيما أتذكر عائدا من جولة واسعة فى أنحاء العالم وهو فى طريق عودته الى الوطن . فاتصلت به فى فندق (تونزيان بالاس) بتونس وجلسنا حصة من الوقت فى استعراض حالة الوطن وتصرفات حكومته وكيف تكون طرق معالجتها . (والهادى المشيرقى متلبس بروح وطنية تجرى فى عروقه دون فتور) . وعندما هممت بتوديعه استوقفنى وقال مهلا لى معك كلمة خفيفة فعدت الى الجلسة واذ هو يمد لى مبلغ سبعين دولارا نقودا أمريكية قائلا انها بقيت عندى وقد انتهت جولتى وأنا عائد للبلاد خذها فأنت أحوج اليها منى .

وأقول الحق فلقد أكبرت فى الأخ الهادى المشيرقى تفكيره نحوى بدون طلب منى ولا حتى فى كلامى مايفهم منه احتياجى . واكبارى هذا ليس للمبلغ اذ المبلغ ليس بالشىء الكبير . وانما اكبارى للشعور الذى تدفعه روح وطنية صادقة نحو واجب اجتماعى . ولقد زاد الاخ الهادى تكرما فقال لى : اذا احتجت فى المستقبل فحول على بأى طريقة تجدها .

وبناء على ذلك ففى أول نوفمبر فيما أتذكر من سنة ١٩٥٦م سلمت ورقة لأحد الاخوان المواطنين من زواره هو (. . .) كان يتردد على تونس كثيرا فى مصالحه الخاصة طلبت فيها من الأخ الهادى المشيرقى أن يرسل لى عن طريق هذا المواطن نفسه تسعين جنيها ليبيا ، ولقد سلم الأخ الهادى مشكورا للاخ المواطن المبلغ فعلا . ولكن هذا الأخ أصلح الله شأنه سمح له وجدانه بأن يشاركنى المبلغ بل كان نصيبه اكثر

منى ، وعبثا كتبت اليه عدة رسائل ليوافينى بالبقية فلم يجيبنى وآخر رسـالة منى اليه كانت مسـجلة وبعلم الوصول بتاريخ ١٩٥٧/١٢/٥م ولم يجب عليها ثم اتصلت به رأسا فى منزله عند عودتى للوطن ولكن ٠٠٠ وأخيرا فوضت أمرى الى الله ٠ وبعـد أيام من ارسال هذا المبلغ وصلتنى رسالة من الأخ الهادى المشيرقى يطلب منى فيهـا عدم اعادة الطلب منه ولا أعرف السبب فى ذلك ٠

وفى تاريخ لاأتذكره ولكنه فى هذه الاثناء تقريبا ان لم تخوننى الذاكرة وصل الى تونس الاخ أحمد القرقورى وهو فار من ليبيا لاتهامه من طرف السلطة بالمشاركة فى حادث اغتيال الشلحى الذى وقع فى بنغازى جاءنى الى منزلى فى الـكرم ولقد كان من محاسن نجدة الأخ الهادى المشيرقى أن مكننى من نجدة الاخ (احمد القرقورى)المذكور بما أمكننى عملا بالمثل القائل : جادوا علينا الجيدون بمالهم) واحنا بمال الجـيدين أجـواد) ٠

وفى تاريخ لاأتذكره وأنا فى دوامة أفكر فى موضوع أولادى ومستقبلهم تشـاء حسن الصدف أن يصل الى تونس الاخ (سالم المـريض) وهو أحـد عناصر المؤتمر القوية ومن الذين حافظوا على المبدأ ٠ وفى جولة فى مدينة تونس جلسنا فى بيت من بيوت الله (بنهج الحلفا) وهناك تحدثنا فى أمور بلادنا والاوضـاع السائدة بها ٠ ثم أوضحت له الحالة فى تونس وبينت له خوفى على مستقبل أولادى اذا طال بقائى فى تونس ٠ وأشرت له ان ابنى الـكبير قد انهى تعليمه الابتدائى واود لو وجدت كيف أرسل به الى طرابلس ٠

ودون ماتردد قال لى ارسله الى وانا اتولى أمره وكن مطمئنا عليه ٠ (وقـد كان الأخ سالم اذ ذاك متصرفا فى الزاويه) ، وهنا قلت له ربمـا أتسبب لك فى احـراج وتشويش أنت فى غنى عن ذلك لاننى أعرف انه مقاوم من طرف العناصر المضاده وهم حكام ذلك العهد وأصحاب النفوذ فيه ٠ كما أعلم ان بعضهم بصورة أشد يترصـد له أى هفوة ولو كانت على حسن نية وهو (٠٠٠) ٠ هـذا هو الجو الذى كان يعيـش فيه الأخ سالم ٠ ولكن مع ذلك فقد قال لى ارسل ابنك وأنا المسئول وحكام العهـد ليس بينى وبينهم الا هذه الوظيفة (التى فرضتها ظروف الحياة) فانا أتركها لهم اذا وجب ذلك وغير هذا ليس لهم على من سلطان ٠

ولقد أرسلت ابنى فعلا واستقبله الأخ سالم وأدخله فى المدرسـة الثانوية فى الزواية وعلمت ان أحد العناصر المضادة من حكام ذلك العهـد او من ذيولهم (سـامحه الله) تكلم أمام بعض المسئولين معرضا بالاخ سالم قائلا : ان المـريض يربى لنا ابن زارم ٠ ولكن من حسن الحـظ لم يكن لهذا التعريض من قيمة ولا تاثير فى الاوساط المسئولة ٠ كما لم يهتم الاخ المريض بذلك ٠ وصاحب هذا التعريض هو (٠٠٠) سامحه

الله وهكذا أدخل ابنى المدرسة وانهى تعليمه الاعدادى والثانوى والتحق بالجامعة وتخرج منها ٠ وهو اليوم يدرس فيما وراء ذلك ، وكل هذا يرجع الفضل فيه الى شجاعة ووفاء الآخ سالم المريض بعد عناية الله ٠ أرجو الله العلى القدير أن يجازيه عنا خير الجزاء فى الدنيا والآخرة فهو أقدر على جزائيه ٠ كما أرجو من أولادى أن لاينسوا ذلك ومن ابنى الكبير خاصة أن يواصل الصلة مع من أحسن اليه وأفاده ومع أبنائه من بعدنا « ولا يعرف الفضل الا ذووه » ٠

وفى شهر يوليه ١٩٥٧م جاء الى تونس أحد المواطنين كان سابقا من منتسبى المؤتمر — ومن العناصر المتحركة نوعا ما ومن المتظاهرين بالوطنية ٠ ولقد اتصل بى هذا الأخ فى منطقة سكنائى وكنت أظنه لايزال محافظ على المبدأ خصوصا وقد جاء لزيارتى فاعتبرتها زيارة من قبيل الوفاء ٠ فسررت بمقدمه واتصاله بى عن قصد ٠ ولقد انتحينا ناحية وبعد أن سألته عن بعض مايهمنى ٠ قال لى : هل تريد العودة الى الوطن ؟ قلت أجل ٠ فقال لى اذن أنا لى اقتراح عليك أود أن أبديه لك فاذا قمت به فانا أضمن لك العودة بكل تأكيد ٠ قلت : أنا مستعد لأى اقتراح تبديه اذا كان لايخل بالشرف ، فقال : أكتب ثلاثة مقالات فى الجرائد التونسية اشكر فيها الامريكان فاذا انت فعلت ذلك صححت عودتك وأنا أضمن لك ذلك وهذا الأخ لايزال حيا يرزق وموجودا فى طرابلس وهو : (٠٠٠)

وكم كانت دهشتى شديدة حينما سمعت هذا الاقتراح ٠ أجل دهشت ورب الكعبة ٠ وسبب دهشتى فى الواقع لم تكن بسبب شخص انحرف فالمنحرفون كثيرون٠ ولكن دهشتى كانت بسبب صدمة نفسيه اصابت حسن ظنى بهذا المواطن الذى كان يتظاهر بالوطنية والاخلاص عندما كان هو وكثير من امثاله يظنون أن المؤتمر هدفه الوصول الى الحكم ولا يهمه الشكل ولا الوضع وهكذا فقد كانت مفاجأة مؤسفة ٠

ثم تمالكت نفسى وأجبته بهدوء : ياأخى لو كنت مستعدا لمثل هذا لما خرجت من البلاد ، ولكنت اليوم فى طليعة الموجودين بها ٠ وأن وساطات كثيرة من هذا النوع واغراءات أدعى للانهيار بذلت من قبل ولكننى رفضتها باصرار وتصميم ٠ وأنا اذ ذاك فى ضيق اكثر مما انا عليه اليوم ٠ والحق أقول يبدو على الاخ انه قد اقتنع بكلامى ٠ اذ لم يزدنى الحاحا ولم يعد الكرة بعد ذلك والى هنا افترقنا ولم نلتق بعد ذلك الا فى طرابلس بعد عودتى ٠ ولقد عرفت من ذلك اليوم ان الاخ المشار اليه قد انحرف وأصبح لكل منا وجهته ونتيجة سعيه ٠ (وأن ليس للانسان الا ماسعى وأن سعيه سوف يرى) صدق الله العظيم ٠

المذكـرة وتطـوراتها

وفى يوليه ١٩٥٧م وصل الأخ الحاج محمد الـكريكشى الى تونس على عادته السنوية للاستشفاء بالمياه المعدنية من داء (الروماتيزم : البرد المزمن) وصادف أن ذهبنا جميعا مع البعض من أفاضل الاخوان التونسيين الى أحد منابع هـذه الميـاه فى منطقة تدعى (اجبيلات الوسط) فى يوم ١٠ أغسطس . وهناك وفى حديث طـويل أظهرت للاخوان مبلغ قلقى مما أشرت اليه سابقا وبعد تبادل الكلام فى الموضوع أشار على الاخ الحاج محمد يونس الكريكشى بأن أكتب مذكرة للملك ادريس (السـابق) أطلب فيها رفع الابعاد والعودة الى الوطن نظرا لزوال الاسباب التى دعت الى هـذا الابعـاد .

والواقع أننى قد استنكفت عن ذلك وترددت كثيرا لاعتقادى أن الاسباب لاتزال قائمة وأكثر من قبل ولذلك فان حجة زوالها غير مقبولة ولا هى مقنعة . كما أن اتخاذ المبررات الواهيـة والطـرق الملتوية للرجـوع الى وضع منحرف متخاذل ومهادنته هى أثقل على النفس من جبل . وبعد الحاح طـويل من الاخوان أخذت قلما وورقة وبدأت الكتابة وبعد سطور معدودة وقف القلم . فلقد راح منى التفكير . ونضب عندى معين التعبير . فلم أجد ماأقول . فطـرحت مابيـدى جانبا وقلت اننى سأترك أمرى الى الله فهو أعلم بى وبغيرى . وعندئذ تقدم أحد الاخوان التونسـيين وهو من ذوى العـلم والمقدرة . وهو الاستاذ (محمد الحبيب) واخذ القلم والورقة وأكمل المسودة . ولما عدت الى بيتى كتبتها فى صـورتها النهائية وأرسلتها بالبريد المسجل مؤرخة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٧م وبقيت فى انتظار الجواب عليها .

وفى مارس سنة ١٩٥٨ جاء الى تونس السيد عبد السلام البصيرى وهو رئيس الديوان الملكى اذ ذاك موفدا فى مهمة رسـمية من قبل (الملك ادريس) الى الرئيس (بورقيبه) ولقد علمت بوجوده فاتصلت به فى فندق (تونزيان بالاس) وصادف أن وجدت معه الاخ محمود الرخصى . وبعد التحية ومقدمة الحديث فاتحتـــه فى شأن المذكرة التى أرسلتها منذ ستةأشهر ولم أتلق ردا عليها لا بالسلب ولا بالايجاب فطلب منى تاريخ ارسالها فسلمته اياه . وبعد عودته الى ليبيـا بزهاء عشرين يوما تقريبـا أعلمتنى السفارة الليبية فى تونس بأن مشكلتى قد حلت من طرف الملك وفى مـــدة قصيرة سيأتى أمر العودة .

ولقد أخذت القضية طريقها بين الأجهات المختصة حتى انتهت الى وزارة الخارجية ولقد كانت هذه الوزارة اذ ذاك يتولاها رئيس الوزراء بنفسه وهو (...) ولأسباب حزبية وشخصية فقد أمر هذا (الرئيس والوزير) فى آن واحـــد فيما يبدو بحفـظ هذا الملف .

ومن المعلوم أن هناك سببان اثنان فيما اعتقد يبدو أن لهما فى نفس رئيس الوزراء ووزير الخارجية وجدا على فالسبب الاول هو أن رئيس الوزراء هذا من العناصر المعتبرة فى حزب الاستقلال المعاكس « للمؤتمر الوطنى العام » ولم يكن هذا الاعتبارنتيجة لعلمه • أو ماضيه كشخص • أو لثروة عنده • كلا فهذه الثلاثة هو خال منها وانما اعتباره هذا يعود الى اعتبارات عائلية • حيث انه ينحدر من عائلة عريقة • أما السبب الشخصى هو انه حينما قرب موعداجراء الانتخابات لأول مجلس نواب رأيت كواجب على كمواطن يهمه أمر بلاده ومستقبلها أن ألفت انتباه المسئولين الى مايجب فلقد كتبت مقالا فى جريدتى اذ ذاك (شعلة الحرية) وهى لسان حال المؤتمر الوطنى طالبت فيه الجهات المختصة بأن تتحرى جيدا فى ماضى المرشحين ولايقبل الا من ثبتت نزاهته ونظافة ماضيه ليمثل شعب فى أول طريق من حياته الجديدة فهى فترة تحتاج الى الكثير جدا من الجهد والنزاهة والاخلاص •

فلهذين السببين فيما فهمت أوجد على فى نفسه اذ اعتبر كلامى ذلك تعريض به ، وأنا يعلم الله وهو حسبى اننى لاأقصد شخصا معينا لذاته ولكننى أقصد الجميع• وفى صالح الجميع • وهكذا ولهذا كتب على ظاهر ملفى بالقلم الأحمر وبخط بارز جدا عبارة (يحفظ) وأودع فى احدى رفوف وزارة الخارجية وهناك وبقدرة قادر ذى ضغينة نام ملفى نومة أصحاب الكهف ، ولقد كتبت الى رئيس الوزراء هذا بصفة كونه وزيرا للخارجية ثلاثة رسائل ولم أتلق الجواب على أى منها ففوضت أمرى الى الله فى انتظار ماستجرى به الاقدار التى لايغيرها اى مخلوق •

وفى أواخر سنة ١٩٦٠م وبسبب ماوقع من تلاعب فى طريق فزان بين هذه الوزارة والمتعهد (عبدالله عابد) تلاعب انتبه له مجلس النواب ووقف وقفته التاريخية • موقفا سداه الحكمة ولحمته السرية المطلقة • وعلى حين غفلة وفى غير انتظار فوجىء رئيس الوزراء ووزير الخارجية هذا باعلان المجلس سحب الثقة • فاهتز الكرسى من تحته اهتزازا عنيفا وتهاوى صاحبه والى الأبد ، وبذلك انهارت الوزارة كلها ، وبانهيارها انتبه ملفى من نومته الطويلة فى رفوف الخارجية ونفض عنه غبار الاعوام الاربعة الا قليلا وهكذا (مصائب قوم عند قوم فوائد)

وبعد سقوط هذه الوزارة بأيام جاء الى تونس أحد المواطنين الطيبين هو الأخ محمود نافع الغدامسى فى مصلحة له وقد التقينا صدفة فى احدى مقاهى مدينة تونس ، وبعد السلام والسؤالات عن البلاد والاخوان اقترح على ان اكتب رسالة وأسلمها له ليوصلها

الى الرئيس الجديد لينهى موضوعى والحقيقة اننى ماكنت أظن فى ذلك فائدة لعوامل كثيرة . ولذلك أجبت الاخ محمود على عدم الـكتابة فى الموضوع حتى يحلهـا الله . ولكنه ألح على كثيرا فأجبته وكتبت له الرسالة فى نفس المقهى وسلمتها له .

وبعد مدة قصيرة لاتتجاوز خمسة عشر يوما فيما أتذكر وصـلتنى رسالة من رئيس الحكومة الجديد (محمد عثمان الصيد) يقول فيها وصلتنى رسـالتك وكلفت جهات الاختصاص بالموضوع وعندما تتجمع لدى المعلومات سوف أنهى موضوعك باذن الله . والحقيقة لم تطل المدة أكثر من شهر تقريبا حتى طلبت منى السفارة الاستعداد للعودة . على ان نعين لها يوم السفر والواسطة التى أريد السفر عليها . والسـفارة ستقوم بجميع اجراءات السـفر ونفقاته . وعبثا حاولت أنيسمحوا لى بأن أسافر حرا متى أريد وأخيرا قبلت وعينت لهما موعد السفر والواسطة .

العـــودة الى طرابلس

وفى اليوم الاول من الشهر الاول من سنة ١٩٦١م ركبت الطائرة من تونس فى طريق العودة الى ليبيا ، وصلت ليلا الى مطار طرابلس الدولى (مطار ادريس اذ ذاك) وكنت قد أبرقت للأخ محمد يونس الكريكشى بموعد وصولى ، فوجدت ابنه محمود فى انتظارى بسيارته قصدت بيت الحاج محمد • وفى صباح غد ذلك اليوم انحدرت مع شارع عمر المختار فى اتجاه ميدان الشهداء • وكم كان ظهورى فى البلاد مفاجأة لكل من التقيت به فى الطريق • ذلك لأن أمر رجوعى كان مجهولا عند الجميع • الا بعض المسئولين • وهكذا فقد كان فى كل بضع خطوات (وقوف وتجمعات • وسلامات وسؤالات)

وفى يوم من تلك الايام الاولى لعودتى كنت سائرا اذ قابلنى شخص أعرفه ويعرفنى ولكننى نسيته الآن من هو ، وبعد أن سلم سلاما حارا حتى لقد غلب عليه التأثر • وبعد ان تنفس قليلا هتف بصوت عال : (انفرجت • انفرجت) فأجبته بقولى (فرجها الكريم تهنوا)ولما عدت ليلا واضطجعت على الفراش أخذ شريط الماضى يمر أمام مخيلتى بخيره وشره وحلوه ومره • حتى جاء موقف ذلك الأخ الذى هتف بقوله : انفرجت • وعندها جرت على لسانى أبيات من الشعر الشعبى • وقد نسجتها على ماهتف به ذلك الأخ ولعل فى متن هذه الابيات مايفيد الدارسين والباحثين فى التاريخ من الاجيال المقبلة قريبها وبعيدها • لذلك رأيت أن أثبتها هنا • وفيما يلى نصها :

انفرجت وفرجها الكريم تهنوا فتح باب بعد انسكروه اظنوا

●

فتح باب بعد السكر مكرو مكر عنهم الحال تعكر
انفضحوا عملهم فى السجل امسطر لايرقدوا بالنوم لايتهنوا
اقلوب واجل من الخوف بتنفطر اجى يوم يبدوا فى الهنا يتمنوا

●

فتح باب من بيبانه قادر اكافى كل حد سبحانه
قد من غدر الوطن رب هانه وكل من ختل الشعب يخلص منو
بين دجلهم وضميرنا شتانه مناكيد فى يوم البلا يستنوا

●

يوم البلا اليا جاهم اعم ناسهم وأولادهم وانساهم

ناس ياسر تبغى الحساب امعاهم   احساب مرفوق المر لن يوجنوا
امنين خوبروا أشيطان الرجيم غواهم   لا كابروا لا حسبوا لا حنوا

●

يوم البلا حصتهم   عدالت المولى ماتقول نستهم
ناس ناصروا استعمار ضد اخوتهم   هو سيدهم هم عناصر منو
تقصر أيامه وبعد يانكبتهم   أما عذاب لاخرا الهناس ياما منو

●

عذاب الهانا   عذاب ان اخلى الطار بين أحزانا
عذاب من تخاذل خان باع أوطانه   بفلوس شعبنا استعمار موشى منو
الطماع ديم حالت تعبان   لاه ماريتوش عبد الله اتعضتوا منوا

قلت آنفا كان وقوف وتجمعات وسلام . وفى نفس الوقت كان العائدون من الخارج فى تلك الايام أيضا كثيرون ففى كل يوم تحمل السيارة العمومية وغيرها أفواجا منهم ، وقد كنت بالطبع ألتقى ببعضهم وجل هؤلاء لاأعرفهم ، ومن لم أعرفه فهو يعرفنى . وقد التجأ الى بعضهم يشكو الاحتياج فمن قائل انه ترك عائلته قرب الحدود ولم يترك لها شيئا ، وليس لديه مايمكنه من العودة اليها . وآخر أولاده بدون أكل من يومين ، وثالثا لم يجد عملا بطرابلس يريد الذهاب الى (بنى غازى) ويده فارغه ، فكان لزاما على أن أمد يد المساعدة بما كتبه الله لهم على .

فقد كانت حالتى متيسرة ، اذ كان لدى مبلغ من المال لاباس به ، فعندما عدت كان معى بعض النقود ، وحينما وصلت الى طرابلس أجتمع اخوانى الرجيبات فى طرابلس وبعد أن جمعوا مبلغا محترما دعونى وسلموه لى وفى نفس الوقت ارسل الاخ الهادى المنتيرفى سبعين جنيها . اذا فلا أستطيع والحالة هذه أن أصد من استنجد بى وأنا أملك وسيلة النجدة . كما واننى الرجل الذى عاش جميع الظروف وتذوق حلوها ومرها ، فأى عذر لى أمام ضميرى وأمام الله والناس اذا بخلت .

أرجو المعذرة عن التصريح بهذا الكلام فاننى حينما أذكره لم يكن هو المقصود بالذكر . بل ماكان ينبغى لى ان اذكره لو لم يفرض نفسه بتداخله فى الموضوع كسبب مباشر لما يلى :

وقعت هذه الامور فعلا ولكننى ماكنت أظن أننى بذلك أرتكب محظورا ، ولا دار بخلدى أن الجهات المسئولة فى ذلك الوقت قد كلفت « بوليسا سريا » يتتبع حركاتى ويحصى تصرفاتى . ماكنت أظن ذلك لاننى عدت الى الوطن بطلب ولا بد اذا من البرهنة على الهدوء ولو لفترة . ثانيا عشرة أعوام بعيدا عن هذا المجتمع . ففيه من

انحرف • وفيه من أيأس في خلال هذه المدة وو ••• ولا بد من وقت كاف لمعرفة الاوضاع الجديدة في المجتمع • وعلى كل فبعد زهاء عشرة أيام تقريبا استدعيت من طرف مسئول كبير هو (•••) ولما تواجدت أمامه قال لي : « شنو تفتح في تيزدانك وتفرق الفلوس)

وبعد أخذ ورد قال لي : تمشي تقعد في غريان • وسلم لي رسالة وأمرني بالذهاب الى الحراسة العامة • وهناك وجدت شابا كنت اعرفه من قبل وهو على مقدرة ثقافية عربية وايطالية وانجليزية وصاحب نزاهة وضمير فيما عرفت هو الاخ عبد الرحمن سالم العجيلي ، وطبقا لأمر المسئول فقد كتب لي هذا الشاب عقدا للعمل في (مؤسسة نبغ تغرنه) بغريان • عقدا باعتباري اجنبيا كاي أجنبي ولعل هذا الوضع الذي اختير لي قصدا يمثل طريقة تهديدية حتى اذا مابدرت مني اي حركة عملية كانت أو كلامية يعودون الى اخراجي من البلاد وعدرهم في ذلك مقاومة التشويش • وحجتهم القانونية انه شخص أجنبي غير مرغوب فيه •

ثم ان هناك سببا آخر لعله كان من المضاعفات في هذه الاحتياطات التي اتخذوها نحوي • وهذا السبب هو انني حينما عدت الى الوطن لم أقم بما يعتبرونه واجبا أدبيا معتادا • وهو زيارة المسئولين كل في مكانه لأشكرهم على التساهل في عودتي • وأنا في الواقع لم أفعل ذلك لأسباب عدة • منها : أن الوقوف طويلا أمام أبواب المسئولين هو أمر ثقيل على النفس جدا • وانا أكرهه تماما ولم أتعوده •

ومنها أيضا أن رجوعي لم يكن تكرما من المسئولين او بسعي منهم • ولكنه كان بطلب مني • وبأمر من (الملك) سابقا • ومع ذلك فقد لاقى عراقيل كثيرة حتى لقد انتظرت ثلاثة سنوات الا ربعا رغم الأمر الملكي حتى جاء دور القدر فحطم الحواجز وهزم الضاغن الماكر وأزال المعوق • وفتحت لي الباب يد القدر فلها ألف حمد وشكر• ثم انني أعتقد بأنني قد أخرجت من البلاد ظلما وعدوانا فأعود اليها حق طبيعي لي وقانوني أيضا ، فلهذه الأسباب والاعتبارات مجتمعة لم أقم باتصالات الشكر المعتادة • ولعلني مخطىء في نظر غيري في هذا التفكير ، ولكن هذا ماحصل فعلا •



صالح بويصير فى عهد الثورة

أول وزيرا للوحدة والخارجية

ثم أول وزيرا للأعلام

ثم عضوا فى مجس الأمة الاتحادى

حينما كنت أنشر حلقات متوالية من ذكرياتى هذه فى جريدة (الشعب) لصاحبها الاستاذ على مصطفى المصراتى أرسل لى الاخ الشهيد صالح مسعود بويصير رحمه الله رسالة تشجيعية على اظهار جانب من نضال الليبيين فىالمهجر ضد الاستعمار الايطالى الفاشى فى بلادنا ليبيا ٠

ولقد كنت أود الاحتفاظ بهذه الرسالة لضمها الى ماسوف يكتب عن ذكرياتى هذه منمختلف الاقلام والافهام لتنشر فىهذه الذكريات عند اعادة طبعهامستقبلا باذن الله بعد التفتيش والحصول على بعض الوثائق عند الاخوان الذين كانوا فىالمهجر سواء ذلك فى الغرب أو فى الشرق ٠

ولكن لما حمىالقدر ٠ وشاء هذا القدر أنتنفذ يد الخيانة والغدر جريمتهاالنكراء واستشهد المرحوم صالحفى حادثة طائرة (البوينج) العربية الليبية المدنية التىأسقطتها الطائرات الحربية للعدو الحقير (اسرائيل) يوم الاربعاء فى ٨ محرم ١٣٩٣هـ الموافق ٢١ فبراير ١٩٧٣م ٠

لما وقع هذا رأيت أن أنشرها مع صورته تخليدا لذكراه ، ولذكرى هذه الحادثة الأليمة التى سوف تحاسب عليها (اسرائيل) طال الزمان أو قصر بعون الله وتوفيقه تقبل الله الأستاذ بويصير ورفاقه بوافر رحمته وأسكنهم فسيح جنته ٠؟

الجمهورية العربية الليبية
وزارة الوحدة والخارجية
الادارة السياسية
قسم الاعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

طرابلس فى ٢٩/٦/١٣٩٠ هـ .
الموافق ١١/٨/١٩٧٠ م .

الرقم الاشارى ١٠/٢/٢٠٢٠٦ ... ١٩٨٩٩

المرفقات ....

الاخ احمد زارم

جريدة الشعب / طرابلس
====================

بعد التحية ...

يسرنى افادتكم اننى اتابع واقرأ باهتمام مقالاتكم التى تنشر تباعا فى جريدة الشعب تحت عنوان " مذكرات احمد زارم ـ اربعون عاما من النضال السياسى " .

واننى اذ اهنئكم على ما تضمنته هذه المذكرات من بحوث قيمة تناولت حقبة هامة من تاريخ نضال الشعب الليبى ضد الاستعمار الايطالى الفاشى لارجو لكم مزيدا من النجاح والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

((صالح مسعود ابويصير))

وزير الوحدة والخارجية



المرحوم عمر ضيا المدفعى

كان ضابط المدفعية أيام الجهاد الوطنى من المخلصين الصادقين اتصلت بأبنائه فأعطونى صورته هذه ووعدونى بأن يسلموا لى بعض رسائله وبعض نقط سجلها هو بنفسه لأنشرها تخليدا لذكراه ، وقد كان من المهاجرين فى القطر التونسى ، ولقد بذلت له الوعود من طرف ايطاليا للعودة ولكنه رفض ذلك .

وأذكر اننى فى يوم من الايام التقيت به فى (منزل تميم) فى القطر التونسى سنة ١٩٣٧ م فيما أتذكر . وأردت ان أجس فكره فقلت له : بلغنى ان ايطاليا دعتك للعودة فلماذا لاتعود . فنظر الى نظرة فيها شيىء من اللوم وقال : (أتريد منى أنأصوم دهرا وأفطر على جرادة يافلان) رحمه الله تعالى

الخاتمــة

والى هنا أقف عن مواصلة الذكريات عند هذا الحد الفاصل بين فترتين زمنيتين . فترتان تتفقان فى الهدف والجوهر الا أن ظروف كل من هاتين الفترتين تختلف اختلافا عمليا احداهما عن الاخرى ، فلذلك كانت طريقة العمل للوصول الى الغاية المنشودة من الجانبين مختلفة تماما . فتلك فترة تتخذ فى تحركاتها طرق المقاومة الفكرية والمواقف السلبية تجاه العدو وتتصف باللين وتعتمد على الاكثر فى ظروف كفاحها على اللف والدوران .

وهذه فترة ثورية منفعلة تعتمد أساسا على السرية المطلقة والاستعداد المدروس. ثم تزحف بعد ذلك بقوة وصراحة واندفاع . وكلاهما كما أسلفنا القول يرميان الى غاية واحدة لا خلاف فيها ولاجدال عليها ، ولكن لكل منهما ظروفها الخاصة وامكانياتها وهذه هى أسباب اختلاف طرق الكفاح بين الفترتين .

وعلى كل فليس هاتين الفترتين هما البداية ولا هما النهاية . ولكنهما ليس الا حلقتان من النضال الوطنى فى سلسلة متصلة الحلقات من الفترات الكفاحية تتصل بالماضى السحيق أى من أوائل القرن الاول للهجرة بالنسبة لنا . وستمتد مع امتداد عمر الامة التى لايعلم نهايته الا الله سبحانه وتعالى ، وكلها متأثرة من بعضها . فهذه من تلك وهلم جر .

أجل رأيت ان أقف فى هذا المنعطف ، لأقدم للشعب هذه الذكريات قبل أن يبتلعها ظلام التاريخ كما ابتلع الكثير غيرها . ليطلع على جانب من تاريخ كفاحه الوطنى الذى بقى فى عالم المجهول حتى الآن ولننتظر تفاصيل ماحدث خلال السنوات التى تلت هذا المنعطف وما ستأتى به سنوات أخرى آتية من بعدها فى كتاب آخر سوف يتضمن ماحدث وما سيحدث من تطورات فى الواقع المعاش وفى الفكر والعمل والنتائج حينما يحل وقته . اذ لابد لكل عمل من وقت مناسب له والا فسنقع فيما يقول المثل : (من طلب شيئا فى غير أوانه عوقب بحرمانه) . أما هذه الذكريات فقد وقفت أحداثها فى شهر يناير من سنة ١٩٦١م وانهيت كتابتها فى شهر رجب سنة ١٣٩٢هـ . الموافق لشهر أغسطس من سنة ١٩٧٢م . ؟

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

ملاحظـات هامـة

هذه الذكريات تتركز محتوياتها على حركة المهاجرين الليبيين فى منطقة المغرب العربى ضد الاستعمار الايطالى فى بحر اثنين وعشرين عاما ولا تشمل فترة الادار البريطانية فى ليبيا الا لمحات خاطفة اقتضتها ظروف صرد الذكريات .

الحركة الوطنية داخل البلاد من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥٢م لها كتاب خاص ضبط حوادثها يوما بيوم ولقد كان فى الحسبان أن يكون الكتاب بين أيدى القـراء اليوم ولكنه تأخر .. وسيصدر باذن الله وتوفيقه

لم يكن ماجاء فى هذه الذكريات هو كل أعمال وتطورات الحركة الوطنية الليبية فى منطقة المغرب العربى . بل هذا قليل من كثير جدا وهو ماحفظته الذاكرة وبعض وثائق نشرت (بالزينكوغراف) فى جريدة (الشعب) وكان بودى نشرها بنفس الطريقة فى هذا الكتاب . ولكن ... سامح الله الأستاذ على مصطفى المسراتى

أسرعت بطبع هـذه الذكريات على ماهى عليه حتى لاتضيع كما ضاع الكثير غيرها من تاريخ هذه البلاد الغنية بالامجاد والمفاخر التاريخية المجهولة وعلى ـ كل فأنا فى بحث متواصل عن أثار هذه الحركة وعسى أن أتمكن من العثور على بعض منها عند بعض الاخوان فيعاد طبعها بصورة أوفى وأكمل .

النقاط الموضوعة بين قوسين تشير الى أسماء معينة كما هو واضح لم يحن الوقت للكشف عنها وعلى كل فهى محفوظة لوقتها فى قائمة خاصة الى أن يحين الوقت المناسب .

الفهرست

تابع الفهرست

دار الحرية للطباعة
هاتف : ٣٢٩٢٩
طرابلس - ج٠ع٠ل



• المـؤلف
• فى سطور

الاستاذ احمد زارم صاحب هذه الذكريات هو واحد من ذلك الجيل .. الجيل المؤمن المجاهد الصلب الذى رفض المساومة والانحناء ويؤمن بالوطن كايمانه بالله تعالى .

ولد حوالى سنة ١٩٠٦م تقريبا ببلدة الرحيبات ودرس القرآن وبعض مبادىء علوم الدين فى احد مساجدها .

☐ هاجرت اسرته مع قوافل المهاجرين التى رفضت ان تعيش فى ظل الحكم الايطالى الرهيب حيث استقر به المقام فى بلدة (الكرم) بحلق الواد : تونس .

☐ فى عام ١٩٢٦ م بدأ جهاده فى التشنيع باعمال ايطاليا وجرائمها فى بلادنا وذلك بالكتابة فى صحف كثيرة بينها التونسية والمصرية والجزائرية والفرنسية وغيرها .

☐ وفى عام ١٩٢٨م تعرف بالمجاهد الكبير المغفور له (بشير بك السعداوى) الذى كان قد اسس فى الشام (اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية) حيث افتتح لها فرعا فى تونس .

☐ اصبح احمد زارم سكرتيرا لهذا الفرع وواصل عمله النضالى مع تطور هذه اللجنة بمختلف اسمائها طول مدة هجرته .

☐ ساومته السفارة الايطالية فى تونس بعودته الى الوطن وتعيينه فى وظيفة هامة مقابل سكوته والكف عن القيام بأى نشاط معاد لايطاليا ولكنه رفض المساومة واستمر فى جهاده حتى النهاية .

حاولت السفارة الايطالية القبض عليه واغتياله ولكنه نجا من الموت باعجوبة .

☐ فى الحرب العالمية الثانية اتصل هو واخوانه محمد عباس ـ محمد بن خليفة ـ محمد شكرى وغيرهم واتفقوا مع الحلفاء عن طريق فرنسا على القيام بثورة ضد ايطاليا داخل البلاد .

☐ عاد الى ارض الوطن فى يناير ١٩٤٨م ليصبح سكرتيرا لحزب المؤتمر الوطنى العام) الذى اسسه المرحوم(بشير السعداوى) والذى كان يلتف حوله الشعب الليبى عن بكرة ابيه .

انشأ جريدة « شعلة الحرية » التى كانت لسان الشعب فى المطالبة (بالاستقلال والوحدة والانضمام للجامعة العربية)والتى كانت تقود العصيان المدنى ضد تآمر سلطات الادارة العسكرية البريطانية عندما زورت حكومة المنتصر اول انتخابات برلمانية فى ليبيا قبض على احمد زارم ونفى من جديد الى تونس وبذلك استحق لقب ذو الهجرتين .

عاد الى الوطن من جديد فى عام ١٩٦١م وبقى ثابتا على مبدأه مناويا لحكومات العهد المباد الى ان سقط ذلك العهد وانتهى فى فجر الفاتح من سبتمبر الخالد .

☐ احمد زارم مناضل ذاق مرارة السجن والمحاكمات وقسوة الغربة والتشرد سنوات طويلة وهو فى هذه المذكرات يؤرخ لفترة هامة ومضطربة من فترات نضالنا الوطنى فشكرا له وجزاه الله خيرا على جهاده ونضاله والله تعالى يجزى الصابرين المؤمنين .

طرابلس فى رمضان سنة ١٣٩٢ هـ
الموافق اكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٢م

حسن على خيشم

■ الثمن ٨٠٠ درهم ■
■ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ■

دار الحرية للطباعة ـ ج.ع.ل